وزارة التعليـــم العالـــي و البحـــث العلمـــي

جامعـــــة الجـــزائـــر

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم علم الاجتماع

دائرة الماجستـــير

مذكرة لنيل شهادة الماجستير

تحت عنوان

البناء الثقافي و الايديولوجي للمهن اقتراب سوسيولوجي لمجموعة شباب من باعة الأزياء الدينية و العطور...

إعداد الطالب:

نور الدين بولعراس

تحت إشراف:

الدكتور: جمال معتوق

السنة الدراسية: 2004-2005

الاهداء

إلى أولى الناس بصحابتي قبل أبي "أمي"
إلى سندي في الصغر و عمدي في الكبر "أبي"
اللهم ابقهما عونا لي و ذخرا
إلى زوجتي الغالية، اللهم اعنها على النجاح ووفقها للصلاح
إلى أخوتي و أخواتي ، إلى أبناء أخي : زكرياء و فتحية
إلى زملائي بالمجلس الشعبي البلدي " بني مراد" على مساعدتهم في إنجاز هذا العمل، إلى فهيم بمكتبة "الحامة"
إلى محمد صالي على سهره وكده و إشرافه على طبع هذه الأطروحة اللهم اجزه عني خير الجزاء و زده علما و نورا، إلى سمير حراث بمكتبة البليدة.
إلى رفقاء دربي: عبد الكريم تومي، امحمد، بشير، نور الدين، ميلود، مختار، عبد الله، حميد، ياسين، سليم، اسماعيل، ثلجون محمد، فرقاني سالم، سفيان، محمد بدراني، محفوظ بلقالم، يونس و وحيد، دون أن أنسى زميلي و صاحبي على الإطلاق: عبد القادر شريف سليمان و نوار سفير.
إلى زملائي و زميلاتي بمعهد علم الاجتماع بدون استثناء.
إلى أستاذي المبجلين بالثانوية: بن يخلف احمد و اسطنبولي مختار، ومعلمي بالابتدائي: بورابة مراد.
إلى كل هؤلاء و من لم اذكرهم، اهدي ثمرة جهدي.

الطالب: نور الدين بولعراس

كلمة شكر

إقتداء بقوله تعالى: " و لان شكرتم لأزيدنكم"، أتجلى خاشعا لجبار السماوات و الأرض بالحمد و الشكر على آلائه الجسيمة و نعمه العظيمة ، و الذي مكننا من خلالها من إتمام هذا العمل على قدر حاله، كما أتقدم بالشكر الجزيل و الذي مهما عظم فهو قليل، إلى الدكتور الأستاذ المشرف " جمال معتوق" الذي رحب بالإشراف على هذه الأطروحة من جهة، و متابعته الدقيقة و المفصلة و الدائمة ، و الذي منحنا من خلالها صدقه و إخلاصه، و نفعنا بعلمه و منحنا ثقته الوافرة في مكتبه و بيته، يناقش ، ينصح، يصغي لنا، يغضب لأجلنا، هذه الخصال و أخرى تلمسناها في شخص الدكتور الذي اقل ما نقول فيه انه مشرف فوق العادة، إلى هذا الدكتور الذي لم اقل فيه كل الحق، لكن لم اقل فيه غير الحق، اهدي له كل ما تملكه عواطفي و تكنه جوانحي.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أساتذة معهد علم الاجتماع، خاصة أولئك الذين ساهموا في تكويننا، سواء في التدرج أو فيما بعده، و اخص بالذكر الدكتور: عبد الغني مغربي، عبد الرحمان بوزيدة، بوزبرة، كمال بوشرف، مقراني، و آخرون كان بودي ذكرهم و يؤسفني تركهم، لهم و لكل من ساهم و لو بكلمة في إنجاز هذه الأطروحة، و اختم تشكراتي الى لجنة المناقشة قبولها مناقشة هذا العمل.

الطالب: نور الدين بولعراس

مقدمــة:

يطرح موضوع الاقتراب السوسيولوجـــي الـــذي نحـــن بصدد معالجـــته، البناء الثقـــافي و الإيديولوجي للمهن، قضية أساسية وجوهرية معا، ذلك لأنه يتناول البناء الاجتماعي للتنظـــيم (المهن)، من خلال الفاعل الأساسي فيه وهو الإنسان، ليس بوصفه، عنصرا منعزلا و متأثرا، بـــل تناوله كعنصر متعدد كما يقول ذلك هيدغر يؤثر ويتأثر، و نشير هنا أن النظرة إلى التنظيمات لم تبق اقتصادية فقط، بل أخذت طريقها إلى الجانب الاجتماعي، وهذا بفضل سوسيولوجيا العمـــل والتنظيمات، التي أخذت تتطور ابتداءا من الربع الأول من القرن العشرين، سيما تلكم الأعمـــال المبكرة التي قام ا"التن مايو"يقول هذا الأخير:"لدينا نقصا ظـــاهرا في رجـــال الإدارة، الـــذين يدركون أن عليهم أن يواجهوا مشكلة إنسانية اجتماعية لا مشكلة اقتصادية"(1).

و إذا كانت الدراسة السوسيولوجية للمهن تركز على دراسة أنساق التنظيم في ضوء النـــسق الاجتماعي الاشمل، باستخدام وسائلها و فنيا ا الخاصة لإدراك مختلف التفاعلات بـــين مختلـــف الأنساق الفرعية، و مع ميل موضوعنا للتوسع فإننا سنبذل جهدا، بغية استدراجه وجهة مـــحددة و دقيقة، وذلك من خلال تناول التأثير الثقافي و الاديولوجي على المهن مستفيدين من تفاعلات هذا الأخير، أو بالأحرى من إعادة إنتاج النماذج الثقافية و الإيديولوجية في ميدان العمل، إننـــا سنحاول أن ندرس ذلك من خلال مسائلة التراث العلمي عامة و السوسيولوجي خاصة.

و إذا كانت الدراسات المتكررة و المتعددة كذلك للتنظيمات، قد أفرزت مداخل كثيرة و متنوعة فإننا سوف نركز و نمعن بحثنا حول نظرية الإنسان، باعتباره فاعلا اجتماعيا، كمـــا ســـننظر إلى العمل بوصفه نشاطا اجتماعيا، حيث يتم تفسير ذلك بالرجوع إلى محك الثقافـــة الاجتماعيـــة للأفراد، و مرحلة تطورها بمعنى: "...لن نستطيع فهم اتجاهات كـــل من الإدارة و العمال إذا لم ننظر إليها في سياقها التاريخي، و إذا لم ندرك أن كثيرا ما نعتبره راجعا إلى الطبيعة الإنـــسانية، إنما هو في الحقيقة خاص بثقافة معينة في مرحلة ما من مراحل تطورها."(1)

---

(1):التون مايو، "التصنيع و المشاكل الإنسانية"، ترجمة محمـــد عماد الدين إسماعيـــل ، احمد بدران، مكتبـــة مصر، القاهرة، بدون تـــاريخ، ص 210.

من اجل ذلك و في سياق افتكاك موضوع بحثنا ثم بنائه و تحقيقه، فقد قمنا بتقـسيم هـذه الدراسة إلى ستة فصول كما يلي:

الفصل الأول: و فيه تناولنا أسباب اختيارنا لموضوع " البناء الثقافي و الإيديولوجي للمهن"، ثم حددنا فيه إشكالية بحثنا و فرضياته، كما قمنا بتحديد المفاهيم الأساسية التي تتعلق بموضـوع بحثنا، سواء تلك التي شكلت عنوانه الرئيسي، أو تلك المتصلة به بطريقة غير مباشـرة، بعـدها تنازلنا المقاربة النظرية لموضوع البحث، و فيـها توقفنا عنـد المفاهيـم الكبرى للنظرية الوظيفية و الوظيفية البنائية، وكذا ما تعلق بنظرية التنشئة الاجتماعية، و الثقافيـة، و الأديـديولوجيا، ثم ختمنا هذا الفصل بتطرقنا إلى الدراسات السابقة، سواء المحلية منها أو الأجنبية، الأكاديمية منها أو الحرة، التي تناولت و تطرقت إلى مثل هذه المواضيع.

الفصل الثاني: و فيه نظمنا اقترابا سوسيولوجيا لنظرية التنشئة الاجتماعية، متوقفين أساسا علـى محتواها و أدوا ا، و في الأخير ختمنا بما استنتجناه من تحليلنا لهذا الفصل، ضابطين لبعض المفاهيم و الأدوات التي سنستفيد منها خلال الدراسة الميدانية.

الفصل الثالث: تطرقنا خلاله إلى مسالة الهوية، محددين أبعادها الثقافية و الإيديولوجية، سـيما تلك السماة المتعلقة بالفرد و الجماعة، ثم ختمنا بمجموعة مفاهيم كزبدة لما تناولناه من تحليلنـا، معتقدين في نفس الوقت إ ا تصلح كمفاهيم اقتراب ميداني من هذه الأطروحة.

الفصل الرابع: تناولنا في هذا الفصل لمسالة المكانة و الدور و ابعادهما الإيديولوجية و الثقافية، و بعد عملية التحليل خلصنا إلى استنتاج عام في خاتمة هذا الفصل، متوقفين عند أهم المفاهيم التي ستساعدنا في عملية التحليل الميداني.

الفصل الخامس: و فيه تطرقنا إلى الإجراءات المنهجية المتبعة في هذه الدراسة، سواء فيما يتعلـق بالتقنية المستعملة، أو مجالات البحث حيث قسمنا ذلك إلى مجال زماني و آخر مكاني، ثم قمنـا بوصف عينة البحث و كيفية اختيارها، و أخيرا اشرنا إلى بعض الصعوبات التي صادفتنا خـلال هذه الدراسة.

(1): أ، براون، "علم النفس الاجتماعي في الصناعة"،ترجمة السيد محمد خيري و آخرون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية،1968، ص205

الفصل السادس: عالجنا خلال هذا الفص نقطتين أساسيتين، أولاهما تتعلق بـالتعريف بعينـة البحث، من خلال البيانات الأولية الشخصية، و ثانيهما تتعلق بتحليل البيانات الميدانية الخاصـة بكل فرضية، ثم كتابة كل استنتاج اية كل فرضية على حدى، و أخيرا ضبط نتـائج البحـث العامة، بعدها التطرق إلى المراجع المستعملة في هذه الأطروحة، مع اعتماد الببيوغرافية التحليليـة كعملية لذلك ثم كتابة و إدراج ملاحق البحث.

الفصل الأول

الاطار النظري العام

- **أسباب اختيار الموضوع:**

لعل أن ما د فعنا إلي اختيار هذا الموضوع يمكن تلخيصه فيما يلي:

1 - لقد حاول علم الاجتماع منذ الربع الأول من القرن العشرين، أن يجعل من نفسه علما هو"علم المؤسسات "، و هو اصطلاح أخذ معناه الحديث و العصري حاليا "التنظيم "، الميزة الهامة للعالم الصناعي و البيروقراطي المعاصر، و عليه رأينا أن ننظم اقترابا سوسـيولوحيا للجماعـات المهنية، حتى يتسنى لنا التمييز بينها، طبقا لسلوكا ا و أفكارها و توجها ا.

2 - أن موضوع الاقتراب "البناء الثقافي و الاديولوجي للمهن"، يركز أساسا علي عينة تتسم و تتصف سلوكات أفرادها و أشخاصها، كو ا ذات صبغة ثقافية دينية، و عليه فقد حذت بنـا الرغبة في تقديم مساهمة سوسيولوجبة، لكثير من السلوكات و الممارسات المتصلة بالدين.

3 - لعل أن الشيء الذي لم يحظ بالدراسة الكافية، و ظل اقل تقدما في المعرفة العلمية، هـو البعد الثقافي و الإيديولوجي، ذلك لأنه لا يزال محفوفا بكثير من الأسرار الخفية، و عليه سنحاول أن نميط شيئا ما، من هذه الأسرار لجماعة مهنية، تتميز بثراء سلوكا ا الثقافيـة و الإيديولوجية، و ذلك حسب ما لاحظناه من خلال المقابلات و عملية الاستطلاع الأولي.

4 - سوف يزودنا مصطلح"ا موعة المهنية "،بوسيلة فنية لتقدير ذلك الأثر النسبي لكل مـن نموذج العمل و المكانة، علي اتجاهات و أنماط السلوك.

- **الإشكالية:**

لا شك أن كل المجتمعات البشرية، تشترك في منظومة ذات طبيعة صراعية مع الطبيعة، أي أن المجتمعات البشرية قد قامت ركائزها التأسيسية علي العمل، فالجنس البشري هــو المخلــوق الحيوان الذي يستطيع أن يقول "أنا"، والذي يستطيع أن يكون واعيا بذاته، ككيان منفصل عــن الطبيعة، فالحيوان موجود داخل الطبيعة لا يتجاوزها، فليس له وعي بذاته، أما الإنسان فهو مجاوز للطبيعة مضيف لها، بيد أن الكلام عن العمل بسلخه عن علم التاريخ، و علم الاجتماع، و علــم العراقة....،هو كلام فارغ لا طائل من وراءه، فالمتأمل إذا للتاريخ البشري يجد مــواقف متباينة، و أحيانا متناقضة تماما، فبينما تقوم بعض المجتمعات منظوماتها الفكرية، على أن العمل هو مصدر للثروة، والبعض الآخر منها يعتبره أساسا و مصدرا للثروة و المعرفة معا، نجد مجتمعــات أخــرى تحجب عن نفسها أسس مكوناتها التاريخية فلا طالما نفي الخطاب الفلسفي اليوناني عامة، الــصفة الاقتصادية للعمل وغاب هذا المصطلح من قاموسه، بل أكثر من ذلك ابتكر هذا الفكــر كلمــة *(pomos)*، و هي كلمة يندرج ضمنها كل النشاط الذي يحمل في مضامينه صفة الألم، فالعمل عند اليونان هو صفة من صفات العبيد لا الأسياد، فالتاريخ بالنسبة إليهم هو تــاريخ تقهقــري تراجعي، و الاستبعاد هو أساس الحضارة، قد يقول قائــل و يتساءل: لما هذه الإطلالة في التاريخ، و نحن نعالج مشكلة حضرية في مجتمع حديث؟!

جوابنا هو انه لا يمكن بأية حــال من الأحــوال، أن نجــرد العمل من أطره الاجتماعية و التاريخية و المجموعات الإثنية التي يجري فيها، فهو(أي العمل) يتضمن هدفا معينا بذاته، ولــيس خلي و أعمي كما يدعي البعض، ألم تر بأن العمل احتقر في اليونان بفعل فكري و فلسفي و ثقافي ؟!، وعليه فان الرافد الاجتماعي الفكري و الثقافي و الاديولوجي، هو الذي يمنح الحياة الواعية التي يصنعها الإنسان، بكل ما تحتويه من قيم و أساليب جمالية ورموز و عادات و أعراف، كل ذلــك بفضل وجوده كحيوان إجتماعي يمارس تفعلاته على المستويين الميكرو و الماكرو اجتماعي بفضل و بفعل التنشئة و التعلم، ليسوغ في نهاية الأمر سلوكه و اختياراته و تحيزاته وعلاقاته، و مختلــف تفاعلاته الاجتماعية هذا من جهة، و من جهة أخرى و على الرغم من أن الأمر يتعلــق بظــاهرة واحدة ووحيدة - البناء الثقافي و الاديولوجي للمهن- فإننا سوف نضبطها من خــلال سلــسلة النعوت المختلفة، لقد أثبتت التجارب التي أجراها رواد التنظيم في علم الاجتماع، أن كمية العمل

التي ينجزها العامل، لا تتحدد تبعا لطاقته الفيزيولوجية، و إنما تبعا كذلك لطاقته الاجتماعية، كما أن الأفراد يلعبون أدوارا ذات طبيعة مزدوجة، أي ما تمليه عليهم تنظيما م الرسميـة و القواعـد المكتوبة من جهة، و ما تمليه عليهم تنظيما م الغير رسميـة، و جماعـا م المرجعيـة و أطـرهم الاجتماعية من جهة أخرى، كانت تلكم هي بعض النتائج مدرسة العلاقات الإنسانية بزاعمـة "*Elton Mayo* " الذي عرف ببحوثه القائمة على تجارب دقيقة أجراها في الشركة الكهربائية، بمصانع "هاو ثون" بالو.م.أ، و قد خرجت هذه التجارب بمبدأ جديد، هو أن ا موعة و مـدى تآلفهم و ترابطهم و تعاو م، الأمر الذي يزيد من نشاطهم و يعمل علي زيادة الإنتاج.

والحقيقة أننا لا نستطيع دراسة الأشخاص إلا في حدود البناء الاجتماعي، كما أن هـذا الأخير لا نستطيع دراسته إلا بالإشارة إلى الأشخاص،و نقصد بالأشخاص مجموع الفاعلين الذين يكونون البناء الاجتماعي، و يتأثرون به و يؤثرون فيه، انطلاقا مما سبق كانت التساؤلات بحثنـا كما يلي:

- هل للممارسة المهنية وظيفة ثقافية وإيديولوجية تؤديها؟.
- هل يرتبط الإشباع بشيء مادي لدى هذه الجماعات المهنية، أم شيء آخر روحي يغذى بريع ثقافي وإيديولوجي؟.
- ألا تدل الممارسة المهنية لهذا الصنف من الأفراد، هروبا بالتعبد إلى الشارع بعد أشكال التضييق و الحصار داخل مكان التعبد(المسجد) ؟

▪ فرضيات البحث:

انطلاقا من الإشكالية المطروحة، والجوانب التي سوف ترتكز عليها هذه الدراسة، و هـي المقارنة بين ميزات و خصائص السلوكات و التصرفات التي تميز أفراد عينة البحث، و بين الطابع الثقافي و السمة الاديولوجية لهذه السلوكات و هذه التصرفات، تبعا لذلك طرحنا فرضية عامـة، ذيلناها بثلاث فرضيات فرعية:

الفرضية العامة:

ترتبط سلوكات و تصرفات الأفراد المهنية و اختيارا م، بالنظام الثقافي و الاديولوجي لجماعا م المرجعية، و للمنظومة القيمة التي يستندون إليها و يتغذون منها باستمرار.

الفرضية الأولى:

يفسر الإقبال على بعض المهن، بنوعية التنشئة الاجتماعية سيما الدينية منها، التي تلقاهـا بعـض الأفراد في حيا م.

الفرضية الثانية:

إن فعل المتاجرة بالأزياء الدينية و العطور...، يعطي و يحدد لدى ممارسها و فاعليهـا هويتـهم الثقافية.

الفرضية الثالثة:

لا تؤدي مهنة بيع الأزياء الدينية و العطور...،الإشباع المادي لدى ممارسيها و فاعليها فحـسب، بل تعمل على بناء المكانة الاجتماعية لديهم.

- **تحديد المفاهيم:**
- البناء الاجتماعي:

يعرف فيرث "*Firth*" البناء الاجتماعي بقوله: "...البناء الاجتماعي يشير إلى العلاقـات الاجتماعية التي تعطي للمجتمع صورته الأساسية، و التي تفرض قيودا على أساليب الفعل الممكنة تنظيما"(1)

أما "*M.Forts* " فيعرفه قائلا :

" الواقع أن مصطلح البناء الاجتماعي، مستخدم في الانتروبولوجيا الاجتماعية، مرادفا لمـصطلح التنظيم الاجتماعي."(2)

- الثقافـــة:

"....كلمة ثقافة من ثقف ثقفا، بمعنى صار حاذقا فطنا، أما ثقف الشيء فمعناه أقام المعوج منـه و سواه، واشتقت كلمة (*Cultura*) اللاتينية و مشتقا ا في اللغات الأوروبية الحديثة، من الفعل اللاتيني (*Coloerauicultur*)، وهي تعني في الأصل تعني الفلاحة (*Agriculture*) و العبادة (*Cults*) " (3)

و يعرفها " *Jean-Michel Morain* " :

" الثقافة تعتبر عنصر رمزي أو مادي، تميز مجتمع و تقدم أفعال أفراده كمنتوج ثقافي..."(4)

أما "مالك بن نبي" فيعرفها بقوله:

" مجموعة الصفات الخلقية و الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته" (5)

---

(1): عبد الهادي الجوهري، قاموس علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ط3، 1988، ص48 .

(2): المرجع نفسه، ص 49 .

(3): د. محمد ابراهيم عيد، الهوية و القلق و الإبداع، دار القاهرة، مصر، ط 1، 2001 ، ص23.

(4): *Jean-Michel Morain, précis de sociologie, press pratique, NATAN, France, 1996, P150*

(5): مالك بن نبي، مشكلة الثقافة،ترجمة عبد الصبور شاهين، مطبعة دار الجهاد، القاهرة، ط1،1959 ، ص3 .

و الحقيقة انه ليس هناك مصطلح علمي أثار من الجدل و النقاش ، ما أثـاره مـصطلح الثقافـة (*Culture*)، بيد أن " *Taylor*" استطاع أن يحسم هذا الجدل ، و لو لفترة ما ، عندما حدد مفهوم الثقافة قائلا :

" إ ا ذلك الكل المركب الذي يشمل على المعرفة ، و المعتقـدات ، و الفـن ، و الأخلاق ، و القانون ، و العادات ، و أي قدرات أخرى أو عادات يكتسبها الفرد ، باعتباره عضوا في ا تمع " (1)

و يعرفها عبد الرحمن العيسوي :

" العملية التي تتشكل خلالها معايير الفرد و مهاراته ، و دوافعه و اتجاهاته و سـلوكه ، لتكـون متناغمة مع ما يعتبره ا تمع مرغوبا لأدواره الراهنة و المستقبلية في ا تمع" (2)

- المكانة الاجتماعية :

يعرفها" كيث ديفيز" بأ ا:" مسعى كل إنسان ، و يبذلون الجهود من أجل الحصول عليها ، و هي مجمل التقديرات التي يحظى ا الفرد من طرف جماعته المنتمي إليها" (3)

أما "ا. براون" فيعرفها قائلا :

" شعور بالتقدير الاجتماعي ، خاصة إذا كنا نعرف بان هذا الشعور مرتبط بالروح المعنوية للأفراد ، التي بدورها ترتبط بإشباع احتياجات الفرد" (4)

- المهنـــة :

يعرفها "جورج فريدمان" بما يلي:

" مجموعة نشاطات ذات هدف إجرائي ، يقوم ا الإنسان بواسطة عقله و يديـه و الأدوات أو الآلات ، و ينفذها على المادة ، و هذه النشاطات تسهم بدورها في تطويره" (5)

---

(1): . د. محمد ابراهيم عيد .مرجع سابق، ص 23.

(2): عبد الرحمن العيسوي ، تصميم البحوث النفسية و الاجتماعية و التربوية ، دراسات في تفسير السلوك الإنساني ، دار الكتـاب الجامعيـة . الإسكندرية ، ط1 ، 1993 ، ص 45.

(3): كيث ديفيز ، ترجمة سيد عبد الحميد مرسي ، السلوك الإنساني في العمل ، دراسة العلاقات الإنسانية و السلوك التنظيمي ، دار النهضة للطبع و النشر ، القاهرة ، 1974 ،ص45 .

(4): أ .براون ، مرجع سابق، ص332.

(5): جورج فيردمان ، بيارنافيل ، رسالة في سوسيولوجيا العمل، ترجمة يولاند عمانويل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ج1،ط1 ، ص12.

أما "جورج فويللمان"، فيعرف المهنة من خلال العمل بقوله : " العمل هو واقع مثالي و مادي، انه الإنسان ذو مبدأ المادة و الفكر الذي يخرج من العدم نحو الاكتفاء و الفرح."[1]

- يستند علم اجتماع المهن إلى ثلاثة مساهمات رئيسية ، هي تلك التي قام ا ماكس فيـبر (*M.WEBER*) و إميـــل دوركــايم (*E. DURKHEIM*) و تالــكوت بارســونز (*T .PARSONS*) لقد شدد *WEBER* على أهمية المهن في ا تمع الغربي الحديث و يرى في عملية " الامتهان " (*PROFISIONNALISATION*): " العبور من نظام اجتماعي تقليدي ، إلى نظام اجتماعي يرتبط فيه وضع كل واحد بالمهام التي يقوم ا ، و حيــث تخــصص لهــم تعويضات وفقا لمعايير عقلانية للكفاءة و التخصص ، المهنة هي " دعوة " فليست أبــدا موروثــة كالقدر، و لكنها مرادة و يتم تحملها كمهمة." [2]
- أما دوركايم (*DURKHEIM*) فيقول : " ....تحكم كل مهنة آداب خاصة تطــور عند أعضائها نظاما معينا ، و تفصلهم عن الأنانية الفردية." [3]
- أما بارسونز (*PARSONS*) فينطلق في تعريفه للمهن ، من تلك العلاقة التي تــربط بين الطبيب و مريضه ، فهذا الأخير مرتبط بطبيبه يقول بارسونز ، لا يستطيع استعادة عافيته ، إلا بتدخل الطبيب و كفاءته ، لكن الطبيب و نظرا لكفاءته المزدوجة ، فهو يشخص الــداء لــدى المريض ، و لديه خبرة بالأجهزة المستعملة في التطبيب ، لذا فهو يمارس سلطته على مريــضه: " فانطلاقا من هذه العلاقة الثنائية ، تصبح الآداب الطبية مفهومة ، إ ا تفــرض علــى الفــريقين موجبات عبر مأسسة علاقتهما المتبادلة في إطار عدم التماثل الذي ينجم عن التوزيع المتفــاوت للكفاءات بينهما ..." [4]
- أما "فرنيس بيكون" فيميز العمل الحرفي عن العمل المهني يقوله :

" المقصود بالفن الحرفي على انه الإنسان مضاف إلى الطبيعة ." [5]

(**1**) *J. FUILLMANE , L'homme et Travail , le pense universitaire , paris , p16,17*

(2) ر .بودون ، و ذو . بوريكو ، المعجم النقدي لعلم الاجتماع ، ترجمة د . سليم حداد ، ديوان المطبوعات الجامعيــة، الجزائــر ، ط 1 ،ص545 .

(3) المربع نفسه ، ص545.

(4) المربع نفسه ، ص543.

(5) جورج فريدمان ، مرجع سابق ، ص12 .

- الجماعة المرجعية :

- " تلك الجماعة التي تجمع الثقافة العامة في ا تمع ، و من خلال اتصاله ا ، يتعلم الفرد معظم أنماط السلوك الواجب عليه إتباعه....فيبدأ مراحل حياته في جماعة أساسية هـ ـي " العائلة " ، ثم تتطور علاقاته الاجتماعية و تتعقد و تتنوع الجماعات ." (1)
- " مصطلح الجماعة المرجعية ، يشير إلى الجماعة التي تؤثر في سلوك الفرد"(2)

- الدافع و إشباع الحاجة :

- يقول " *S.R . parker* " الإشباع توجه عام يزيد بزيادة العمر ، بالرغم من أن هناك اتجاها لدى الشباب، في أن يجدوا الإشباع في المظاهر الجوهرية للعمل ، و لدى الـ ـشيوخ في أن يجدوه في البنية الاجتماعية و الفنية ..." (3)
- أما" *J.D.Maurino*" فيقول:

" إن الحاجات غير المشبعة تحدث انعكاسات على حياة الفرد، و هذه الانعكاسات تكون طبقـ ـا لطبيعة الحاجات، لأ ا تتغير بتغيرها، إذ أن الحاجات ليست لها نفس الأهمية، حيـ ـث إن هنـ ـاك تدرج في الحاجات، من الضروري إلى الكمالي، كما أن إشباع حاجات معينة،يتسبب في ظهور حاجات أخرى.(4)

- الدافع : " في علم النفس ما يحمل على الفعل من غرائز و ميول ، فهو و جداني و لا شعوري ، في حين أن الباعث عقلي و شعوري ." (5)
- الدافعية و الإنجاز: "... تشير الدافعية للإنجاز إلى طموح الفرد المستمر أو الثابت عموما ، في تحقيق هدف مماثل لمعايير معينة للامتياز ، و ذلك في منافسة ما ، آو أداء مهمة معينة ، على أساس مستوى الامتياز"(6)

---

(1): محي الدين مختار ، محاضرات في علم النفس الاجتماعي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، بدون سنة ، ص90.

(2): عبد الهادي الجوهري ، مرجع سابق ، ص83 .

(3): باركر و آخرون ، علم الاجتماع الصناعي ، ترجمة محمد علي محمد و آخرون ، منشأة المعارف ، بمصر ، بدون سنة ، ص235 .

(4):J.D .Mourino , besoins et alianation , cahier du centre d’études et de recherche marscisce , paris , 1972,P17.

(5): H. block et autres : Grand Dictionnaire de Psychologie . Larousse . paris .1993 .p 04.

(6): لاروس ، المعجم العربي الأساسي ، المنظمة العربية للتربوية و الثقافية و العلوم ، 1989 ، ص 455

▪ **الايدولوجيا :**

يقول ماركس :

" إ ا الوعي الخاطئ الناجم عن الموقف الطبقي للفاعلين الاجتماعيين ." (1)

يقول أيضا:

" إن الأخلاق والدين و الميتافيزيقا، و كل البقية الباقية من الايدولوجيا، و كذلك أشكال الوعي التي تقابلها، تفقد في الحال كل مظهر من مظاهر الاستقلال الذاتي، فهي لا تملك تاريخا، و ليس لها أي تطور، إن الأمر على النقيض من ذلك، فالبشر إذ يطورون إنتاجهم المـادي و علاقتـهم المادية، هم الذين يحولون فكرهم و منتجات فكرهم، على السواء مع هذا الواقع الـذي هـو خاصتهم، فليس الوعي هو الذي يحدد الوجود، بل الوجود هو الذي يحدد الوعي " (2)

- " الايدولوجيا كأفكار و تمثيلات معكوسة للواقع." (3)
- " يختص بالإيديولوجية مجموعة الأفكار، مجموعة الانتاج الفكري للأفراد، و كل ما يمكن أن يعطونه من تقديم حول ا تمع، حول أنفسهم ذا م، و إن هذا ليتضمن عمليـا كـل الفلسفـة و القانون و الضمير و العقـل و الدين، حتى انـه يتضمن أحيانا بعض التعابير لجمالية أو لتقييميه " (4)

(1) خليل احمد خليل، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، دار الحداثة للطباعة و النشر، بيروت، ط1، ص181
(2) عادل ماركس، فريد يرك انجليز، الايدولوجيا الالمانيتة، ترجمة فؤاد أيوب، در دمشق، سوريا، 1968، ص31
(3) محمد سبيلا، الايدولوجيا، نحو نظرة متكاملة، المركز الثقافي غربي، بيروت، 1992، ص40
(4) حسن ملحم، التفكير الاجتماعي و المنهجية، مطبعة دحلب، الجزائر، بدون سنة، ص422.

- **التنشئة الاجتماعية:**

"...تلك العملية الاجتماعية التي يسير خلالها الإنسان، منذ مولده و حتى يحتل مكانه كعضو يشغل دورا محددا، وسط الجماعة البشرية التي يشب في أحضا ا " (1)

".....التنشئة هي العامل الجوهري الذي يوحد بين اتجاهات، و مشاعر أعضاء ا تمع، نحو تحقيق، الأهداف التي يسعى إليها ا تمع..." (2)

يعرفها (*GON SON*) بقوله :

" عملية تعلم يتعلم الفرد فيها أداء أدوار معينة " (3)

" عملية نمو و ارتقاء اجتماعي، يتطور فيه الأداء السلوكي للفرد " (4)

- تحديد المفاهيم الإجرائية:

- البناء الاجتماعي:

إن ما يقصد بالبناء الاجتماعي امبريقيا (عمليا)، هو أن يدخل زيد أو عمر في علاقـة، بحيـث تستطيع أن تربط بينهما، كما يمكن أن يعني البناء الاجتماعي نسيج من العلاقات، التي تربط بـين الجماعات الرئيسية في ا تمع، تربط مثلا بين العائلة و ا تمع ككل، بين النقابة و الحكومة، بـين جماعات الضغط (كالأحزاب السياسية مثلا) و سلطة البلد.....و هكذا.

الثقافة:

هي أن يتلقى الفرد في مسيرة حياته الاجتماعية، تلقينات شفهية أو مكتوبة، ماديـة أو رمزيـة، كاللغة و طريقـة الكتابة، كالمعتقـدات و الطقوس، أصناف الأخـلاق و المعامـلات، الحرف و الصناعة و بصمات البناء و العمران...، حتى يصبح المرء يقول هذا جزائري و هذا إنجليزي، هذا إسلامي و هذا مسيحي و هو في حقيقة الأمر يعني به الثقافة.

(1) ابراهيم مذكور، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975، ص174، ص175
(2) د.علي عبد الرزاق جلبي و آخرون، علم الاجتماع، دار المعرفة الجمعية، الازاريطة ، مصر ، 1999 ، ص299
(3) فاطمة المنتصر الكيتاني، الاتجاهات الوالدية في التنشئـة الاجتماعية...، دار الشروق، الأردن، 2000، ص44
(4) المرجع نفسه، ص45

- **المكانة الاجتماعية:**

كل تقدير اجتماعي يحضى به الفرد داخل جماعته، يرتبط أساسا بمستوى طموح الفرد، و تختلف من جماعة إلى أخرى و من وسط لآخر، ففي الجماعات البدائية قـد تعني المكانة عنـدها، القوة و الشجاعة أو بالأحرى قد تكتسب المكانة ـذه الخصال و الفضائـل، أما في ا تمعات الحديثة و المعقدة تتعلق المكانة عندها بمستوى الفرد الثقافي أو بعمله...إلى غير ذلك.

الايدولوجيا:

إن الفرد في حياته اليومية قد يختار ما يأكل، فيدخل مثلا إلى" قصابة " و قد كتب على مدخلها " لحم حلال " و قد يتكلم أو يتحاور معك بزاويا يحددها لنفسه، و قد يختار عملا يرتزق منه، فميز بين الحرف و التجارة و المهن ما يشاء، و هو سواء كل أو تحاور و تكلـم، أو اختـار، أو، أو، أو...،فإنه يفعل ذلك تبعا لأفكار يؤمن ا، و ليس ثمة إنسان بكر من كل أفكار مهمـا كانـت بدائيتها أو ارتقائيتها.

- **التنشئة الاجتماعية:**

التنشئة الاجتماعية هي ضرب (نوع)من ضروب الترويض التي بواسطتها يستنبط الفرد المعـايير والأدوار والأعراف التي تشكل نوعا ما برنامجا مصمما يوضع موضع التنفيذ بصفة آلية نسبيا، إن هذا الترويض أو الضبط والتلقين والتعليم وغيرها من المرادفات، تمارسه اجتماعيا عدة مؤسسات، قد تكون الأسرة، أو المدرسة، أو جماعة الأصدقاء والجيرة، أو جماعة العمل والمهن والحرف وغيرها.

- **المقاربة النظرية للدراسة:**

إن ما يقصد بالاقتراب النظري للدراسة، هو مجموعة المفاهيم التي بواسطتها نحقق ونبني ا موضوع بحثنا، حتى تكتسي الحقائق طابعا علميا، فما من شك إن النظرية توفر التفسيرات المنطقية للحقائق، أو كما يقول " ترنر *G. TURNER* " أن من مهام النظرية: " تنظيم أحداث الظاهرة الاجتماعيـــة من اجل تكوين رؤى لدراستها "[(1)]

فسلامة التصور النظري أمر ضروري و مهم، لان في الحقيقة ليس هناك أية بحث ينطلق مـــن الفراغ، بل يستمد تفسيراته من وحي النظرية، و هو ما أشار إليه (*R.MILLS*) بالخيال السوسيولوجي ، و قد كان يعني به: "قدرة الباحـــث الفكرية على فهم الصورة التاريخيـــة العامـــة و الكلية للإنسان و ا تمع ، في ضوء ما تنطوي عليه من دلالة داخلية للأفراد ، فضلا عن الضروف الخارجية و البيئية المؤثرة في سلوكهم ، و المحددة للعلاقة بين الشخصية و البناء الاجتماعي" [(2)]

و البحث الذي نحن بصدد معالجته (البناء لثقافي و الايدولوجي للمهن)، يندرج ضمن تخصـــصات النظرية الوظيفية، إضافة إلى نظريـــة التنشئة الاجتماعيـــة، و ما يتصـــل ا من المفاهيم، كالأدوار و المكانات الاجتماعية، هذا ثم أن لنظرية الثقافة و ما يتصل ا من المفاهيم، كالإيديولوجية و الهوية و غيرها، دورها في تفسير موضوع الاقتراب السوسيولوجي الذي نحن بصدد دراسته.

1- الاتجاه البنائي الوظيفي:

يجب أن نذكر للفائدة الابستمولوجية المنجرة عن ذلك، أن هذا الاتجاه يندرج ضـــمن الاتجاهـــات النسقية، فرواد هذا الاتجاه يركزون في دراستهم لأية ظاهرة مهما كانت، ليس على الظاهرة، في حد ذا ا، بل بترابطها بالظواهر الأخرى من خلال قيامها بوظيفة معينة، إن فكرة ربط الجزء بالكل هـــي فكرة رائجة في علم الاجتماع، سيما لدى الوضعيين منهم و على رأسهم (*E.DURKHIEN*) : " فالأولوية في البنائية للعلاقات دون الأشياء ، و ذلك لأن هذه العلاقات هي التي تحدد وظيفة تلـــك الأشياء ، و تضفي على معانيها المختلفة " [(3)] ، و حتى لا يكون طلاق بين ما ستناوله في الجانـــب التطبيقي و المنهجي من هذه الدراسة ، و الجانب النظري

(1) من خليل عمر، أزمة النظرية لمعاصرة، في علم الاجتماع، دراسات عربية، دار الطليعة، بيروت، 1981، ص78.

(2):محمد علي محمد، مجمع المصنع، دراسة في علم اجتماع التنظيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندارية، ط1، 1975، ص19.

(3): احمد ابوزيد، البناء الاجتماعي، الهيئة المصرية العامة للكتب، الاسكندرية، 1975، ص07 .

فإننا سنحاول أن نفيد من التفسيرات التي يقدمها هذا الاتجاه، و باقي المدارس التي اشرنا إليها سلفا في بحثنا " البناء الثقافي و الايدولوجي للمهن "، كوننا نريد أن نفسر الظاهرة موضوع الاقتراب " فئـة البحث المتاجرة بالأزيـاء الدينيـة و العطـور....، علـى ضـوء ربطها بالنسق الكلي " الثقافي و الايدولوجي " ،ففكرة ربط الجزء بالكل كما أسلفنا، هي فكرة رافقت علم الاجتماع، في تطوره، إلى أن حولها إلى نقطة انطلاق لبناء نظرية، ظهر أول مـا ظهـر خـارج علـم الاجتمـاع، في الانترويولوجيا على يد مالينوفيسكي، و عليه يبدو من الصعوبة بمكان التكلم عن اتجاه البناء الوظيفي، دون التطرق و الانطلاق من ارث الانتروبولوجيا.

أ- الوظيفية المطلقة في الانتروبولوجيا:

ظهر هذا الاتجـاه علـى يد الانتروبولوجي البريطاني (*MALINOUSKI*): 1884-1942 (*BROUN RADCLIFFE*) : 1881 -1955 ، صاحب كتاب : "البناء و الوظيفـة في ا تمعات البدائية" ، لقد كانت دراسة هذين الأخيرين تمثل بديـلا ناجـحا للنظريات التطورية و الانتشارية ، التي تفضل دراسة ا تمعات بالتاريخ الثقافي أو بالمقارنة ، بيد أن ذلـك لم يكـن ممكنا عند "*MALINOUSKI*" ، عند ما حاول القيام بدراسة حول القبائل الماليزية ، و التي لم تكن وقتئذ توفر للباحث دلائل و مؤشرات لتاريخها ، إلا أ ا تتميز بامتلاكها تنظيما اجتماعيـا .لذلك اتجه *MALINOUSKI*إلى تفضيل الدراسات الحقلية، التي سمحت له بالوصول إلى إثبات أن هذه القبائل تشكل " كلية ثقافية " تتكون من مجموعة من المؤسسات و العناصر المنتظمـة، " فكل بناء مثل اللغة و ا تمع و الأنساق.....بمثابة العلاقات التي تجمع بين الاجزاء المتعددة، و التي تحدد طبيعة الأبنية ووظيفتها." [1]

من هناك يصوغ مالينوفسكي (*MLINOUSKI*) مسلمات الوظيفية الشهيرة

_مسلمة الوظيفة الكلية: بحيث لكل مؤسسة في النسق وظيفة .

_ مسلمة الوظيفة الضرورية: فلا يمكن الاستغناء عن وظيفة أي عنصر في النسق.

_ مسلمة الوحدة الوظيفية: فكل وظيفة في النسق هي وظيفة ايجابية .

(1):فادي عمر الجولاني، التغير الاجتماعي، في ا تمع الحضري في ضوء النظرية الوظيفية، رسالة دكتور، جامعة القاهرة، 1976، ص188

ب- روبرت مرتون (*R. MERTON*) و الوظيفة النسبية :

إن الدور الذي لعبه (*MERTON*) هو سعيه لتقنين التحليل الوظيفي، و تكييفه لجعله ناجعا في دراسة المجتمعات المعاصرة المختلفة عن القبائل البدائية، بحيث انصب مجهوده الابستيمولوجي بنقد المسلمات الكلاسيكية للوظيفية: الوحدة الوظيفية _ الوظيفة الكلية.الوظيفة الضرورية، فأبحاثـه حول المجتمع الأمريكي مكنته التوصل إلى أن هناك وظائف سلبية للبعض، و ايجابية للبعض الآخر و وظائف يشترك في القيام بها عدة عناصر و مؤسسات، و وظائف لا تحقق الاندماج، كالممارسة الدينية في حالة تعدد الديانات، و لتقنين التحليل الوظيفي، قام مرتون باستبدال مفهوم الحاجـة الذي يشكل حجر الأساس، في البناء النظري المالينوفيسكي بمفهوم الشرط الوظيفي، الـذي يشـير إلى الإطار الاجتماعـي لقيـام عناصـر معينـة بوظائف اجتـماعية، يقـول (*MERTON*): " إن أعضاء التنظيم يستجيبون لمواقف معينة في التنظـيم، ثم يعممـون هـذه الاستجابة على مواقف مماثلة " [1] .

التكافؤ الوظيفي و التبادل الوظيفي، بحيث يستطيع نفس الوظيفة أن يقوم بها عدة عناصـر، كمـا بامكان نفس العنصر أن يغير من وظائفه: فالقواعد الممارسة قهرها على الأفراد تـؤدي إلى نتـائج عكسية، و هي زيادة استيعاب الأفراد قواعد التنظيم و توحدهم معها، الأمر الذي يؤدي إلى استبدال الوظائف عند الفرد،و من ثمة يصبح من العسير التنبؤ بسلوك الفرد...." [2]

الوظائف الكامنة و الوظائف الظاهرة، بواسطة هذا المفهوم توصل مرتون (*MERTON*)، التمييـز بين الوظيفة و دوافعها، و أثارها المنتظرة و غير المنتظرة، لـذا يقترح مرتون استعمال مفهوم المرتبة (*STATUT*) أو المكانة، و مفهوم الدور (*RÔLE*)، ليشير إلى أن العنصر بامكانه القيـام بعـدة ادوار برتبة واحدة، أو عدة مراتب اجتماعية.

ج- الوظيفية عند إميل دور كايم: (*E.DURKHEIM*) :

يدافع دوركايم و من منطلق وظيفي، أن الصراع الاجتماعي ما هو في الحقيقة إلا ظـاهرة مرضـية عرضية في المجتمع، و أن الاستقرار هو الظاهرة الطبيعية، و أن صحة المجتمع هي مرادفة للتـوازن أو الانتظام، و مرضه مرادفا للصراع، يقول (دوركايم *DURKHEIM*):

---

(1) د. السيد الحسيني، علم اجتماع التنظيم، دار المعرفة، الاسكندرية، 1994، ص80

(2) المربع نفسه، ص81

" تقسيم العمل ينتج التضامن، ليس فقط لأنه يجعل كل فرد تبادلي...،و إنما يخلق بين الأفراد نظامـــا كاملا من الحقوق و الواجبات، التي تربط البعض بالبعض الآخر بصفة دائمة " (1)

هذا الموقف يتبناه كل من *K .DAVIS* و *W. MOORE*بحيث يعتبران أن تقسيم العمل عاملا محافظا على استمرارية النسق و نظامه العام، إنه (أي تقسيم العمـــل): " عـــاملا يـــؤدي بالـــضرورة إلى اللامساواة في الجزاءات، لأنه بدون ذلك يتعذر استمرار تقسيـــم العمـــل، و اللامساواة الاجتماعية و الوظيفية بالنسبة للمجتمع، هي ضرورية و عامة في كل ا تمعات نظرا لهذا الدور الوظيفي الـــذي تقوم به " (2)

د. الوظيفية النسقية عند بارسونز(*T .PARSONS*) :

تندرج مساهمة (*PARSONS*) في إطار مشروع يهدف إلى بناء نظريـــة عامـــة في علـــم الاجتماع ، عكس (*MERTON*) الذي كان يهدف إلى بناء نظرية متوسطة المدى في الحقـــل السويسولوجي ، يتصور بارسونز التنظيم على انه : " نسق اجتماعي يتألف من أنساق فرعيـــة مختلفة ، كالجماعات و الأقسام و الإدارات ..." (3) ،إن التوازن و التكامل الاجتماعي هي ميزة هذا النسق أو هذا التنظيم، و إن كان الصراع حقيقة قائمة، فانه ينظر إليه كما ينظر دوركـــايم ، بحيث يعتبره حالة من حالات الخروج عن المألوف ، و هو حالة مرضية باثولوجية لا طبيعيـــة ، يقول بارسونز : " إن الصراع الطبقي لا يمثل السمة الأساسية، للتدرج الاجتماعي في ا تمعات الصناعية الغربية ، ذلك إن هذا التدرج يؤدي دورا تكامليا داخل الأنساق الاجتماعية " (4)

فالصراع الثقافي." بارسونز " استثناء و الاستثناء خروج و شذوذ عن القواعد و المـــألوف، و نجـــد بارسونز يميز في تحليله للنسق الاجتماعـــي بين أربعـــة وظائف هي:

(1): EMIL DURKHEIM, DE LA DIRISIAN DU TRAVAIL SOCIAL. 9EME EDITION. TOME 2, PARIS, PUF. 1973 .PP402.403

(2) محمد علي محمد، تاريخ علم الاجتماع، الرواد و الاتجاهات المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 1986، ص.480

(3):السيد محمد الحسيني، النظرية الاجتماعية في دراسة التنظيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1977، ص51

(4):T, PARSONS ESSAYS SOCIOLOGICAL THEORY TORONTO, FREE PRESS OF GLENCOE, 1964 .P329 .333. 346

نقلا عن لسيد الحسيني، نحو نظرية اجتماعية نقدية، دار النهضة العربية، بيروت، بدون سنة، ص61

التكيف، تحقيق الأهداف،الإدماج و التحفيز، و هي وظائف تشكل نموذجه المعروف بـ : *AGIL* ،و الفاعل يقوم بتحقيق أهداف النسق من خلال الأنساق الفرعية، النسق الثقافي ،النسق الاجتماعي، نسق الشخصية، نسق تنظيم السلوكات، وقد أعطى(*T.PARSONS*) أهمية قصوى للقيم السائدة في التنظيم ، فهي التي تعطي الطابع الشرعي لأهدافه ، بمعنى آخر يعمل التنظيم ضمن الخـصوصيات الثقافية للمجتمع أو النسق ،بحيث يقدم تفسيرا لتكامل الأجزاء و الجماعات في التنظيم ، و يؤكد أن هذا التكامل يتحقق من خلال النسق القيمي السائد في ا تمع ، و من خلال كذلك أهداف التنظيم ذاته ، و بتحقيق التكامل تتحقق و تتحد الأدوار التنظيمية ، حتى تصبح ملائمة لتوقعـات النـسق الاجتماعي الأكبر ، إن منظومة الأدوار التوقعية يتلاقاها الأفراد عن طريق التنشئة الاجتماعية.

2-نظرية التنشئة الاجتماعية:

إن ما اصطلح عليه علماء الاجتماع بالتنشئة الاجتماعية، ليس وليد فكر حديث، لقد اهتمـت الفلسفة الاجتماعية، سيما عند أفلاطون و أرسطو و من جاء بعدهم بموضوعات، نـستطيع أن ندرجها تحت محور التنشئة الاجتماعية، لكن الذي يهمنا هاهنا هو :كيف تعمل فئة بحثا المتاجرة بالأزياء الدينية و العطور...،على إعادة إنتاج بعض التوليفات الثقافية و الايدولوجية، المحـصلة بواسطة عملية التنشئة الاجتماعية التي تلقتها في حيا ا كفئة اجتماعية ، بغض النظر عن الفكـرة الحديثة أو القديمة للفكر التنشوي الاجتماعي، إن علماء الاجتماع يستخدمون هذا المـصطلح- التنشئة الاجتماعية – و هم يشيرون به إلى مختلف العمليات و الخبرات و المهارات و المعـارف ...، و التي يكتسبها الفرد طفلا، فمراهقا، فراشدا، فكهـلا، فشيخا، في حيا ـم الاجتماعية، و التي تعمل على استدماجهم مع اكتسبوه و مع ما نشأوا عليه ،" إن للوسط الاجتماعي الـذي يتحرك فيه الطفل أثره البالغ، في تكوين شخصية الكائن البشري، من البيت إلى الأقـارب، إلى القرية إلى الحي، إلى مجالات المسؤولية إلى الطبقة التي تنتمي إليها، ثم ا تمع الكبير الذي يحـوي كل ذلك، فلكل آثارها و تفاعلا ا في نمو الأطفال و تنشئتهم، و تعليهم ما يتعلمون، سواء ذهبوا إلى المدرسة أو لم يذهبوا، و تلتحم كل هذه المؤثرات التحاما مع مؤثرات المدرسة، و غيرها مـن أجهزة التعليم المنظمة، ليستوي من كل هذا عمليات البناء في شخصية الكائن البشري " (1)

(1) لويس كامل مليكة، قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية، الدار القومية للنشر، ط1، 1965، ص121

فالتنشئة الاجتماعية ذا المفهوم هي العملية التي تحول الكائن البشري، من مجـرد كـائن بيولوجي غريزي، إلى كائن اجتماعي تحكم سلوكاته ضوابط اجتماعية، ثم أن الحديث عن الضوابط، يقودنا الحديث و لو باختصار عن الهيئات و المؤسسات الاجتماعية، الممارسة لعملية التنشئة الفارضة لهذا الضبط الاجتماعي و لهذه القواعد.

تعتبر الأسرة أولى مؤسسات التنشئة الاجتماعية، لأ ا باختصار المحيط الأول الذي يلـد فيـه الطفل.و الذي يمنح له (أي هذا المحيط) أولى عمليات التفاعل الاجتماعي "...إذ يتعلم الفرد كيف يتصرف كعضو في مجتمعه، بنفس الطريقة التي يتعلم ا كيف يقرا أو يكتب...،و يلعب الآبـاء دور المعلم و توزيع الثواب و العقاب على ضروب السلوك التي تجد قبولا أو رفضا اجتماعيا..." (1)

ثم أن درجات التفاعل الاجتماعي هذا، سوف تتوقف على نوعية كل أسرة و أسـاليبها المتبعـة في عملية التنشئة مع افرادها، فكلما كان الأسلوب تحاوريا اصغائيا مع الطفل خاصة، يصيغ شخصيته على نحو يسمح له أن يكون فاعلا اجتماعيا، وينمي فيه الاعتماد على الـذات وتعزيـز الثقـة في بالنفس، وأن الأساليب التسلطية الاستبدادية تأتي بنتائج عكسية على شخصية الطفل "....يكـاد يكون أسلوب تنشئة الأطفال في ا تمعات العربية تكرارا لأسلوب الجيل السابق، فـالأم تـستقي معلوما ا في العناية بالطفل من قريبا ا الأكبر منها سنا، ونادرا ما تستشير مربيا أو طبيبا...." (2)

وعلى العموم يعامل الطفل في ا تمعات العربية خلال مراحله الأولى (مرحلة الطفولـة المبكـرة)، بدرجة عالية من الحنان و التسامح، خاصة من طرف الجدة و الجد إن كانت الأسرة ممتدة ، لكـن و بعد هذه المرحلة أي بعد النضج الجسدي، بحيث يصبح الطفل قادرا على بعض الأشـغال الخفيفـة، كجلب الماء خاصة لدى الأسرة الريفية، و قضاء حاجيات البيت (شراء خبز، حليب...)، و هـي مرحلة ما قبل دخول المدرسة، تتغير الأساليب التربوية لدى الأسر العربيـة، و إن كانـت هنـاك فوارق و درجات من مجتمع لآخر، و من منطقة لأخرى داخل ا تمع نفسه " إن اعتمـاد أسـلوب العقاب الجسدي، و خاصة في أوساط الطبقات الدنيا، كوسيلة من وسائل التنشئة و التهديد بالحرمان من العواطف و المحبة، يهدف إلى ترويض الطفل و تعويده " الطاعة و الأدب " (3)

(1): علي عبد الرزاق حلبي و آخرون، مرجع سابق، ص363.

(2): د. فؤاد حيدر، مربع سابق، ص166 .

(3): نفس المربع، ص168 .

ولا شك أن أساليب من هذا القبيل، سوف يعطل عملية النمو النفسي الاجتماعي، و يـؤثر في بقية مراحل نمو الطفل، و التي تظهر خلالها الكثير من العقد الاجتماعية، كالخجل و الانزواء و العنف و الانحراف و غيرها، فطفولة الأهل المليئة بالمشاكل الاجتماعية، كالأمية و الفقر و الحرمان و غيرها، سوف تنتقل إن لم نقل تورث نتائجها العكسية للأجيال اللاحقة، فالطفل إذا يكتسب الكـثير مـن القيم الثقافية و المعتقدات التي تشرط حياة أسرته.

تستمر عملية التنشئة الاجتماعية لكن هذه المرة بميكانيزم جديد، يعد بحق عالما يكتشفه الطفـل، انه عالم المدرسة الذي يعتبره الكثير من المختصين، محيطا للتثقيف المقنن، فالطفل في المدرسة هو أول احتكاك له بالجماعة الأولية، فهو يتعرف على أطفال من الطبقات المختلفة و بثقافات متعـددة، إن أساليب التربية التي يتلاقاها الأطفال في أسرهم، سوف يسحبو ا إلى هذا العالم الجديد –المدرسة – يقول غيه روشي (*G.ROCHER*) " المدرسة هي ا ال الذي يحتك به الطفل بعد العائلـة، وفي هذا ا ال يتصل بأطفال آخرين من سنه، و هذا الاتصال يعتبر كعنصر للتكوين " [(1)].

و لا يخفى على احد إن الطفل يلقن في المدرسة إلى الجانب المعرفي، فهو ينتقل من كائن أمي أو شـبه ذلك، إلى كائن يقرأ و يكتب بالتدرج يلقن كذلك ضروبا من الآداب الاجتماعية، ففي هذا المحـيط يتعرف الطفل على أدب التعامل الذي تفرضه المواقف، سواء أكان ذلك مع معلمه، أو مديره، أو مع بقية زملائه، كما انه يبدأ يشعر بقيمة الوقت و ثقله، كنتيجة للرزنامة المفروضـة عليـه (وقـت النـوم و الاستيقاظ مثلا، الدخول، الخروج.....و غيرها) فالمدرسة هي ذلك ا ال الذي يـتم فيه صقل مواهب الطفل و استعداداته، تبعا لعملية التنشئة و التربية و التعليم و التثقيف المستمر .

كما يعتبر الدين من الميكانيزمات الهامة في التنشئة الاجتماعية، سيما في ا تمعات العربية لكـن تناول المسألة الدينية من الوجهة نظر علماء الاجتماع، يفضي بل و يقتضي الأمر التمييز بين الكـثير من الممارسات الاجتماعية فهناك " الدين الرسمي و الدين الشعبي، فالدين الرسمي يتسم بالتشديد على النصوص و الشريعة، و التوحيد، و السنة، و الوحي، و مساواة المؤمنين العام أمام الله، و يتمثل الدين الشعبي بالتشديد على الاختيار الروحي، و التدرج في علاقة المؤمن بالله.و ذلك بالتعبد للأوليـاء و المزارات، التأويل و الرموز، و الصور و الأشخاص، أكثر من الكلمات و القواعد

---

(1):GUY KOCHER , INTRODUCTION ALA SOCIOLOGIE GE NERALE , L'ACTION SOCIAL , ED HMH, 1968 .P 151

ا ردة، و يمارس في الأغلب في القرى، و أحيانا في المدن الفقيرة، تبرز في الديـــن الرســـمي الكلمة و السنة، فيما يبرز في الدين الشعبي الشخـــص و الوجـــدان، من هـــنا كثـــرة وجود قبور الأولياء و المزارات و الزوايا و الطرق الصوفية، في القرى و أحياء المدينة الفقيرة المحرومة، و ندر ا أو غيا ا في المدن، حيث تتمركز السلطة الدينية الرسمية و سلطة الدولة " (1)

فمن خلال هذه المقارنة بين الدين الرسمي و الشعبي، يتضح الأهمية القصوى للمعتقد الديني في عملية التنشئة الاجتماعية، فالمعتقد هو الذي يجعل سلوك الأفراد يختلف، كما انه هو الذي ينظم العلاقـــات الاجتماعية بين الأفراد فيما بينهم، أو بينهم و بين الله كإفراز لما يعتقدون من قيم و ما يحملون مـــن ثقافة، و يعتبر السيد عويس: " أن هذه المظاهر تعود في جذورها إلى حالات القهر و الظلـــم الـــتي يتعرض لها الفقراء، و لا يجيدون في ا تمع و مؤسساته و جماعاته و أفراده، من يرفع عنهم ذلك، هي التي تدفعهم اللجوء إلى مثل هذه الحلول " (2)، و الحقيقة إن الكثير من المظاهر التي يعتبرها الـــسواد الأعظم من ا تمعات العربية، مظاهر من الدين، بيد أ ا تقاليد خالصة دخلت الدين و استمرت فيه.

انه ذا المعنى التنشئة الاجتماعية هي مفهوم كلي، يعمل بعدد من الميكانيزمـــات الـــتي ذكرنـــا كالأسرة، و المدرسة، و الدين، و التي لم نذكر كجماعة الأصدقاء و الجيرة و غيرها، و التي سنوفيها حقها من التحليل خلال مباحث لاحقة من هذه الاطرقة.

3- الثقافـــة:

إن الثقافة هي طريقة و أسلوب حياة الإنسان، بغية إشباع حاجياته النفسية و الاجتماعيـــة، فالأفراد ينتظمون وظيفيا في طبقات و جماعات يشعرون بالولاء إليها، فممارستهم للأدوار و المواقع ترتبط اشد الارتباط بالأنماط الثقافية، التي تتجسد في أكثر من مظهر، فمن الأعـــراس إلى المـــآتم إلى الأزياء...،كلها رغبات في تحديد المكانة الاجتماعية ، و عكس للهواية الفردية و الجماعية لممارسيها ، إن الثقافة الاجتماعية للأفراد و الجماعات ، تفرض نفسها في الفضاءات الاجتماعية ، مثـــل مـــا تفرض باقي الأشياء تماما ، يقول" بورديو : *P . BOURDIEU* ": "... كل نوع من أنواع السلطة ، و ليس السلطة التي تفرض نسها من خلال الأوامر فحسب ، و إنما تلك التي تمارس مـــن غـــير أن يكون علنيا ممارستها ، تلك التي ندعوها سلطة طبيعية ، و التي تسكن اللغة و أنمـــــاط السلوك ،

(1):فؤاد حيدر، مرجع سابق، ص256 .

(2): السيد عويس، من ملامح ا تمع المصري المعاصر، ظاهرة إرسال الرسائل إلى ضريح الإمام الشافعي، المركز القـــومي للأحـــداث الاجتماعيـــة، القاهرة، بدون سنة، ص131، ص132 .

و أسلوب العيش ، و حتى الأشياء كالصولجان أو التاج و اللوحات و الأثاث العتيق و الـسيارات ، كل نوع من أنواع السلطة يستند إلى شكل من أشكال الاعتقاد الأصلي ، أكثر عمقا و تجذرا مـما نفهمه من هذا الاسم " (1)

فاستخدام بورديو لمصطلح الرأسمال الثقافي هو الذي مهد له القول أن هذا الأخير، يمارس عنفا رمزيا إلى غاية أن يعترف به، و أن يجد له مكانة في من يمارس عليهم هذا الرمز ذي الطابع العنفي، فالملكية للرأسمال الثقافي هي التي تسمح لجماعة ما أن تسود اجتماعيا و تمتاز عن بقية الجماعات.

4- **الأيديولوجيا:**

يعني مصطلح الايدولوجيا فيما يعنيه ، مجموعة المعتقدات و القيم و الأفكار الواقعية و المعيارية ، التي تسعى إلى تفسير الظواهر الاجتماعية المركبة و المعقدة ، فمقـولات الايـدولوجيا حـسـب "*LOUIS ALTHUSSER*" نتلمسها في قوله : " إ ا(أي الاديولوجيا) عبارة عـن تـشكيلات معقدة من تركيبات لمقولات ، و تصورات و صور و سلوك و مواقف و حركات ، يعمل هذا الكل كمعايير عملية تتحكم في اخذ الناس لمواقف ملموسة اتجاه المواضيع الحقيقية ، و المـشاكل الفعليـة لحيا م الاجتماعية و لتاريخهم " (2) ،فالمعتقد الايدولوجي حـسب "*ALTHUSSER*" يمـارس شروطه التوجيهية عند الفرد كلما كان هذا الفرد مؤمنا به و مصدقا لمقولاته، من هذا المنطلق بالذات سوف نحاول الإجابة عن سؤال مركزي، يتعلق بعينة بحثنا المتاجرة بالأزياء الدينية و العطور...،مـا مدى توجيه الشروط الثقافية و الايدولوجية لدى عينة بحثنا في اختيارا ا المهنية خاصة، ثم ما درجـة خلفية المعتقد الذي تؤمن و تعتقد به هذه الفئة ؟ .

هذا ما سنحاول الإجابة عليه من خلال تطرقنا لفصول هذه الأطروحة، سيما الجانب الميـداني منها.

إن الايدولوجيا: "...بالمعنى العيني هي نظرة فرد أو فئة إلى جماعة شاملة، معينة أو نظرة جماعة معينة إلى نفسها، من حيث هي جماعة متميزة الهوية و فاعلة في سبيل تحقيق مصالحها و تطلعا ا ." (3)

---

(1):بيار بورديو ، الرأسمال الرمزي و الطبقات الاجتماعية ، الفكر العربي المعاصر، العدد 41، 1986، ص49 .

(2): لوي التويسر، الفلسفة و فلسفة العلماء العفوية، ترجمة رضا الزواري، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1989، ص 42.

(3): ناصيف نصار، الايدولوجيا على المحك، دار االطليعة، بيروت، 1994، ص10

و في هذا الجانب سوف نعمل إن صحت فريضتي القائلــة: يعطي فعــل المتاجــرة بالأزياء الدينية و العطور...،و يحدد لدى ممارسيها هويتهم الثقافية ، سنعمل على توضيح ما مدى مــساهمة البعــد الإيديولوجي و الثقافي، في تحديد الهوية الفردية و الجماعية، من حيث هي فئة اجتماعية تتميز ــذا النشاط، و تمارسه اذين البعدين الذين ذكرنا.

أما (*KARL MANNHIEN*) فيحاول أن يقدم تفريقا بين الإيديولوجية و الطوباويــة، فــالفكر الطوباوي هو ذلك الفكر الذي يسعى إلى تحقيق أهداف تتعلق بأشياء وهمية ،غير قارة و لا موجودة، بينما الفكر الإيديولوجي فهو" ... تفكير حقبة أو جماعة أو طبقة، ينصــب الاهتمام على خصائص و مكونات البنية الكلية للعقل في هذه الفترة أو عند هذه الجماعة." [1]

ففي الايدولوجيا هناك تجانس و تواؤم بين ما تفكر فيه جماعة أو طبقة، و بين الواقع المعــيش، هــذا التجانس تمليه جملة من المصالــح الشخصيــة و الجماعيــة القابعــة و الكامنة وراء أنماط تفكيرها و اعتقادا ا.

---

(3):KARL MANNHIEN , IDIOLOGIE ET UTOPIE , TRAD : POULINE ROLLET . RIVERE ET CIE , PARIS .1956 ,PP42-44

الدراسات السابقة:

يقول مالك بن نبي في كتابه: حديث في البناء الجديد:"تجمع بين أفراده فكــرة مقدســة، وليست تكديس أو تجميع للأفراد...و هذا يقتضينا أن نفكر في ا تمع تفكير بناء و ليس تفكــير تكديس، لان التكديس في ا تمع ظاهرة مضرة، وهي تظهر حتى في الأفكار."[1].

و عليه سنبذل جهدا حتى نجعل من دراستنا هذه:" البناء الثقافي و الإيــديولوجي للمهــن "، إخراجا و تحصيلا علميا جديدا، و ليس اجترارا للأفكار و نتائج قد حصلها من سبقنا إلى مثل هذه الدراسات.

لكن السؤال الذي يحق لنا أن نطرحه قبل تناولنا لهذا الباب، باب الدراسات السابقة، لماذا نتعرض لمثل هذه الدراسات؟ و ماهي الفائدة العلمية النظرية و التطبيقية التي ســيجنيها الباحــث السوسيولوجي من كل هذا ؟.

إن سؤالا كهذا يجد مشروعيته في جانبين أساسيين:

أولا:الجانب المنهجي: ففي هذا الجانب من المعروف أن إشكالية أي بحث علمي كان، تتطــور بتطوره و لا تنتهي بانتهائه، و عليه فانه سيستفيد الباحث المتعرض لمثل هذه الدراسات، من الكثير من الأسئلة التي تطرحها هذه الأخيرة، بصفة مباشرة أو غير مباشرة، هذا من جهة و مــن جهــة أخرى، رغم أن كل بحث يبني منهجيته الخاصة به، إلا أن الباحث يجد الكــثير مــن التقطعــات المنهجية التي سيستفيد منها في بحثه الخاص.

ثانيا: الجانب النظري:

لا شك أن أية دراسة علمية كاملة لا تنطلق من فراغ، بل تتبنى موقفا نظريا واضحا، منها تستمد تفسيرا ا و توجها ا، وعليه فسيلاحظ الباحث الكيفيات التي انداحت (انــدمجت) ــا هــذه الدراسات، في قالب هذه النظريات و الكيفيات التي ا وظفت مفاهيم و فروض هذه الأخيرة.

و الآن نتعرض لبعض الدراسات التي تناولت لمثل هذه المواضيع الثقافية و الإيديولوجيــة، في ميدان العمل، بحيث سنصنفها إلى نوعين: دراسات أجنبية، دراسات محلية.

---

(1):مالك بن نبي، حديث في البناء الجديد، مجموعة محاضرات، جمع و ترجمة عمر كامل مسقاوي، منشورات المكتبة المصرية، مصر، بدون تاريخ، ص58

1- الدراسات الأجنبية:

❖ المثال الذي سنقدمه في مجال الدراسات الأجنبية، هو تلك الدراسة التي قام ا الـدكتور الياباني: " ياسومازاكورودا" و هو أستاذ في جامعة هاواي –هونولولو- بالو.م.أ تحـت عنوان:" التحديث و الاغتراب في اليابان".

تندرج دراسة الدكتور: " ياسومازاكورودا"، ضمن البحـوث الميدانيـة الـتي تبحـث في المرجعيات الفكرية و الثقافية و الاجتماعية للعامل الياباني سيما الصناعي منه، رغـم شـدة التحول التكنولوجي الرهيب الذي تعرفه بلاده (اليابان).

ـدف هذه الدراسة إلى تبيان عملية التحديث التي شهد ا اليابان، في المائة عام الماضية بأقل قـدر من التمزق الاجتماعي، كما يتضح ذلك من انخفاض معدل جرائم العنف في اليابان مقارنة بالأمم الصناعية الأخرى، فمعدل الجرائم يتناقص في اليابان مع التصنيع و التحديث، فما سر ذلك؟

يلاحظ الدكتور " ياسومازاكورودا" أن عددا من البحوث الامبريقية، التي أجريت حول العامل الياباني، تؤكد فرضية واحدة هي: على الرغم من أ ا تبدو القيم اليابانية للغرب كما لـو كانت حديثة، فإ ا في حقيقة الأمر جزء لا يتجزأ من القيم اليابانية التقليدية.

يكتشف الدكتور " ياسومازاكورودا" في ا تمع الياباني أسرة جديدة للعامل الياباني، ألا و هي الشركة، فعلى الرغم من أن الحضارة الصناعية و عملية التحويل التكنولوجي قد غيرت الكثير من أوجه الحياة المدنية، فإ ا لم تغيـر من حاجة الإنسـان إلى علاقـات الجماعـة الأوليـة، و يقصد بالجماعة الأولية تلك الحاجة إلى نظام الأسرة الخارجي و مختلف تنظيمات القرية فيما قبـل التصنيع، و على الرغم من انه يقول: أن عدد النساء و الرجال قد نزحوا من الأرياف و المـدن، خلال عصر "مايجي"، بيد أ م استطاعوا الحفاظ على علاقات الجماعات الأوليـة، فمـا سـبب ذلك؟.

يطرح " ياسومازاكورودا" فرضية مؤداها: "أن النساء و الرجال الذين هاجروا إلى المـدن، اعتبروا مكان عملهم المصدر الثاني أو حتى الأول لعلاقات الجماعة الأوليـة"، فبعـدما فقـدوا جذورهم في قراهم، أقاموا لأنفسهم أسرا جديدة في مكان عملهم، و هناك دراسة يشير إليها د." ياسومازاكورودا" حول الشخصية القومية اليابانية، أثبتت أن خمسة أثمان اليابانيين يفضلون الرئيس

الأبوي على المدير الحديث، أن أغلبية كبيرة من اليابانيين كذلك (80%) يقرون بان الأسرة هي المكان الوحيد الذي يشعر فيه المرء بالراحة و الدعة.

و يلاحظ د. " ياسومازاكورودا" انه في اليابان يتم الاحتفـاظ بالمؤسـسة ذات الطـابع العائلي، لأن الفرد فيها يلعب أدوارا كثيرة، فالفرد هنا لا يبيع مهارته بالعمل للشركة، بل ينتمـي إليها، و شتان بين المفهومين، فيجد عمال الصناعة مثلا و مؤسسات الخدمات في اليابان في مكان عملهم، أسرة جديدة حلت محل "جماعة العمل" (*KIMI*) الجماعة الـشتوية (*UJIKO*) الـتي اعتاد أسلافهم الانتماء إليها.

ثمة نتائج يخلص لها د. " ياسومازاكورودا"، هو أن سر قوة اليابان و قدرا ا على المواجهة، يمكن في الحفاظ على مراعاة التصنيع و كل مجالات العمل، على الروابط الأولية لجماعات العمل، فهذه الروابط بروافدها الثقافية و تراثها القيمي، هو الدواء الذي قدمته الحضارة اليابانية، و الذي يحتوي على جرعة كبيرة من علاقات الجماعة الأولية.

❖ سنحاول من خلال هذا النموذج الثاني في الدراسات الأجنبية، أن نتطرق الموضوع الهوية (*IDENTITE*) باعتباره فصلا مركزيا في بحثنا" البناء الثقافي و الاديولوجي للمهن".

لقد قام "أوزيرمان (*Oyserman*) و " ساكوموتو *Sakamoto*) بمحاولة للتوقف و رصد العلاقة بين التوجهات الفردية و الجماعية و الهوية العرفية، و المعتقدات الخاصة بالنمط الثقافي لدى الشعوب الآسيو أمريكية، بعبارة أخرى حاولا معرفة المرجعيات الثقافية الـتي وفقهـا تسلك هذه الجماعات و الأعراق الاسيو أمريكية.

- افترض الباحثان أن الهوية الآسيو أمريكية أربعة مكونات:

1. وجود مشاعر الاعتماد المتبادل بين الفرد و اسرته.
2. الإحساس إلى الانتماء إلى التقاليد و الوروثات الثقافية الآسيوية.
3. الاعتقاد بان كل إنجاز يحققه الفرد، سوف ينعكس بالضرورة على أسرته بـصفة خاصة، و جماعته التي ينتمي إليها بصفة عامة.
4. الوعي بالحدود العنصرية التي تفصل الآسيوي عن الآخرين، و تؤكد إشراكه مـع جماعته في مصير واحد.

و لاختيار هذه الفروض، اختار الباحثان عينة من 62 مبحوثا آسيويا و أمريكيا، بالتساوي بين الإناث و الذكور، و من بلدان مختلفة 33.3 % من الـصينيين، 38.8 % مـن

اليابانيين و الفلبينيين و الفيتناميين و التايوانيين، و 28.4 % من الكوريين، و اسـتخدم الباحثان "أوزيرمان (*Oyserman*) و " ساكوموتو *Sakamoto*) مجموعة من المقاييس تمثلت أساسا في:

❖ مقاييس الهوية الآسيو أمريكية لـ : "*Oyserman* " و يحتوي على أربعة مؤشرات أو عوامل:

1. قوة الترابط(التواصل).
2. الاهتمام الأسري.
3. الاتحاد القائم على الاعتماد المتبادل.
4. الوعي بال عة العنصرية.

ثم أظيف لهذا المقياس مقياس آخر تمثل في:

1. أخلاق العمل.
2. الفردية.
3. ال عة الجماعية.
4. تقدير الذات الجمعي.
5. العنصر و العرق كحدود النجاح.
6. النمطيات و الاستراتيجيات.

لقد أسفرت هذه الدراسة على ما يلي:

1. تتصف توجهات الاسيو امركيين بالروح الجماعية، وهي تغلب على الروح الفردية، و هما أي الفردية والجماعية مستقلتين.
2. ثمة ارتباط بين ال عة الجماعية وتقدير الذات الاجتماعي، فالفردية عنـدهم ترتبط بتقدير الذات الجماعي، و الجماعية ترتبط بال عة العرقية و الإحساس بالتميز الذي يبلغ حد الافتخار بالانتماء إلى الموروث الثقافي الآسيوي.
3. هناك ارتباط دال بين أخلاق العمل و ال عة الجماعية.
4. هناك ارتباط دال بين الإنجاز القائم على الاعتماد المتبـادل و الإحـساس بالهوية العرقية، و الارتباط الأسـري، و غيـرها مـن مكونـات الهويـة الاسيو أمريكية.

ومن جملة ما غنته هذه النتائج أيضا، هناك نمـط راسـخ التكوين شكلتـه عوامل ثقافية و عرقية و سلالية، منحت الهوية الاسيوامريكية طابعا فريدا و متميزا، الـ ءـة الجماعيـة و روح الفريق قيمة قصوى في العمل، تحقيق و تقديرات الذات لا يكون إلا بالعبور في اطـر جماعيـة. الارتباط بالموروث و الالتزام القيمي بالتقاليد هما دافعان للتقدم و للحفاظ على الهوية.

2-الدراسات المحليـــة:

أولى الدراسات المحلية التي استرعت انتباهي، هي تلك الدراسة التي قام ا الأستاذ جمـال غريد، و هو أستاذ و باحث في علم الاجتماع و الانتربولوجيا بجامعة وهران *CRASC* تحت عنوان "العامل الشائع: عناصر للاقتراب من الوجه الجديد للعامل الصناعي الجزائري".

تندرج دراسة أ. جمال غريد ضمن البحوث السوسيولوجية في ميدان العمل، وهو اقتراب تنقيبي للعامل الصناعي الجزائري، و للتأثيرات الاجتماعية بصفة عامة التي يمارسها داخل مجتمـع المصنع، كما تعد كو ا دراسة نقدية لأنساق النظرية و طرقها التفكيرية، و اشكاليا ا الراميـة إلى فرض صورة العامل المواطن المنتج و المستهلك العقلاني.

لاحظ "أ. جمال غريد" أن مشروع التصنيع في الجزائر، كان يهدف فيما كان يهدف إليه، تحقيق مشروع مجتمعي يعتمد تثقيف الجزائريين و تحويلهم إلى مواطنين عصريين. لكن كيف و بأية وسيلة؟.

انه يكفي للانتقال من مجتمع تقليدي " إلى مجتمع عقلاني"، علـى حـسب رأي الكـثير الساسة، إعادة إنتاج تاريخ ا تمعات الغربية، لكن بصفة سريعة تنقوية، أو ما دعاها "أ. جمـال غريد" "بحرق المراحل "، و الوسيلة في ذلك هو الإطار المسير و العامل المنتج.

يرى "أ. جمال غريد" أن الممعن للنظر في الدراسات المتعلقة بالعامل الـصناعي، يلاحـظ وجود اقترابين متناقضين، لكنهما يلتقيان في نقطة جوهرية و هي: اعتبار المصنع عامل للعقلانيـة و مؤسسة للتنـشئة الاجتماعيـة و التثقيـف. هـذين الاقتـرابين همـا: نظريـة التحـديث *(modernisation)* التي تؤكـــد على دور المصنـــع و اعتباره مؤسسة لإعادة التنشئة الاجتماعية.

النظرية الماركسية التي تـ ح أكثر فأكثر إلى التنظيم و التركيز على الحتمية التاريخية، وطرق التنمية اللاراسمالية، لكن الخطأ الجسيم حسب "أ. جمال غريد" الذي وقع فيه هذين الاقترابين هو

اعتبارهما العامل المصنعي، عامل من كل ثقافة أو يتوفر على بعض البقايا الثقافية. فهي إذا تغفـل عملية التثقيف التي يكون المصنع مسرحا لها، هي في حقيقة الأمر تراكم يتم في وسـط أوسـع، فالأبحاث تدل لما لا يدع مجالا للشك حسب "أ. جمال غريد" أن العمال في المـصنع يتحـددون اجتماعيا تبعا لأنماط ثقافية و ليس انطلاقا من أنماط عصرية، فمثلا يقول "أ. جمال غريد" نلاحظ المتطلبات الدينية تفرض نفسها على النظام المصنعي، فمن قاعات الـصلاة داخـل المـصنع، إلى السفريات ا انية إلى الحج، إلى العطل الخاصة في حالة وفاة شخص من العائلة أو ختان...أن غالبية العمال المنعوتين بالشائعية مازالوا ينتسبون سلوكيا داخل المصنع إلى النسق الثقافي التقليدي، الذي هو باسط هيمنته بصفة كلية في الأسرة و المسجد و الحي السكني...و يعرف "أ. جمـال غريـد" هؤلاء العمال بقوله: هم في العادة عمال شباب ذو أصول ريفية و فلاحية مازالوا يحافظون علـى ارتباطا م بعالمهم الأصلي. أ م حاملون لعناصر ثقافية يرتبو ا و ينظمو ـا، فهـم مبـسوطون بالإسلام، يجهلون تماما قواعد اللعبة المعمول ا داخل المصنع وهم شائعين لأ م يتواجدون بكثرة في ورشات الإنتاج.

1. إن أهم نتيجة قد توصل إليها الباحث، هو أن الدين يلعب دورا هاما في تحقيق الانـدماج والمقاومة، فهو يصبح ملاذا لهذا العامل المنعوت بالشائع، يلجأ إليه و يحتمي به في مواجهة الهمجية الصناعية.
2. إن العامل في تنقله اليومي بين مكان الإقامة و مكان العمل، فهو في الواقع ينتقل من ثقافة إلى أخرى.
3. يتعامل العامل الشائع مع المصنع تعاملا أداتيا، (أعطيتك جهدا، اعطني أجرة)، فمعارضـته للمصنع ليست معارضة مصالح، بل هي معارضة عالمه الخاص و الثقافي و الإيـديولوجي لعالم آخر.

الدراسة الثانية كانت للباحث: عيادي السعيد تحت عنوان: التنشئة السياسية بين المدرسـة و البيئة الثقافية. و هي رسالة ماجستير، معهد علم الاجتماع، جامعة الجزائـر للـسنة الجامعيـة 1997-1998.

انطلق الباحث من الإشكالية التالية: ما هو حجم و تأثير المدرسة على الطلاب، من اجـل تمكينهم الحصول على تكوين سياسي، يخولهم معرفة ما يحيط م داخل بنيتهم الاجتماعية.

ما تأثير البيئة الثقافية الخارجية بموازاة تأثير المدرسة في تشكيل مواقف سلوكية، و بناء قيم و معايير سياسية ؟.

هل كان إنجاز عملية التنشئة السياسية في اتجاه يسمح بجعل العملية كفيلة بترسيم قيم الاستقرار و الولاء، و الشعور بالانتماء و الإحساس بدافع الهوية. أو تقمص ادوار مرسومة، والتوجه نحو أهداف اجتماعية محددة وفق أهداف و غايات مضبوطة.

و يقترح الباحث لذلك الفروض التالية:

1. تؤدي برامج التنشئة السياسية الرسمية دور التبرير لشكل و طبيعة النظام السياسي، قصد تكوين أو تغيير الثقافة (بثقلها التاريخي و تأثرا ا الفكرية و السلوكية)، السياسية للطلاب بالتوافق مع أهداف و غايات التنظيم.
2. إن مجالات البيئة الثقافية بثقلها التاريخي و تأثيرا ا السلوكية و الفكرية، تشكل ضغطا معاكسا لمسار المدرسة في توجيه الطلاب توجيها مغايرا، لما تحمله برامج التنشئة السياسية فيها من قيم و دلالات ومواقف.
3. إن طبيعة السياق الاجتماعي و الثقافي لا يوفر للجنسين من الطلاب، نفس اطر الحكم و التفكير في تحديد الموقف الشخصي، من أبعاد التغيير السياسي الحاصل في الجزائر.

وبعد الاقتراب النظري و الميداني توصل الباحث إلى النتائج التالية:

- ❖ غياب سلطة ثقافية مسؤولة وواعية. أدى بالطلبة الثانويين تدريجيا إلى الإحساس و الشعور بالقطيعة بين الإطار الثقافي المدرسي، والبيئة الثقافية الخارجية عموما، و أن البرامج الملقنة لا تساعدهم في عملية التكوين الثقافي والسياسي، إضافة إلى أن البيئة الثقافية لا تسد هذا الفراغ.
- ❖ عدم وجود علاقة بين محتوى التربية السياسية، وطبيعة الأوضاع السياسية ووجود ازدواجية بين التشريع السياسي و التوجه التربوي المدرسي المتناقضين، يدفعهم إلى تأكيد هذه القطيعة.
- ❖ أن محتوى المادة مازال يعبر فقط عن توجه الحزب و النظام الحاكمين، مهملا أية إشارة للقوى والحركيات السياسية الفاعلة.

الدراسة الثالثة و الأخيرة التي أردت عرضها، هي للطالبة:عقاب نصيرة، تحـت عنـوان: التنشئة الاجتماعية و أثرها في السلوك و الممارسات الاجتماعية للفتيات، و هي رسالة ماجستير، معهد علم الاجتماع، جامعة الجزائر، للسنة الدراسية 1994-1995.

انطلقت الباحثة من الإشكالية التالية:

هل يتمسكن الفتيات بقيم تنشئتهن الاجتماعية، أم أصبحن يطالبن بقيم جديدة، من خلال تصورا ن الاجتماعية؟.

و قد وضعت لهذا التساؤل العام فرضيات البحث التالية:

1. يخضع السلوك الاجتماعي للفتيات إلى تنشئتهن الاجتماعية.
   - أ-الضبط الاجتماعي يحدد مجال تنقل الفتيات.
   - ب-التفرقة بين الذكور و الإناث يحدد اختيار الأصدقاء.
2. التنشئة الاجتماعية تؤثر في الممارسات الاجتماعية والثقافية للفتيات.
   - أ-تخضع ظاهرة الاوتوستوب إلى التمييز بين الذكور الإناث.
   - ب-إن التردد على دور السينما و المسرح يتحدد وفقا للتفرقـة بـين الـذكور الإناث.
3. إن تصور الفتيات لكل من العذرية، معايير الزواج، العمل، هي نتيجة التفاعل بين تأثير التنشئة الاجتماعية من جهة, و التغيرات الاجتماعية و الثقافية من جهة ثانية. و يبقى العامل الحاسم في ذلك التنشئة الاجتماعية.
4. مهما يكن نموذج التنشئة الاجتماعية، فهو يؤثر في تصور التربية المستقبلية للفتاة.

وبعد الدراسة النظرية و الميدانية توصلت الباحثة إلى النتائج التالية:

- لازالت التنشئة الاجتماعية تقوم بدورها في تحديد سلوك الفتيات، رغم المـتغيرات الكثيرة، كانتشار التعليم وارتفاع نسبة العاملات...

تحاول الفتيات التأقلم مع الأوضاع الجديدة، دون التخلي عن جـوهر التنـشئة الاجتماعية، و هن بذلك يحافظن على قاعدة التقسيم الجنسي للمجال و لـلأدوار الاجتماعية، فبالنسبة للسلوك الاجتماعي كمؤشر للضبط الاجتمـاعي، لازالـت الفتاة تطلب الإذن من الأهل وقت الخروج من الم ل و بالتالي (الضبط)، هو الذي

يحدد مجال تنقلهن، أما اختيار الأصدقاء فقد صـرحن المبحوثـات بـان وجـود صديقات ضرورة، بينما وجود أصدقاء غير معترف به اجتماعيا.

أما علاقة الممارسات الاجتماعية و الثقافية كمثال عن الاوتوستوب، فمعضمهن صرحن بالرفض القاطع، وذلك باستخدامهن كلمة (عيب)، أما بالنسبة للسينما كممارسة فهي غير واردة بالنسبة لهن.

الفصل الثاني

الاقتراب السوسيولوجي
لنظرية التنشئة الاجتماعية (المحتوى-الأدوات)

خطة الفصل.

تمهيد

المبحث الأول: معني و ابعاد المكانة و الدور الاجتماعيين

- المطلب الأول: المكانة الاجتماعية لغويا؛
- المطلب الثاني: المكنة الاجتماعية اصطلاحا؛
- المطلب الثالث: الدور الاجتماعي لغة؛
- الدور الاجتماعي اصطلاحا.

المبحث الثاني: الاقتراب السوسيولوجي لنظرية الدور الاجتماعي.

- المطلب الأول: عوامل محددات و اكتساب الدور الاجتماعي

أ- اثر الثقافة الاجتماعية

ب- اثر السن و الجنس

ج- الدور الاجتماعي و نسق الشخصية.

المبحث الثالث: المكانة الاجتماعية

- المطلب الأول: المكانة الاجتماعية و النوع
- المطلب الثاني: المكانة الاجتماعية و نسق الحاجات و الدوافع.

خاتمة الفصل.

تمهيـد:

لقد ورد مصطلح التنشئة الاجتماعية في بحثنا هذا، عند وضعنا للفرضية القائلة:"للتنشئة الاجتماعية سيما الدينية منها دور في توجيه الفرد أي المهنة سيختار"، لذا، نصرف اهتمامنا في سرد التعاريف الواردة حول هذا المفهوم، طالما أن هناك مبحث خاص بهذا الشأن في هذا الفصل، بل سنجيب عن سؤال مركزي و هام:

- ما حصة التنشئة الاجتماعية في تفسير الظاهرة موضوع الاقتراب؟

سنحاول الإفادة من مفاهيم هذه النظرية بشكل يبرر تطرقنا لهذا الفصل، حتى يعرف القارئ الطريقة التي سنحلل بها البيانات الميدانية في هذا الشأن، وذلك من خلال تحديد مفاهيم التنشئة الاجتماعية، ثم التعرض لمؤسسات التنشئة الاجتماعية بشكل يعرض القارئ ميكانزمات هذه الأخيرة و طريقة عملها، ثم نعرج على نظريات التنشئة بمشاربها و اتجاهاتها الرئيسية، سيما تلك التي تتعرض للتنشئة الاجتماعية من وجهة النظر الاجتماعية و النفسية الاجتماعية خاصة، طالما أن للموضوع علاقة بمكونات النفس البشرية وطرق تصرفها، ثم نختم بجملة استنتاجات تكون بمثابة زبدة هذا التعرض و الدراسة لمفهوم التنشئة الاجتماعية، فإذا كانت التنشئة الاجتماعية "عملية تكيفية " يمر بها الفرد في سيرورة نموه مع الوسط الاجتماعي، وما يحمله من قيم و أخلاق و اديولوجيا و غيرها، بحيث يصبح للتنشئة الاجتماعية وظيفتان تقوم يهما، أولا: تكوين الفرد، وثانيا: دمجه في الجماعة، فكما هو الفرد تشكيلة بيولوجية تتكيف مع وسطها الفيزيقي، فهو كذلك تشكيلة و نسق مفتوح يتأثر و يؤثر في وسطه الاجتماعي، سواء من خلال الأدوار التي يقوم بها، أو من خلال توقعات الأدوار لدى وسطه الاجتماعي، ويجب أن نشير هنا إلى أهمية عنصر الثقافة، فهي على أساسها يتم الحكم على السلوك سواءا أكان شاذا أو مقبولا اجتماعيا.« إن للوسط الاجتماعي الذي يتحرك فيه الفرد أثره البالغ في تكوين شخصية الكائن البشري، من البيت إلى الأقارب إلى القرية أو الحي، إلى مجالات المسؤولية، إلى الطبقة التي ينتمي إليها، ثم المجتمع الكبير الذي يحتوي كل ذلك. فلكل هذه أثارها تفاعلا في نمو الأطفال و نشئتهم، و تعليمهم ما يتعلمون سواء ذهبوا إلى المدرسة أم لم يذهبوا، و تلتحم كل هذه المؤثرات التحاما مع مؤثرات المدرسة و غيرها من أجهزة التعليم المنظمة، ليستوي من كل هذه العمليات البناء في شخصية الكائن البشري»[1]

(1): لويس كامل مليكة، مرجع سابق، ص121 .

المبحث الأول: معاني و أبعاد التنشئة الاجتماعية

المطلب الأول: التنشئة الاجتماعية لغويا:

لعل أن مصطلح التنشئة الاجتماعية "*socialisation*"، و نظرا لما يتصف بـه مـن العمومية، يجعل حصر معانيه لغويا امرا مهما و ضروريا، فنجد في قاموس التربية جملة تحديـدات مرادفة لمعنى *socialisation*، فمن الشتركة: جعل المرء اشتراكيا، إلى الجتمعة: جعـل المـرء اجتماعيا، إلى التآنس: و الذي يعني مشاركة الفرد في النـشاطات الاجتماعيـة، إلى التكيـف الاجتماعي: تكيف الفرد للتوافق مع ا تمع و البيئة، إلى تنشئة اجتماعية، إلى تطبيع اجتماعي عن طريق تعلمه السلوك المتوقع منه، إلى تثقيف اجتماعي، تأنيس: تربية لمساعدة الفرد على التوافـق الاجتماعي. (1)

فمن خلال هذا التحديد اللغوي الذي أردناه أن يكون ذو أبعاد سوسيولوجية، صارفين النظر عن التحديد اللغوي الأكاديمي البحت، يبدو لنا أن مصطلح التنشئة الاجتماعية مصطلح غني و ثـري بالكثير من المعاني التي يكتنفها و يجمعها في آن واحد، ولهذا اتصف و نعت بالعمومية.

المطلب الثاني: التنشئة الاجتماعية اصطلاحيا:

يرى "بودون" *R.BOUDON* « إن التنشئة الاجتماعية تعني تحويل الفـرد مـن كـائن لا اجتماعـي إلى كائـن اجتماعـي ، بتلقيـه أنماط التفكيـر و الإحساس و الفعـل » (2) .

إن هذا التعريف السالف الذكر لـ "*BOUDON*" نجده يتقاطع و يلتقي مع تعريف "إميل دوركايم" "*E. DURKHEIM*" ، عندما نعت ووصف التنشئة الاجتماعيـة في كتابـه "التربية و علم الاجتماع " بقوله: « التربية هي الفعل الممارس من الأجيال الراشدة على الأجيال الـتي لم تنضج بعد للحياة الاجتماعية ، والتي دف إلى خلق و تطوير لدى الطفل بعض الحالات الجسمية و الفكرية و الأخلاقية ، التي تتطلبها حاجته الشخصية ، وحاجة ا تمع الـسياسي في عمومـه، والمحيط الخاص الموجه إليه. » (3)

(1) محمد علي الخولي: قاموس التربية ، بيروت، دار العلم للملايين، 1981، ص450.

(1): BOUDON(R): "*dictionnaire de la sociologie*", France,Aubin Michel, Imprimeur,1990,p181.

(2):DURKHEIM (E): "*Education et sociologie* " , Alger, El Borhane, 1991, p15.

لقد تبين لنا من خلال التعريف السالف الذكر لدوركايم، إن هذا الأخير يقيم ربط بـين التنشئة الاجتماعية من جهة، و التربية مـن جهـة أخـرى، بحيـث نجـده يقـول في كتابـه السابق"*éducation et sociologie*" مايلي: " التربية تقوم على تنشئة اجتماعية منسقة(*une socialisation méthodique*) للأجيال الناشئة "[1].

و بالإضافة إلى هذا، فإننا رصدنا عددا من التحديدات و التعريفات الاصطلاحية لعدد من الباحثين، فبعرف جونسون(*GONSON*) التنشئة الاجتماعية بقوله: " عملية تعلم، يتعلم فيهـا الفرد أداء ادوار معينة " [2]. فجونسون هنا يطرح قضية التكيف مع الأدوار الاجتماعية عن طريق التلقين و التوليفـة الاجتماعيين، و هو قول نجده لـ:" غي روتشيه *Guy Rocher*" في كتابه "الفعل الاجتماعي" حيث يقول: « كل يوم يملي علينا(أي المجتمع) متطلبات التكيف مع مواقـف و حالات جديدة، بغرض اكتساب عناصر جديدة من القانون الاجتماعي الذي سن لحياتنا»[3]

وعلى تشعب هذه التعاريف و التحديدات سواءا كانت لغوية أو اصطلاحية، فإننا نـدرك أن التنشئة الاجتماعية هي ضرب أي نوع من ضـروب الترويض، التي بها يستبطـن الفـرد المعايير و الأدوار و الأعراف، والتي بدورها ستشكل نوعا ما برنامجا مصمما، يوضع موضع التنفيذ بصفة آلية نسبيا.

---

(1): DURKHEIM. (E), OP CIT, P16.

(2) : فاطمة منتصر الكتاني، الاتجاهات الوالدية في التنشئة الاجتماعية...، دار الشروق، الأردن، 2000، ص44.

(3):ROCHER (G): L'action Social, Paris, ED HMH, 1970, P133.

المبحث الثاني: أدوات و مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

المطلب الأول:

الأسرة كمؤسسة للتنشئة الاجتماعية:

يبدو أن أولى محطات السلوك الإنساني في احتكاكه مع بيئته هي الأسرة، فالوليد البشري ليس بإمكانه أن يعيش لساعات محدودة دون مساعدة الآخرين، بمعنى آخـر أن عمليـة التنـشئة الاجتماعية تبدأ مع لحظات الميلاد، فالأسرة تعد محور التفاعل بين أعضائها، وغالبا ما يكون هـذا التفاعل قيميا، لأن القيم هي مصدر هام من مصادر الثبات و التنظيم، و على أساسها يتم الحكـم على سلوك الفرد و توجيهه، فالسلوك الشاذ المنحرف يصنف كفعل معارض للقـيم الـسائدة في المحيط الأسري: "...لأن الإنسان يرث دينه و طبقته و على الأغلب مواقفه في العائلة."(1)

و تبعا لذلك، يتحمل الأفراد في اتجاها م و اهتماما م ضمنيا محـصول قـيم أسـرهم وجماعا م المرجعية التي ينتمون إليها، فالأسرة هي المحيط الاجتماعي الذي يتم فيه صقل اتجاهات الفرد و ميوله، وهي الدعائم الأولى للشخصية، من هنا ندرك مدى الأهمية القصوى لدور الأسرة في التنشئة الاجتماعية، فلقد دلت التجارب أن أساليب و طرق التنـشئة الاجتماعيـة تختلـف باختلاف الضر ف الاجتماعي و الثقافي و الاقتصادي لكل أسرة، فالأسر التي تنهج أسلوبا تحاوريا مفتوحا مع أولادها و أفرادها، تنشئ أفرادا مستقلين عن أهلهم تحذوهم الثقة بالنفس، مما يتيح لهم بان يكونوا فاعلين اجتماعيين مستقبلا، أما الأسر التي تتبع نظاما تسلطيا مع أفرادها، فهي لا تفرز إلا أشخاصا منقادين أحيانا و متمردين أحيانا أخرى، هذا من جهة، ومن جهـة أخـرى فـان الرأسمال الثقافي الأسري ينتقل إلى الفرد الناشىء مثل باقـي المنقولات الأخرى، "...فمن خـلال الاحتكاك مع الجماعة الأولية، وعلى الخصوص مع أعضاء الأسرة، ينمي الفرد فكرته عن ذاتـه، ويصير واعيا باتجاهات الآخرين نحوه..."(2)

فالسواد من المختصين يؤكدون على محورية الأسرة في التنشئة الاجتماعية و اولويا ا على المؤسسات الأخرى، لأنه و كما اشرنا أن التنشئة الاجتماعية تبدأ من لحظة ميلاد الطفل، وعليـه

---

(1) : لويس كامل مليكة، مرجع سابق، ص 121.

(2): السيد علي شتا، الشخصية بمنظور علم الاجتماع، مركز الاسكندرية للكتاب، مصر، 1997، ص100.

فهذا يعني أن:" الأسرة هي الجماعة الأولية التي تتولى الطفل بالرعاية و التربية، و يشاركها في ذلك و قبل أن يصل الطفل السن التي تدخله المدرسة، جماعة اللعب و الجيرة و الأقارب..."[1].

إن السبب الذي دفع هؤلاء الباحثين على التأكيد على هذا الدور المهم يمكن إيعـازه إلى مايلي:

أ- "سهولة الوصول إلى الأشخاص المراد تنشئتهم؛

ب- قوة الروابط التي تربط بين أفراد الأسرة الواحدة، سيساعد على زيادة الأهمية النسبية لتأثير الأسرة في عملية التنشئة."[2]

و يمتد دور الأسرة الخطير و المهم هذا، إلى مراحل جد حساسة من حياة الطفل، وهي مرحلة الطفل المبكرة، و فيـها تتكـون و تتشكـل الخصائـص الأساسية للشخصية بشقيـها النفسي و الاجتماعي، "...أو كما يعبر عنها بالطبيعة الاجتماعية و المثـل (*les indeaux*)الخاصـة بالأفراد و أهمية الجماعات الأولية في تكوينها"[3]، فلا ننسى أن الطفل يبدأ الكلام في الأسرة، فهي التي تلقنه اللغة و عملية الاتصال، و استيعاب المعايير و القيم الثقافية، وهنا يجب التنبيـه إلى دور عملية المحاكاة و التقليد، فالطفل لا يقلد في هذه المرحلة ما يقوله الآخرون، بل يقلد أيضا أفعالهم وحركا م، فتراه مثلا يتمتم ما تقوله الأم في صلا ا و يقوم ببعض الحركات أيضا، كما انه يحاول أن يستعمل بعض الأدوات الم لية كالمطرقة و المنشار و غيرهـما إن كـان الأب نجارا أو بناءا، و السماعة و المشرط و غيرهما إن كان الأب أو احد الأفراد طبيبا و هكذا. إذا كان ثمة شـيء أن نستخلصه هو أن التنشئة الاجتماعية في هذه المرحلة محصلة الكثير من العوامل منها ما يصل الطفل قولا، ومنها ما يصله فعلا، و يطلق علماء النفس و الاجتماع على هذا النوع من التنشئة بالتنشئة الاجتماعية الأولية، فهي التي تؤهله للعب ادوار اجتماعية و مهنية مستقبلا، بمعنى آخر أن للتنشئة الاجتماعية أنماط و أصناف، فهي إن كانت تبدو عملية متكاملة تصاحب الفرد مـن مهـده إلى لحده، فإ ا في الحقيقة تختلف باختلاف المراحل العمرية (البيولوجية) و النفسية للطفل من جهـة، وبين مختلف المؤسسات الاجتماعية التي يقتحمها الشخص في حياته.

---

(1): السيد علي شتا، مرجع سابق، ص 96.

(2): ريتشارد دووسن و آخرون، " التنشئة السياسية"، بنغازي، جامعة قاريونس، ط1 ، 1990، ص 154.

(3): KLIMBERG (otto) : "Psychologie Sociale", Paris, PUF, 1959, P493.

و لهذا اشرنا سابقا إلى تنشئة اجتماعية أولية يأ الفرد إلى تنشئة اجتماعية توقعية "...فالطفل عندما يلعب في البيت يكون في نطاق تنشئة اجتماعية توقعية لأدواره المستقبلية كآباء، أكثر مـا توجهه إليه التنشئة الاجتماعية في المدارس و التي تتوقع دور التلميذ في نطاقهـا كـدور مهـني معين"(1).

نفهم من هذا أن التنشئة الاجتماعية التوقعية التي تتم في نطاق الأسرة ليست هي التي تتم في نطاق المدرسة، ففي الولي يكون فيها التأثير النفسي و الاجتماعي كبيرين، لا لـشيء إلا لأن الأب الصاحب الذي يقلده حتى في ابسـ ـ ـط الأشياء، كطريقة المشي مثلا و الكلام، ناهيـك إذا تعلق الأمر بمهنة الأب و مقتنيا ا، لذا نلاحظ الكثير من الأطفال ممن يعانون من هذا الفـراغ الصحبوي لآبائهم، يعيدون إنتاجه بطريقة نكوصية، بلغة السيكولوجيين أي بطريقة رجعية مـع معلميهم، فالطفل لا يقبل (لا شعوريا طبعا) حرق احد مراحله التكوينية لشخصيته، و أي إخلال في ذلك سينعكس سلبا ووبالا على حياته فيما بعد، بحيـث سـنلاحظ مـع الاجتمـاعيين أو السيكولوجيين، عددا من الأعراض الباثولوجية (المرضية) في شخصية الناشىء، فخلاصة ما نقوله في اية هذا المطلب، إن الأسرة هي التي تمنح للطفل مركزه الثقافي بالنسبة للفئة السلالية، و الطبقة الاجتماعية ووضعه الديني، بحيث يؤثر كل ذلك في عملية التفاعل الاجتماعي، والسبب في ذلـك أن القيم و التوقعات التي يتعلمها الطفل تلقينا و محاكاة، ترتكز علـى الإرث الثقـافي و الطبقـة الاجتماعية لعائلته.

(1):السيد علي شتا، مرجع سابق، ص 105.

المطلب الثاني:

المدرسة كمؤسسة للتنشئة الاجتماعية

لعل أن ثاني مؤسسة اجتماعية يلجا إليها الفرد بعد أسرته هي المدرسة، فهي تعد بحق محك خاص بالفرد، لا لشيء إلا لاعتبارها حلقة وصل بين الأسرة و ا تمع، فهي التي يئه للعضوية في ا تمع الأكبر، و قد عبر "جون ديوي" عن هذه الخاصية بقوله: «يلزم أن نجعل من كل مدرسـة من مدارسنا حياة اجتماعية مصغرة، أو حياة اجتماعية في بدايتها، فعالة بأنواع مهنها التي تعكس حياة مجتمع اكبر، وتتقدم بروح من الفن و التاريخ والعلم، فعندما تقدم المدرسة كـل طفـل إلى عضوية ا تمع، و تدربه داخل مجتمع صغير من هذا النوع، فتجعله يتشرب بروح الخدمة، وتجهزه بأدوات التوجيه الذاتي الفعال، يكون حين ذاك أعمق وأحسن ضمانا تمع كبير... »[1].

فالاشتراك في موقف موحد حول أهمية المدرسة في التنشئـة الاجتماعيـة، وتربية الطفل و إعطائه المعالم الأساسية لشخصيته أمر طبيعي، تجعل من هـذه اللمـسات كموجهـات للفعـل الاجتماعي للفرد في حياته اليومية على العموم، زيادة على أن الـسلوك الاقتـصادي كـان أو السياسي للفرد، لا يخرج عن الأطـــر الاجتماعية فالمدرسة كما رأينا مـع "جـون ديـوي" *(John Dewey)* أكثر ملائمة للحاجات الاجتماعية بجعلها كمجتمع مصغر للطفل، وحسن عضويته فيها (أي المدرسة) كفيل بعضوية فعالة مستقبلا، و منه فتكوين أفراد فاعلين و مشاركين مرتبط ذا ا تمع المصغر، وهذا ما يؤدي بنا إلـى إسنـاد نجاحـات و تطـورات أو أزمـات و إخفاقات أي مجتمع، إلى مدى نجاعة و فعالية هذه المؤسسة (المدرسة)، فالمدرسـة نـستطيع أن نقول عنها أ ا تخدم الكثير من الأنساق الاجتماعية، سواء كانت اقتصادية أو ثقافية أو اجتماعيـة أو سياسية...، و الحقيقة أن الفرد إذا كان قد ولج(دخل) عالم المدرسة، فهو في الحقيقة يلج عالمـا جديدا عن عالمه المصغر، فحسب "جون ديوي" هذا الفضاء هو اكبر من الفضاء الأول (الأسرة)، و ذلك نظرا لثراء مؤثراته و السلوكات و حتى الذهنيات التي تؤثر فيه، مثله في ذلك مثل الهـواء الذي يستنشقه و لا يحس بثقله! ، فهذا الانفتاح على ا تمع الأكبر يصحبه نضج للأنا الاجتماعي عند الطفل، و هناك قول اعتقد انه للألماني "فخت " يقول هذا الأخير الأنا(و يقصد به الذات)

---

(1): جون ديوي، " المدرسة و ا تمع"، ترجمة احمد حسن الريحم، دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ، ص 50.

يفرض نفسه بمعاندته للآخرين، ولعل هذا القول نجد له تفسيرا في قول آخر لـ :غي روشيه حيث يقول في:*l'action social* مايلي:"..الانتماء إلـى جماعة معـناه مشاركتهم فـي الأفكار و القواسم المشتركة، من اجل تعريفهم معنى كلمة نحن، التي يشكلو ا. مثل نحن الجامعيون، نحن الكتاب، نحن النساء..."(1).إن هذا النضج يتابع نموه خلال مختلف الأطوار، فمن المراحل الأولى إلى المدرسة إلى الثانوية إلى الجامعة، كلها مراحل يشحذ فيها الأنا الأعلى بشتى أنواع التعلم و التلقين، و نظرا لأن العملية التربوية تختلف أهدافها و مراميها، فقد يحدث خلط فيما بينها، و هو ما عـبر عنه " ايدجارفور" في "تعلم لتكون" مايلي:" قد أساء الناس فهم التربية السياسية، وكان الأولى م أن يعملوا من اجل تطبيق مبادىء التربية في ا ال السياسي، وهكذا وقع خلـط بـين التوعيـة العقائدية و السياسية المغرضة و إعداد الناشئة للتفكيـر الحر حـول ماهيـة السلطة و مقوما ا، و حـ ـول العوامل المؤثرة في المؤسسات..."(2)

هذا مما يجعل احتمال ادلجة الفكر و توجيهه ضمن اطر ضيقة أمر وارد جدا، وعـادة مـا ينظر إلى المدرسة من زاوية أكاديمية بحتة، وهذا في اعتقادنا إغفال لوظائف عديدة تؤديها المدرسة، فهي إلى جانب تزويد الناشئة بالمهارات و المعارف، فإ ا فضاء لتثبيت الكثير من القيم، لا شك أن أي قارىء لهذه الأسطر يتساءل و يقول هذا شيء متفق عليه لأنه ذو خلفية علمية، لكـن نحـن نبحث في موضوع عنوانه " البناء الثقافي و الاديولوجي للمهن".

- فما هو الدور التنشيئي للمدرسة الجزائرية و مساهمتها في بلـورة توجهـات النشء حول الموضوع المذكور سلفا؟.

إن جوابا على سؤال من مثل هذا القبيل، يستدعي و يتطلب منا أن نـتفحص المدرسـة الجزائرية مع الكثير من المختصين، إن الرجوع قليلا بالمدرسة الجزائرية إلى فترة ما قبل الاستقلال، يبدو امرا مهما ذلك لأن"....تعرض ا تمع الجزائري إلى فرض مسار ثقافي قسري و سلبي يهدف إلى نزع هذه الثقافة الأصلية و غرس ثقافة غريبة عنه..."(3)، ولعل أن هذه السياسة الاسـتعمارية هي التي استدعت و دفعت بالحركة الوطنية سيما جمعية العلماء المسلمين بتزويد الفرد الجزائـري بمكنيزمات، بغية إعادة الاعتبار للثقافة الجزائرية، وذلك باعتبارها أن"...العمل التربوي في تعبئة

(1):GUY ROCHER, OP CIT, P134.

(2): ايدجارفور و آخرون، " تعلم لتكون"، ترجمة حنفي بن عيسى، ش،و،ن،ت، الجزائر، 1974 ، ص 215.

(3): MEGHARBI ABDELGHANI, "La culture et la personnalite dans la societe algerienne de MASSINISSA à nos jours ", ed ENAL –OPU, Alger, 1986, P91.

الرجال لغد يمكنهم من رفع التحدي، و المحافظة على اللغة العربية و الـدين الإسـلامي، وقـد اعتمدت في ذلك على مناهج و طرق تربوية، جعلتها تجربة رائدة، مما دفع البعض إلى طرح السؤال حول الجدوى من إجهـاض هذه التجربة بعد الاستقلال، رغم إمكانية تطويرها في ضوء التغيرات التي حدثت في المجتمع..."[1].

فما من شك إن هذه المرحلة الاستعمارية قد تركت بصمات و تأثيرات واضـحة علـى الكثير من الأنساق، سواء أكانت اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية أو سياسية، البعض مـن هـذه البصمات يعرف بالتثاقف الايجابي، والبعض ينعت بالانسلاخ الثقافي أو الانغـلاق أو التمـسك بالموروث الثقافي التقليدي، و الحقيقة أن "عمار بلحسن" في كتابه: " المشروعية و التوترات الثقافية حول الدولة و الثقافة في الجزائر" يعطينا أربعة أنماط أو أصناف كنواتج لهذه المرحلة، فـيرى في" النمط الأول: سيطرة ثقافة إنتاج المساجد و الزوايا و الجامعات الإسلاميـة(كالزيتونـة و الأزهر و غيرهما) حيث يصفها بالأرثوذوكسيات الدينية، و هي تمثل استمرارية تراثية لثقافـة مـا قبـل الاستعمار، أما النمط الثاني: فهو منتوج التمدرس الخجول و الفرنسة اللغوية المطبقة من طـرف المدرسة الفرنسية، هذا النمط حسب -عمار بلحسن دائما- يتمثـل فاعلوه من صـغار الموظفين و أبناء الأعيان و قلة من أصحاب المهن الحرة، و النمط الثالث: يتصف بالازدواجية في المرجعيـة الثقافية و اللغوية، و فاعلوه قلة تمهد لسيطرة الفرنسية ثقافة فيـما بعـد، ثم هـناك النمط الرابع و الأخير و هو محصول ثقافة شعبية لم ترق إلـى مستـوى الكتابـة، فاعـلوه من جماهير المدن و الأرياف".[2]

وبعد الاستقلال حاولت الدولة أن تعطي شروطا مواتية لإعادة الاعتبار للثقافة الوطنيـة، ونشرها بين أفراد المجتمع، في محاولة منها لاحتواء التوجهات و الطروحات السائدة آنذاك، و نظرا لأن علاقة التوجهات التربوية بالتوجهات السياسية، دفعت بالمدرسة إلى تحمل أعباء سياسية، و في هذا يتولى الدكتور عبد الرحمان بوزيدة في:"*L'idiologie de l'instituteur*" مايلي: " إن المهام السياسية المكفولة للمدرسة في الجزائر تتمحور كلها في الاستقلال و العـدالة الاجتماعية،

(1): مصطفى عشوي، المدرسة الجزائرية الى اين؟،دار الأمة، الجزائر،1991،ص07.

(2) عمار بلحسن، المشروعية و التوترات الثقافية حول الدولة و الثقافة في الجزائر، مركز دراسات الوحدة العربيـة، بـيروت،1991، ص ص 424-425.

فالاستقلال الثقافي اعتبر بمثابة الرديف الضروري للاستقلال الاقتصادي و السياسي"[1]، من خلال ما سبق نفهم طغيان الاديولوجية السياسية على المناهج التربوية للمدرسة الجزائريـة، و يـضيف الدكتور بوزيدة في موضع آخر من نفس الكتاب مايلي"...إن أولوية الثقـافي الـذي اعتبرنـاه كمهيمن على الاديولوجية الرسمية اتجاه المدرسـة، فهـو يـساير و يحـدد مـن الاديولوجيـة الاقتصادية..."[2]

إن إلحاق التربوي بالسياسي خدمة لأغراض اديولوجية، ثم الغربة اللغويـة الـتي عاشـها الجزائري، بحيث نعرف كيف إن اللغة العربية أصبحت غريبة حتى في محيطها، ناهيك عن الدخول ا في متاهات سياسية كمسالة التعريب و الجزأرة و التعليم و غيرها. هذه المشاكل من شـأ ا أن تخلق الكثير من الاحباطات النفسية و الاجتماعية، و من ثمة كما أثبتت الكثيـر مـن الدراسات، و التي سنتناولها في فصول أخرى من هذه الرسالة، اللجوء إلى الدين كملاذ و مأوى لتفسير الكثير من المشاكل، فعلى سبيل المثال لا الحصر، من يعارض اللغة العربية فهو يعارض القرآن، لأ ا لغتـه و لغة أهل الجنة – هذا ما لاحظناه و سمعناه- فالذي أردت أن أشير إليه أن الاديولوجي و الثقافي و بناءا على الكثير من الأبحاث، كدراسة "جمال غريد" حول العامل الشائع، و "بوزيان صـمود" حول الخوصصة، إضافة إلى دراسات الأستاذ " الجيلالي اليابس" حول المؤسسة الجزائرية، كلـها تؤكد على حضور الثقافي و الاديولوجي و بدرجات متفاوتة في الكثير من سلوكات الأشـخاص و الأفراد في حل مشاكلهم.

(1): BOUZIDA (A), L'IDIOLOGIE DE L'INSTITEUR, ENAL, ALGER,1976,P 85.
(2): Ibid ,P106.

المطلب الثالث:

جماعة الرفاق كعامل للتنشئة الاجتماعية

من بديهيات السوسيولوجيا أن الإنسان مدني بطبعه، و على الأقل يجتهد في أن يكون كـذلك، فغريزة الاجتماع مجبولة فيه، و هو لا يعدو أن يكون مخيرا في ذلك، و فـي اجتماعـه ببني جنسه و نوعه خلال مختلف مراحل حياته، يتفاعل الفرد بأنواع مختلفة من الجماعات التي سـتلعب دورا مهما في تحديد سلوكه، و تشكيل أنماط تصرفاته، فمن جماعة العمل إلى جماعة الأصدقاء و اللعب إلى جماعة العبادة و التدين، وأنواع أخرى متعددة و متباينة من الجماعات تتـصف كـل منـها بأهداف محددة و أحيانا متعارضة و متناقضة، تؤثر في شخصية المنتمي إليها بطريقة أو بـأخرى، "...حيث تتكون الجماعة من أعضاء مختلفين، فان كل منهم يزاول نشاطا خاصا به، قد يختلـف عن أنشطة الأعضاء الآخرين، إلا انه في خلال مزاولة هذا النشاط، تنشا بينه و بينـهم علاقـات تفاعل"[1].

لكن السؤال الذي ينبغي طرحه هو:ما ميكانيزم الجماعة في التنشئة الاجتماعية؟.

"...تقوم جماعة الأتراب (أشخاص من نفس السن) بدور هام في عملية التنشئة الاجتماعيـة، وفي النمو النفسي و الاجتماعي للفرد، فهي تأثر في معاييره الاجتماعية و اتجاهه، و طريقة تعامله مـع صحبه، وتمكنه من القيام بادوار متعددة لا تتيسر له خارجها"[2].

إن هذا الأثر يسهم في تكوين شخصية المنتمي إلـى جماعـة مـا، بنـاءا و انطلاقا مـن قيم و توجهات و معايير هذه الجماعة ذا ا، و ذلك من خلال ما تنمي فيه مـن قيـم و اتجاهات و معايير هذه الجماعة ذا ا، قد تحظى بالقبول الاجتماعي و قد لا تحظى به، فلسنا بحاجة إلى حكم أخلاقي في هذا الباب.

و الواقع مع "جيلفورد" في كتابه "ميادين علم النفس"، « إن البشر إنما يدعوهم إلى الاجتماع، جماعات أو أفراد كانوا قواسم مشتركة فحيث ما تحققت، تحقق الاجتماع و حصل الارتبـاط»، هذه المبادىء و الأسس يمكن أن نجمعها مع "جيلفورد"في كتابه السالف الذكر فيما يلي:

(1): محي الدين مختار، مرجع سابق، ص87.

(2): حنان عبد الحميد العناني، الطفل و الأسرة و المجتمع، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، 2000، ص93.

- ظرف موضوعي مشترك، مثل المكان الجغرافي، أو الدخل المادي(العمل).
- الاشتراك في مجموعة من القيم و الاتجاهات كالمعتقدات مثلا.
- القيام بأعمال و ادوار سلوكية متماثلة مثل العمل في المصنع، أو مؤسسة اجتماعية أو ثقافية، أو ترويحية أو سياسية كالحزب مثلا...
- الشعور المشترك بالانتماء."[1]

فلا شك مما تقدم أن أي جماعة مهما كان نوعها، هي في حقيقة الأمر تجميع للثقافة العامة، أو على الأقل صدى لبعض منها، ومن هنا يظهر الدور المهم الذي ستلعبه الجماعة بقيمها و توجهاتها على أنماط سلوك المنتمي إليها، وعلى الأقل يمكن أن نتلمس هذا التأثير أو هذه التنشئة في منحيين أو ثلاثة، وذلك حسب استنتاجاتنا و تصوراتنا طبعا:

فيما تتطور و تتعقد علاقات الفرد بالجماعة المنتمي إليها، فإننا نسجل مع "مرتون" *Merton* أن الفرد يتصرف وفق ما ينتظره منه الآخرون، و يزيد هذا كلما انداح و اندمج الفرد في قيم الجماعة و تبناها.

أن الفرد و كما اشرنا في موضع سابق لا يدرك ذاته إلا بمساعدة الآخرين، فالأنا لا يفرض نفسه بمعاندته للآخرين حسب الألماني "فخت" و لا يحصل ذلك إلا في إطار التفاعل الاجتماعي، و عليه إذا كان علينا أن نستخلص شيئا مما قلناه في هذا المطلب، هو أن الفرد يختار جماعة أقرانه تبعا لخلفيات متعددة، فبداية من السن و الندية إلى الاشتراكات في اهتمامات واحدة كالمهن و الحرف المشتركة أو الخلفية العقائدية و الدينية، بحيث نجد جماعة الأقران تتفرد عن الأسرة و المدرسة من حيث إنها تبنى على المصالح و الاهتمامات و القواسم المشتركة الخاصة بالأعضاء، ولهذا كان تأثيرها قويا على أعضائها.

(1): جبلفورد، ميادين علم النفس، ترجمة احمد زكي صالح وآخرون، دار الكتب الجامعية،القاهرة،1966،ص230.

المطلب الرابع:

المسجد و التنشئة الاجتماعية للسلوك

لا جرم أن أهمية الدين و محوريته في الحياة اليومية للفرد، تجعل منه نقطة الالتقاء و الاتفاق لدى البعض، و نقطة صراع و اختلاف مرة أخرى، لأنه (أي الدين) مقوم للانحرافات في ميادين مختلفة، و الحقيقة أن الدين سيما في المجتمعات الإسلامية قد اعترته و شابته الكثير من التصـورات و اقصد فهم النص الديني و تأويله) هذا من جهة، ومن جهة أخرى الممارسات الدينية التي تتمظهر و تنعكس على سلوكات الأفراد، كنتيجة لهذه الفهوم و التصورات، فالأستاذ علي الكنز مثلا و في تحليله للتوجه الديني في كتابه "حول الأزمة" يميز بين الكثير من الممارسات الدينية الخاصة بفاعلين اجتماعيين:"...الإسلام الشعبي و هو التدين ذو الخصائص التوفيقية و الوظـائف الاسترضـائية، علاقته ضئيلة بالتأويل النصي المكتوب، وهذا أكثر تفتحا، الإسلام الأرثوذكسي أو التقليدي و هو تاريخيا نتاج جمعية العلماء المسلمين، يتميز هذا الإسلام بانتشاره الواسع بين فئات الطبقة المتوسطة، و بخاصة بين المدرسين و المربين و الموظفين....أما النوع الثالث فهو ذلك الإسلام غـير المرئـي بسبب طقوسه التي تحميه و هو أيضا إسلام إعدادي"[1].

فمما سبق نستخلص أن هناك طبقية على مستوى الفهوم و التصورات للنص الديني، كنتيجة للخلفية الاجتماعية و الإرث الثقافي لكل فئة أو طبقة، فثمة شيء مقدس و متعالي يـنظم حيـاة الفرد، و يسيطر بشروطه على مجمل حياة معتنقه و المؤمن، إلا و هو الدين، وللتدليل على أهميـة هذا الأخير سواءا أكان الدين إسلاما أو مسيحية أو يهودية، لا يـسعنا إلا أن نـشير إلى تلـك الدراسة الشهيرة التي أجراها عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر *M. Weber*، حيث كان منبهرا بما صلت إليه المدنية الأوروبية وقتئذ، حيث تسائل عن سر هذا التقدم الصناعي و الجاري المطرد! ليجيب عن هذا الإشكال في كتابه:"الأخلاق البروتشنتية و الروح الرأسمالية" و هو الكتاب الذي ضمن فيه أفكاره الأساسية حول الدين، و فعاليته في تحريك الأفراد و الجماعات نحو تحقيق أهداف معين، يقول "ماكس فيبر:*Max Weber*" أن النظام الرأسمالي الحديث، ليس محدثا في كـل مظاهره، كانت سمات مثل عقلنة العمل أو الانضباط، معروفة في أدينة القـرون الوسـطى، وفي الجيش الروماني، بل و حتى في بابل و الصين، هناك ظاهرة واحدة لم تكن معروفة، و هي الميزة

(1): علي الك ،حول الأزمة،دار بوشان للنشر، الجزائر،1990، ص ص 62-63.

التي كونت الرأسمالية الحديثة...كون المرء يعتبر انه يقوم بواجب أخلاقي عندما يمارس حرفـة أو مهنة...كون الفرد يقوم بعمله و كأنه رسالة..."(1).

فالشيء الذي نستنتجه مع فيبر أن ميزة الرأسمالي الغربي ليس نظام عمل و تقانة و غيرها بل هي ذهنية و روح و أخلاق، و يردف فيبر قائلا:"إذا نظرنا إلى تنظيم العمل في حـرف القـرون الوسطى، لا يمكن أن نقول انه كان فقط عقبة في طريق النظام الرأسمالي، انه كان في الحقيقة تمهيدا و مرحلة ضرورية في طريق نشوء الرأسمال، لكن من الجلي أن الحرفة كانت عاجزة عـن إبـداع الأخلاق الرأسمالية البرجوازية، إن نظام العيش داخل الفرق الزاهدة المتقشفة كان وحده قادرا على تبرير و تكريس الدوافع الاقتصادية الأنانية" (2)، نفهم من هذا إن النظام الناجع في ا تمع سـواءا أكان اقتصاديا أو سياسيا، هو الذي يركب ثقافة مجتمعه و يواكبها، الم تر إن البحث عن القيمـة الفائضة و التقليل من التكاليف في النظام الرأسمالي، كانت بفعل ثقافة و ذهنية متغلغلة، فبمثل مـا كان الاستبداد(العبيد) أساسا للحضارة اليونانية، كذلك كانت هذه الروح المتقشفة لهذه الفرق أو الجماعات أساسا و مبدأ للرأسمالية فيما بعد.

نعود مرة أخرى إلى ا تمعات العربية الإسلامية، لنتكلم عن الدين و ممارسته، إن ما يلاحظه الكثير من الباحثين أن تصرفات الأفراد و الجماعات في ا تمعات العربية، لها طابع الطائفية الدينية، لأن الدين هو عقيدة و مبادىء و قيم، أما الطائفية فهي تنظيم اجتماعي تتبناه الجماعات الدينيـة، ويحددها "ناصيف نصار" في "مقدمات أساسية في نقد ا تمع الطائفي" مفهوم الطائفية بقوله: "إ ا جماعة منظمة من الناس يمارسون معتقدا دينيا بوسائل و طرق و فنون معينة" (3).

و يعتبر البعض أن المصدر الأهم للثقافة العربية هو الدين الإسلامي، و يرى آخرون أن العائلة هي الأهم وان الكثير مما يسمى قيما دينية، هي في الأساس قيم عائلية دخلت الدين و اسـتمرت فيه، بمعنى آخر أسلمة التقاليد، فخلال الفترة الاستعمارية نعلم جيـدا كيـف راحـت الآلـة الاستعمارية تقوم بتدجين(تحضير) ما سموا بالمتوحشين(البدو) بنوع من العدوانية الهدامـة، سيما و أن المشرفين على هذه العملية من الكولون التكنوقراطيين، كانوا يجهلون كل شيء عن العـالم البدوي و الزراعي، بمعنى كانوا يجهلون و يتجاهلون نظام استبطان القيم، وفي هذا المضمار بالذات لا يخفى على احد الدور الذي لعبته المؤسسة الدينية، فمن المسجـ ـد إلى الكتاتيب إلى المدارس

(1): تشير نيشيفسكي، المؤلفات الكاملة، ا لد الأول، نقلا عن جماعة من الأساتذة السوفيات، ترجمة توفيق سلوم، موجز تاريخ الفلسفة، دار الفرابي، بيروت، 1989، ص 4-5.

(2): نفس المرجع، ص 288.

(3): ناصيف نصار ، نحو مجتمع جديد، مقدمات اساسية في نقد المجتمع الطائفي، دار النهار للنشر، بيروت، 1970، ص153.

القرآنية إلى الزوايا، كلها آليات دفاع و ميكانزمات مقاومة ضد الاحتلال، بغية المحافظــة علــى الهوية الجماعية بالرجوع إلى الذات، "...يمكن أن نتصور بدون شك أن الرجوع كليا إلى المنــابع كرد فعل على الوضع، واعتماد اديولوجية أكثر فعالية لاجتناب الذوبان و الانســلاخ الثقافــي و عامل العودة الدفاعية إلى الماضي، يعمل على التهدئة و التخفيف من التوترات الحالية، والــشك من المصير من هذه الزوايا "مؤسسة" المقدس بكل أشكاله، كوسيلة جماعية للدفاع" [1].

إن الرجوع إلى الدين لتعريف الذوات الفردية و الجماعية، في تصورا ا و تصرفا ا يبدو من الأهمية بمكان، ذلك إن الدين كممارسة تربط الفرد و الجماعة بالله في صفا ا و مختلف الطقــوس التي تدخل وسطاء في هذه العلاقة و ما ينجر عنها.

(1):TOUALBI NOURDDINE, Religion, Rites et Mutations, ENAL, Alger,1984, P55.

المحور الثالث:

الاقتراب النظري لمسالة التنشئة الاجتماعية:

1- إميل دوركايم:

يبدو انه من العبث التطرق إلى الاقترابات السوسيولوجية، دون تناول إسهامات عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم ***Emile Durkheim***(1858-1917)، فأعمال هذا الأخير تعتبر ريادة سيما في الاتجاه الوظيفي للتربية، و أهم ما جاء به دوركايم هو ربطه بين مفهومي التربية من جهة و التنشئة الاجتماعية من جهة أخرى، بحيث ينعت التربية بالتنشئة الاجتماعية المنهجية، فالفعل التربوي عند دوركايم هو فعل متنوع و متعدد الجوانب، يتطلب نخب واعية تحمل مشعله وتمارس فعله، على تلك التي هي بكر منه، فهو و إن كان- أي "الفعل التربوي"- متنوع كما ذكرنا، فان ذلك نرجعه مع دوركايم إلى أن: " التربية تهدف و تقوم بدور توحيدي بتكوين خد أدنى من التجانس بين الأفراد في المجتمع، لتدعيم التماسك الاجتماعي، من خلال تلقين الأفكار و الأحاسيس و الممارسات المشتركة بين المواطنين، أما الدور الآخر للتربية يكمن في الوظيفة التنوعية، و التي تهتم بإعداد المواطنين لأدوار اجتماعية أو مهنية محددة "(1).

فدوركايم يطرح بأهمية قضية الإدماج الاجتماعي، التي يحددها الفعل التربوي للفرد و مكانته داخل محيطه الأسري (الميكرو اجتماعي)، أو ضمن محيطه الاجتماعي الأكبر (الماكرو اجتماعي)، لكن السؤال الذي نطرحه على دوركايم: أثناء التنشئة الاجتماعية للفرد، كيف تعمل (أي التنشئة) و ماذا تستهدف؟.

يرى دوركايم أن التربية هي استجابة لرغبات الطفل و حاجياته و التي يصفها بالأنا الشخصي (الفردي) *L'être individuel*، حيث يحددها في كل الحالات العقلية، التي تخص الفرد و الأحداث التي تخص الحياة الشخصية، أما الجانب الآخر فهو يتعلق بالاستجابة لحاجات الكل الاجتماعي، وذلك من خلال و عن طريق تلقين الأفراد "...نسق الأفكار

---

(1):DURKHEIM (E), OP CIT, P15.

والأحاسيس و العادات المعبرة من خلالنا، و ليست شخصيتنا، بل شخص الجماعة أو الجماعـات التي تنتمي إليها، كالمعتقدات الدينية، و الممارسات الأخلاقية، التقاليد الوطنية أو المهنيـة، الآراء العامة مهما كان الكل الذي يشكل الكل الاجتماعي أو الفردي..."[1].

فدوركايم يذهب في نظريته عن العقل الجمعي، إلى أن الفـرد يـصبح تنـشئة و صـنيعة اجتماعية، وذلك لأن الفرد لا يجد بدا من الهروب من الجماعة، بشروطـها القيميـة و المعيارية، و الذي يتطرق إلى الفكر الدوركايمي يتعرض حتما إلى تلك المقولة المشهورة " إذا تكلم ضميرنا، فان ا تمع هو الذي يتكلم فينا". فهو يتصور الضمير العام حصيلـة اجتماعيـة و نفسية للتفاعل و التبادل الإنسانيين "...القيم هي تجليات الضمير العام تظهر(من خلال) عند الأفراد ذا م. ...إن تشرب الأفراد لقيم الجماعة و مثاليا ا يخلق لديهم الضمير العام للجماعة التي ينتمون إليها..."[2].

هذا يبين ما كنا قد اشرنا إليه و هو الدور التعددي لفعل التنشئة، فبواسطتها تتنوع ضروب و أنواع النسق المهني، تبعا لتنوع ضروب التنشئة، بحيث و لا شك أن كل نسق و لكـل مهنـة توليفة و ثقافة خاصة ا.

فإذا كانت التنشئة الاجتماعية دف إلى صياغة سلوك الفرد، على نحو يـستجيب لنـسق الجماعة و نظامها، فان الفرد حسب دوركايم سيرتبط نمو إدراكه بتفاعل العمليات العقلية مع البيئة الاجتماعية.

2- الثقافة و التنشئة الاجتماعية:

إن الحديث عن التنشئة الاجتماعية في قالب نظري محوره الثقافة، يدفعنا حتمـا إلى تحديـد مدلولات هذه الأخيرة، وجرد كل معانيها و فرز الزوايا المختلفة التي ينظر إليها من خلالها، فلعل أن الثقافة في فهمي البسيط هي طريقة حياة فـي مجتمـع ما يصنعـها الإنسان مع بيئته الطبيعية و الاجتماعية لإشباع شتى حاجاته النفسية و الاجتماعية، فالذي نريد أن نعنيه في هذا الباب هـو الثقافة كمصطلح و كصيغة اجتماعية، تشمل و تجمع أنواع العلاقات التي اصطلح عليها ا تمـع لتنظيم حياته، فالأفراد ينظمون حيا م تنظيما وظيفيا، فهم ينتظمـون في طبقـات و جماعـات يشعرون بالولاء إليها، كما يمكن أن تعني مكانة منتجيها و مـراكزهم، فمـمارسة، فممارستهم

---

(1):DURKHEIM (E), OP CIT, P16.

(2):السيد علي شتا، مرجع سابق، ص 191.

للأدوار و المواقع ترتبط اشد الارتباط بالنمط الثقافي، وذلك ما يتمظهر في الكثير من مناحي الحياة الاجتماعية، فمن الأعراس و المآتم إلى الأزياء و السلوك المظهري، كلها رغبات في تحديد المكانـة الاجتماعية، فا تمع قد يشجع لأنواع من السلوك، و يرخص لأنواع أخرى منه، تمشيا مع القيم السائدة فيه، ثم إن للثقافة خصوصيات و عموميات، فإذا كانت الأفكـار و العـادات و أنمـاط السلوك و الرغبات و الاتجاهات و اللغة و غيرها، تشكل أساسا و قاسما مشتركا ينتسب إليه جميع الناس، و بفضله يتمايزون عن الثقافات الأخرى، و تؤدي هـذه العموميـات وظائـف فكرية و اديولوجية لروح الجماعة و العمل على بقائها، و ذلك بالاعتماد على أساليب التربية المشتركة، و نقل الميراث الثقافي في عمومه، كالمعارف التي تعين الفرد على التمييـز بـين الخـير و الـشر، الجميـل و القبيح، الحق و الباطل و غيرها...، إضافة إلى تلقينهم تاريخ بلدا م، فـإذا كانـت للثقافة عموميات كما اشرنا تشترك فيها سلوكات و أفكار الجماعة الواحـدة، فـان للثقافـة خصوصيات يشترك فيها جماعة أفراد دون غيرها، وذلك في نطاق الزمـر الواحـدة أو ا تمـع الواحد، يمكننا أن نجمعها في خصوصيات طبقية و مهنية، ففي ما يتعلق بالأولى، نجد أصنافا مـن الطبقات، فمنها الراقية و المتوسطة و الدنيا، إن لكل هذه الطبقات خصائص و مميزات، سواء تعلق الأمر بسلوكا ا أو أفكارها، فلكل منها آداب و مصطلحات ومعايير تنظم حيا ا، فالاهتمامـات الخاصة بالطبقة الراقية مثلا:"... تنعكس في اختيارها لأساليب و أدوات و أماكن شغل فراغـها، و في متابعة الموضات في الأزياء و موديلات السيارات..."(1)، وهكذا دواليك سواء تعلق الأمـر بطقوسها التي تقيمها عشية كل احتفال، أو مقتنيا ا التي تجنيها إلى منازلها و طريقة أكلها و شر ا.

و أما فيما يتعلق بالخصوصيات المهنية، فعلى الرغم من إننا نجد فئات لا تنتمـي إلى نفـس الطبقة، قد انخرطت و اقتحمت تخصصا ليس ضمن طبقتها، فان ذلك نرجعه مع " بيار بورديـو" *P.Bourdieu* إلى التقسيم الطبقي و الاجتماعي، حيث يقول هذا الأخير:"...إنتاج الثقافـة المسيطرة يساهم في إعادة إنتاج نفس علاقات القوى في البناء الاجتماعي..." (2).

و يضرب "بورديو" مثالا عن ذلك حيث يلاحظ أن أغلبية الطلبة الموجودين في الجامعـات الفرنسية، هم من فئات مرموقة سيما الإدارية منها و الدبلوماسيـة، أما الـذين هم من طبـقات

(1): عبد الرحمان العيسوي، مرجع سابق ، ص 140.

(2): P.Bourdieu, La reproduction, ED Minuit, Paris, 1971, P20

متوسطة فهم طلبة موهوبين، هذا ما جعلهم يقاومون التسرب، فهذا ليس مدرسي بل اجتمـاعي أيضا، بمعنى آخر لم تصبح المدرسة توجه و تنتقي الأجدر بالتفوق، بل هناك أشياء أخرى تتـدخل كالخلفية الاجتماعية و الطبقية، فاختلاف الطبقات يخلق لدى أفرادها حدودا و فواصل في التفاعل الاجتماعي أيضا، بل و يؤثر في الدوافع و القيم وأساليب العيش والاختيار، ويقول "روجيه براون" (*R.Brown*) موضحا هذا التأثير: " إن الاختلافات في أسلوب الحياة تتسع لتشمل حتى ابسط الأمور، فالطبقة العليا من الأمريكان تفضل "المارتين" قبل العشاء، و "النبيذ" مع العشاء، و"الـبر اندي" بعد العشاء، بينما يعتبر مشروب"البيرة" مشروبا للطبقة العاملة" [1].

فالثقافة من هذا المنظور الذي رأينا، تصبح ميزة وصفة موحدة بين الفرد من جهة، و المحيط الاجتماعي من جهة أخرى، فلا يمكن فهم الطرف الأول إلا بالرجوع إلى الثاني و العكس يكـاد صحيحا، فما يستنبطه الفرد في المحيط الأسري من قيم و معايير و أسلوب حياة، يبدو انه غير قابل للمحو و الزوال، فالثقافة لما كانت ظاهرة كونية نجدها في ا تمعات الماضية و الحاضـرة علـى السواء، فهي صفة موحدة بين الفرد كفاعل اجتماعي، و بين ا تمع المحيط الذي يكتنف و يجمع هذا الفرد، و تمثلا ا (أي الثقافة) نجدها خارجة عن الفرد، و هذه التمثيلات الثقافية لهـا طـابع الإكراه، و يمكننا أن نضرب مثالا عن وسائل الإعلام و دورها في توجيه سلوك الأفراد، من حيث أ ا تزودهم بأنماط من السلوكات و المعلومات، و في هذا يقـول"*Piaton*": "...مـستهلكي وسائل الإعلام أطفال، مراهقين، أفراد ناضجين، أفراد مسنين، هم بدون انقطاع، يحيلون وسطهم من شوارع و منازل مغزوة بالصحافة و الإذاعة و السينما، و الإعلانات و التلفزيـون، و الـتي تزودهم بالمعلومات و تكو م....كلهم ذه الوسائل يتعرضون للتنشئة الاجتماعية" [2].

و لما كانت لهذه التمثيلات طابع الإلزامية، فانه يترتب عليها أن فهم و تسير التنظيـمات و التوجهات التي تطبع حياة الأفراد و الجماعات، يختلف باختلاف الطبقات و الانتماءات، بحيث نقف على "...عدة أساليب لترجمة الاديولوجيات السياسية والدين و الأخـلاق، و للتمثـيلات الثقافية طابع ذو هدف موضوعي، يميزها عن التمثيلات الشخصية الذاتية، و لها حضور ووجـود مادي و قوالب مهيأة و متلاحمة، ويمكن أن تكون في بعض الأحيان عير عادلة، هـــذه المميزات

(1) : فؤاد حيدر، مرجع سابق، ص20.

(2): Piaton (G)<u>, éducation et socialisation</u>, élément de psychologie de l'éducation, ED Edoird Prevat, toulouse, 1977, P148.

للثقافة تشكل محددات لسلوك الفرد بعد استبطا ا، عن طريق مسار التثقيـف، حيـث يتحـرك ويسلك في إطارها بمراعاة ما يتميز بالمرغوبة اجتماعية من السلوكات، و تفـادي مـا يـشكل طابوهات و حدودا في الثقافة، فاستمرارية هذه الأخيرة يكون عن طريق بثها و غرسها في الأفراد في مراحل حيا م بواسـطة سـياقات التنـشئة الاجتماعيـة، أو مـا يعـبر عنـه بالتثـاقف (*enculturation*)[1]، فالتثاقف و حسب الدكتور " عبد الغني مغربي" يحدث بالتقاء ثقافتين، أحداهما أصلية و الأخرى أجنبية، بحيث نجده يجمع بين التثقيف و المثاقفة، ليعطينا ذلـك البعـد النفسو اجتماعي، من حيث أن التثقيف يختلف باختلاف الجماعات من حيث ارثهـا الثقـافي، ودرجة تعقدها، فإذا كنا نرى الطفل في أسرته و التي هي جماعة أولية، يأخذ عنها عـن طريـق التعليم و المحاكاة ثقافتها و طرقها المعيشية، بحيـث حتى إذا ما كبـر، كانـت اختلافات طفيفة و فوارق ضيقة بينه و بين أخوته، فانه في الجماعات المركبـة حيث يسـود نـظام تقسيم العمل و التعقيدات الكبيرة، كنتيجة لتعدد المثيرات الاجتماعي، يكون التجانس بعيدا و الفوارق واضحة.

---

(1): Megherbi(A), OP CIT, PP 14-15.

المطلب الرابع:

الاقتراب السيكولوجي:

1- **"سيغموند فرويد"** *"S.Fruid"* :

لعل ما أفاد به فرويد(1856-1939) نظرية التنشئة الاجتماعية، تلك الإسـهامات التي قدمها في إطار نظريته الشهيرة، و المعروفة بنظرية " التحليل النفسي"، و في هذا الإطار يقدم فرويد مكونات الشخصية، و المعروفة في تقليده بالأنا، و الهو، و الأنا الأعلى، فبينما تتسم العلاقة بين الطفل و الوالدين بالوجدانية و التفاعل يقول فرويد في "الأنا و الهو": " العلاقة بين الطفـل و الجنس الآخر من الوالدين، و التي تتميز بالحب، تشكل حالة من حالات اختيار الموضوع مـن جهة، و من جهة أخرى تقمص شخصية الآخر من نفس الجنس من الوالدين، و تبقـى هاتـان العلاقتان جنبا إلى جنب لفترة من الوقت بما ينشا عن ذلك عقدة أو ديب من طبيعة العلاقـتين، فالرغبة في اخذ مكان الوالد من نفس الجنس بعد عملية التقمص لشخصيته" [1].

فرويد يلح على أن التنشئة الاجتماعية للمولود، ستؤثر على دوافع مؤثرات السلوكات الواعية و غير الواعية لديه، فالشخصية الإنسانية في ناية المطاف، حسب اعتقاده هي حصيلة" تفاعل بين الأنا و الذي يمثل كل ما هو عضوي في الإنسان، و بين الأنا الأعلى الذي يمثل القوى الاجتماعية المحيطة به، فالنظام الاجتماعي هو الذي يعمل على قمع الدوافع الجنسية للفرد، فالأنا الأعلى يمثل سلطة أخلاقية حسب فرويد، و تحقيق التوازن و التناغم في شخصية الإنسان لا يكون إلا إذا قام الأنا، أو كما يسميه فرويد بالذات الواعية بالدور التوفيقي المنوط ا، بين الهـو الـذي يمثـل مكبوتات النفس اللاشعورية، و بين الأنا الأعلى، و يتعلم الوليد البشري بالتجربة ومـن خـلال تفاعله مع الآخرين، إن ما يريده دوما ليس سهل مناله، و أن الدوافع و الرغبات التي لا يمكـن تحقيقها أو إشباعها، هناك إمكانية للتحكم فيها و من ثمة السيطرة عليها، و هذه التوليفة حـسب فرويد تكتسب عن طريق المحاكاة و التعلم، حيث نجده يقول في موضع آخر من كتابـه:" علـم النفس الجمعي": " فعملية التعلم من خلال تقمص دور الآخر أو التماهي أي التعلق الوجـداني، و المحاكاة التي تساهم في اكتساب دور آخر، من خلال اعتباره نموذجا يجب محاكاته..." [2].

---

(1): سيقموند فرويد، الأنا و الهو، ترجمة محمد عثمان النجاتي، ديوات المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط4، ص ص 53-54.
(2): سيقموند فريد، علم النفس الجمعي و تحليل الأنا، ترجمة جورج طرابيشي، درا الفكر العربي، بيروت، ط1، 1979، ص ص 55-56.

2- "جان بياجيه" "Jean Piajet":

وجه "بياجيه" اهتمامه بالطفــل و التركيــز على مختلــف قدراتــه العقلية كاللغة و الذكاء، و التفكير، و علاقة كل ذلك بالسياق الاجتماعي، حيث لاحظ سلوك الطفل بالتركيز علــى لغته و كيفية استعمالها للوصول إلى خصائص التفكير، سيما في المراحل الأولى له، حيث عمد "بياجيه" إلى تسجيل ما يتلفظ به الطفل، و بواسطة النتائج المتحصل عليها، قــام "بياجيــه" بتصنيف وظائف اللغة عند الطفل إلى قسمين:

- القسم الأول: قسم مركزي الذات؛
- القسم الثاني: القسم المكيف للمجتمع.

فالقسم الأول حسب ما استنتجناه بدا مفتاحا لفهم سلوكات و تعبيرات الطفل، فالطفل لا يعرف لمن يتكلم، و هنا يحضرني قول احد المفكرين يقول فيه: " إن الطفل عندما يفتح عينيــه لأول مرة ليرى العالم، فانه يرى كل شيء: و لكنه لا يرى شيئا". و العلة في ذلك هــو قدراتــه العقلية و المنطقية لم تنضج بعد، و غير خفي على احد منا و بحكم تجربته أن يرى الطفل يمد يديه لينال القمر، أو يمد يديه إلى النار أو إلى ثعبان من حوله! ، ثم إن الطفل لا يشعر بالحاجة في التأثير فيمن يتحدث إليهم، فالطفل يناجي نفسه في مهده كما لو يناجي الآخــرين دون أن يكتــرث لأحد، فتراه يبتسم لأمه و لشخص آخر قد يكون غريب أصلا.

أما القسم الثاني، فيبدأ فيه الطفل شيئا فشيئا، يراعي من يتحاور معهم، فتراه يــتكلم مــع شخص لا يعرفه بخجل مثلا، فهذا القسم يمكن أن نطلق عليه بالإخبار المكيف، ففيه (أي هــذا القسم) يضع الطفل اعتبارات و حسابات لمن يحاورهم، بحيث تراه يسدي و يوجه انتقاداته لغيره، غالبا ما يكون سن الطفل في خلال هذه المرحلة ما بين السبع و الثماني سنوات، و خلال هــذه المرحلة يتغلب القسم الثاني بفعل الجوانب الأخلاقية التي يكتسبها الطفل، و في هذا يقول" *jean piajet*" مايلي: "... هذا الجانب الأخلاقي يتحقق من خلال التلاحم بين ســياقين: احــدهما يتعلق بالتفكير العفوي للطفل، و الثاني بالإكراه الممارس من الراشد، هذا الــتلاحم يــؤدي إلى استبطان المجتمع أو الآخر..."(1). فحسب "بياجيه" الإكراه الممارس من الراشد و الوالدين و البيئة عامة هم الذين يوقضون الوظائف المنطقية لدى الطفل، و يكسبونه الجانب الأخلاقي في سلوكه.

---

(1): Piajet (J), le jugement morale chez l'enfant, P U F, 1969, PP 12-13.

المطلب الخامس:

الاقتراب السيكوسوسيولوجي:

❖ جورج هربرت ميد J.H.Mead:

إن مجرد التعرض لفكر ج.هــ.ميد(1863-1931)، يجرنا حتما للـتكلم عـن المفـاهيم الأساسية التي طورها خلال الثلاثينيات، سيما ما يتعلق فيها بالتفاعل الرمزي الدلالي، و هـي أي(التفاعلية الرمزية) و إن كانت نظرية محدودة النطاق، كما يعترف "ميد" نفسه، و ليـست نظرية عامة للمجتمع، إ ا تتعلق بالتنشئة الاجتماعيـة "*Socialisation*"، و الواقـع إن نظرية التفاعل الرمزي عند "ميد" ترتكز على مفاهيم ثلاثة أساسية:

أ- الرموز و المعنى؛

ب- التوقعات و السلوك؛

ج- الأدوار و التفاعل.

أ. ففي ما يخص الرموز و المعنى، يركز "ميد" على أهمية الرموز، فإذا كانت جميع الكائنـات تصدر أصواتا و حركات، فان الإنسان وحده هو الذي سرعان ما يؤول أصواته و حركاتـه إلى رموز ومعاني، يقول "ميد" في كتابه:"*L'esprit, le soi et la société*": " إن اللغة هي سياق ضروري في ميلاد الذات التي تتشكل تدريجيا، و هي لا تكون من الولادة، و إنما تظهر من التجربة و النشاطات الاجتماعية، و تتطور عند الفرد كنتيجة للعلاقات، التي يقيمها مع مختلـف الأنساق الاجتماعية و مع الأفراد الفاعلين..."(1).

فتكوين الذات حسب "ميد" يقوم على التجارب الاجتماعية و مختلف التفاعلات، التي تحدث بين الفرد و أسرته، إضافة إلى علاقة الذات بالجسم و فهم الآخر.

ب.لما كان ا تمع حسب "ميد" كم من التفاعلات التي تجري بين أعـضائه، فـان تنظـيم السلوك داخل أعضائه يكون من خلال توقعات سلوك الآخرين، فالناس يتعلمون أدوارهم مـن خلال ما ينتظره منهم الآخرون، وعليه فليس من الغريب أن يراعـي الأفـراد و الجماعـات في تصرفا م السلوكية التي تواضعوا عليها، يقول "ميد":"...إننا نناقش في السياسة أو الدين مـ ـع

(1): Mead (J-H), l'esprit le soit et la societe, P U F, Paris, 1963, P 115.

شخص آخر، يوجد تنوع كبير في الذات، وذلك لارتباطها بتنوع ردود الأفعال الاجتماعية، إن السياق الاجتماعي هو الذي ينتج الذات..."[1].

ج. إن الطفل مثلا في نظر "ميد" لا يتعلم فقط كيف يتصرف مع أعضاء أســرته، ومــاذا يتوقعونه منه، بل يلقنونه كيفية التصرف إزاء الآخرين، و الآخرون هم الجماعات الاجتماعية كالمدرسة و المسجد و الدولة في عمومها. فمجموعة التوقعات المرتبطة بــسلوك أشــخاص آخرين تسمى أدوارا (*Rôles*)، "فميد" يركز على أسبقية ا تمع بما يمثله من قيم ومعاييــر و ثقافات على الأفراد، وانعكاس كل ذلك على الــذات، فــالأدوار المعممــة(الأب، الأم، المدرس...) كل ذلك يجعل الفرد يسلك في إطار هذه السياقات.

فالذي نفهمه من "ميد" هو أن التنشئة الاجتماعية، تكسبنا باستمرار و تعلمنا المقدرة علــى معرفة ما يتوقعه الآخرون منا، فالملكة العقلية التي ا يميز الفرد و يؤول سلوكاته و سلوكات الآخرين هي في ابة الأمر نتاج اجتماعي.

- **<u>نظرية التعلم الاجتماعي:</u>**

إذا كانت هناك نظريات تحاول تفسير السلوك الإنساني، بالرجوع إلى الرغبات الشخصيــة و حاجا ا و طموحا ا، فإننا نجد من يحاول تفسير السلوك الإنساني بالنظر إليه انه مكتسب عــن طريق التعلم الاجتماعي، و حجتهم في ذلك أن سلوك هذا الأخير ليس بالبسيط، بل بالمعقد، ونجد عــلى رأس هــذا الاتجاه "البرت بونــديرا" (*A.Boundira*) ، الــذي يــــــرى في كتابه " *L'apretissage social* " "...من الصعب تخيل تعليم كل فرد ا و عضو جديــد بواسطة التعزيز الانتقائي للسلوك."[2]

فهو ينتقد من يرى التعليم يتم عن طريق التجربة المباشرة، لذا نجده يقترح في نظرية الــتعلم الاجتماعي مفاهيم جديدة، وهي التعلم بالملاحظة أو النمذجــة (*L'apprentissage par modelage*)، بحيث يستطيع الأفراد تعلم ما يمكن فعله من خلال ما يلاحظونه قبل إنتاج أي سلوك، و الاحتفاظ بالنشاطات المنمذجة و الاستفادة منها، يصبح كموجه للســلوك في الحالات

(1): Mead (J-H), OP CIT, P 119.

(2): Bandura (A), <u>l'apretissage social</u>, Pierre Mardaga, Bruxelles, 1980,p30

الموالية، مما يتطلب هذا العمل تركيزا في بداياته، و لهذا نجـــد "*Klimberg*" بقـــول: " تعلـــم السلوك بالملاحظة و الاستفادة من تجربة الآخر، عند فهم معنى الفعل و النشاط الملاحظ وتعـــيين نجاعته."[1].

"فبونديرا" يعطينا اقترابا خاصا للتنشئة الاجتماعية من خلال تعلم السلوك الاجتماعي عـــن طريق الإفادة من سلوكات الآخرين بالملاحظة، فالاحتفاظ بالنشاطات المنمذجة و الإفادة منـــها، هو عبارة عن ترجمان لتلك التمثيلات الرمزية في سياق إعادة إنتاجها، وذلـــك عنـــدما نفهـــم سلوكات الآخرين ونترجمها طبعا. فملاحظة الآخرين تجعلنا نتعلم كيف نسلك من جديد، وهذا التعلم لا يندثر بمجرد انقضاء الفعل، بل يستعمل(أي التعلم) كموجه له فيما بعد.

---

(1): Klimberg (otto), OP CIT, P 497.

خلاصة الفصــــل:

إن الشيء الذي يمكن أن نستخلصه في ناية هذا الفصل، و من خـلال تتبعنـا لمختلـف الاتجاهات النظرية الخاصة بالتنشئة الاجتماعية، سواء أكانت اجتماعية أو نفسية أو سـيكولوجية، فإ ا تلتقي في اية المطاف عند تفسير واحد، هو انه لا يكاد يخلو مجتمع من تنـشئة اجتماعيـة، مهما كانت درجة بدائيته أم ارتقائيته، فهي تبقى بمثابة حتميـة، بواسـطتها يحـدث الإدمـاج الاجتماعي للفرد، وذلك بفضل مؤسسا ا التي ما يفتىء المرء يتلقى تكوينها منذ ولادته، إلى آخر لحظة في حياته، فالتفاعل الذي يحدث بين الأفراد و المحيط الاجتماعي على اخـتلاف مكوناتـه، يعمل على بناء الذات الإنسانية ارتكازا على مختلف الأنساق الاجتماعية من جهة ، و المحيط الذي يعمل على قولبة و تشكيل الأفراد من جهة أخرى.

وحتى نجيب على سؤال كنا قد طرحناه في بداية هذا الفصل:

- ما حصة التنشئة الاجتماعية في تفسير الظاهرة موضوع الاقتراب؟.

أي الظاهرة التي نحن بصدد معالجتها من خلال هذه الرسالة، نقول انه يبدو بالتأكيد أن معـاني التنشئة ثقيلة في موضوع بحثنا، لذا لن نتوان (نتراجع) لحظة واحدة في إلقاء معانيهـا في اقترابنـا الميداني، حتى نفيد أكثر من هذه الأخيرة (التنشئة الاجتماعية)، لقد لاحظنـا أن هنـاك جملـة ميكانزمات تتدخل في تحديد وتشكيل السلوك الاجتماعي و اختياراته، بيد انه يبقى هذا التشكيل و هذا التحديد في اية المطاف نوعي، نظرا لأن الثقافة الفرعية تبقى تلعب دورها بالتأكيـد، إلى جانب الثقافة العامة.

الفصل الثالث

الهوية
و
الأبعاد الثقافية و الأيديولوجية

الفصـــل الثالث :

الهوية والأبعاد القافية و الأيديولوجية

المبحث الأول : معاني وأبعاد الهوية

- المطلب الأول : الهوية لغة
- المطلب الثاني : الهوية إصطلاحا

المبحث الثاني : الهوية وعلاقتها بالذات وا تمع

- المطلب الأول : الهوية الفردية
- المطلب الثاني : الهوية الجماعية

المبحث الثالث : الاقتراب النظري لمسألة الهوية (العوامل و المحددات)

- المطلب الأول : عوامل محددات و إكتساب الهوية
- المطلب الثاني : الهوية والأيديولوجية

خاتمة الفصل

مقدمة الفصل :

ترتبط مسألة الهوية (*IDENTITE*) أشد الارتباط بالقـضايا والإشـكالات التاريخيـة والثقافية لكل جماعة أو أمة، فإذا كان الفرد وما أنتجه التحول الصناعي الرهيب يطرح قضية الهوية كقضية نضالية تكافح من أجلها جماعة مهنية أو نقابة عمالية ، فإن الأمر يكاد يكون مختلف تماما ، وذلك إذا ما تطرقنا إلى مسألة الهوية في ا تمعات العربية والإسلامية ، فهـذه المـسألة كمـا يطرحها محمد عابد الجابري في كتابه "نحن والتراث" فإ ا تعد بحق هوية أمة لا هوية فرد أو جماعة إذ يقول : " إن هذه ا تمعات (مجتمعات العالم الثالث) ، وبعد أن مرت بتجـارب قاسـية - الإستعمار والإستعمار الجديد – وبعد أن عانت الأمرين من آثار المثاقفة المكثفة ، وجدت نفسها مشغولة إلى أبعد حد ، بقضية الحفاظ على هويتها الثقافية ، إن لم نقل وجودها الاجتماعي في حد ذاته ." وكأني بالجابري يريد أن يقول أن البحث في مسألة الهوية ، يبقى هو الآخر رهين الظروف السوسيوثقافية والسياسية ، وغيرها التي تكتنف وتخص كل مجتمع على حدى ، فإذا كان الغـرب يبحث عن تحرير الفرد واستقلاليته المطردة عن الآخرين فإن المسألة تطرح في عالم مثـل العـالم الثالث في قالب مجتمعي .

لكن وبعد هذا التناول الوجيز لمسألة الهوية واقترا ا في عالمين ينفردان كل بخـصوصياته الثقافيـة والاجتماعية والأيديولوجية ، وإشكالاته التاريخية ، نود أن نعرف ما الذي نتوخاه ونقصده مـن تناولنا لفصل الهوية في موضوع بحثنا " البناء الثقافي والأيديولوجي للمهن " ، مما لا شك فيـه أن تناول مسألة الهوية كفصل مركزي في بحثنا هذا ، كان بعد أن افترضنا ما يلـي : يعطـي فعـل المتاجرة بالأزياء الدينية وغيرها ...... لدى ممارسيها وفاعليها هويتهم الثقافية ، لذا سـنتطرق في هذا الفصل إلى معاني وأبعاد الهوية لغة واصطلاحا ، ثم نعرج ونحاول معرفة العلاقـة بين الهويـة و الأنا من جهة ، والهوية وا تمع من جهة أخرى ، وهذا من خلال رصد أنواعهـا (الفرديـة والجماعية) ثم نتطرق إلى العوامل النفسية والاجتماعية المساعدة على اكتساب الهوية ، وأخـيرا سنتعرض إلى علاقة الهوية بالأبعاد الأيديولوجية للذات ، ثم نختم بمجموعة من التصورات تكـون حصيلة لما إستخلصناه عن الهوية كآلية نفسية واجتماعية ، وعلاقة كل ذلك بموضوع بحثنا " البناء الثقافي والأيديولوجي للمهن" .

(1) . محمد عابد الجابري ، نحن والتراث ، المركز الثقافي الغربي ، ط، الطليعة ، بيروت ، 1980 ص 54 .

المبحث الأول : معاني وأبعاد الهوية

المطلب الأول : الهوية لغة

الهوية (*IDENTITE*) : " لفظ الهوية مشتق من أصل لاتيني ، ويعني أن الـشيئ نفـسه ، أو الشيء ماهو عليه ، على نحو يجعله مباينا لما يمكن أن يكون عليه شيء آخر " [1] .

أما إشتقاقات لفظ الهوية في اللغة سواء أكانت عربية أو أجنبية فهو يعني : " .... لفظ الهويـة في العربية مصدر صناعي مركب من "هو" ضمير الغائب المعرف بأداة التعريف " ال" ومن اللاحقـة المتمثلة في الـ (ي) المشددة وعلامة التأنيث في الفرنسية والإنجليزية واللاتينية يعني لفـظ (ID-IDEM) ، ضمير الإشارة للغائب بمعنى ذاته " [2] .

الهوية لغة " جمع هوايا " البئر البعيدة القعر ، الأهوى : إسم تفضيل من هوى ، تقول هذا الشيء أهو إلي من كذا ، أي أحب إلي ....." [3] .

تطلق الهوية أولا على : ".. العلاقة الفكرية التي ترفع كثرة المعاني في الموضوع ، فتردها إلى وحدة الإشارة فمثلا "أ" في الهوية مع "ب" معناه أنه على الرغم من الاختلاف في التعبير بـين "أ" و"ب" فإن المقصود ـما شيئا واحدا فالهوية هي ما يجعل شيئا متشا ـا تماما مع شيء آخر والفهم بوجـه عام ، يقوم في ـوية معرفة جديدة مع كنا قد نعرفه من قبل ، وقد رأى " أميل مايرسون " لرد كل معارفنا عن الكون إلى الهوية المثل الأعلى للعلم " [4] .

إن مفهوم الهوية من ناحية الدلالة اللغوية هي " ... كلمة مركبة من ضمير الغائب "هو" مـضاف إليه ياء النسبة التي تتعلق بوجود الشيء المعني ، كما هو في الواقع بخصائصه ومميزاته التي يعرف ـا والهوية ـذا المعنى إسم الكيان أو الوجود على حاله ، أي وجود الشخص أو الشعب أو الأمة كما هي ، بناءا على مقومات وخصائص معنية تمكن من إدراك صاحب الهوية بعينه دون أشـباه مـع أمثاله من الأشباه "[5] .

---

(1). د. محمد إبراهيم عيد . مرجع سابق، ص 17 .

(2). نفس المرجع ، ص 17 .

(3) المنجد في اللغة والإعلام ، مرجع سابق ، ص 879 .

(4) .د. عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، مصر ، ص 569 .

(5) أحمد بن نعمان ، الهوية الوطنية ، الحقائق والمغالطات ، دار الأمة ، الجزائري ، بدون سنة ، ص 19 .

المطلب الثاني : الهوية اصطلاحا

"..... تعتبر الهوية حصيلة مجموعة من سياق العلاقات والدلالات التي يستقي منها الفـرد معـنى لقيمته ويضع لنفسه في ضوئها ، نظاما يشكل في إطاره هويته ، بحيث تتوفر له من جراء ذلك ، إمكانية تحديد ذاته داخل الوسط السوسيو ثقافي ، باعتباره نظاما مـرجعيا علـى المستوى السلوكي " [1]. إنها ".. سيرورة يبنى الفرد من خلالها مظاهر جهازه العضوي ويتعرف من خلالها أيضا على تلك المظاهر سواء في الحاضر أو الماضي أو المستقبل كل لنفسه ، كما يقبل أن يعرفـه الآخرون في ضوئها دائما ..." [2] .

فمن خلال هاذين التعريفين نستنتج أن الهوية هي نظام ضابط لسلوكات الفرد و مفرز ومميز لها في نفس الوقت ، فهي تقويم نفسي واجتماعي يدرك الفرد مقاصده ، إننا نجد الكثير مـن الفئـات والـأفراد في مجتمعاتنا تساءل من أنا ؟ والحقيقة سؤال كهذا ما كان ليطرقه هؤلاء سواء أكـانوا أفرادا وجماعات ، لولا ذلك الضغط الثقافي و الإجتماعي الذي يحتم على كل شخص ، أن يضع بطاقة تعريف لنفسه ، يفصح من خلالها عن هويته ، يقدم صورة الإنتماء الإجتمـاعي والثقـافي وحتى الأيديولوجي و القيمي ، لحكم الآخرين أو الجماعة .

أما (P.TAP) فيعرف الهوية بقوله : ".. مجموعة المميزات الجسمية والنفسية والمعنوية والقانونية والثقافية ، التي يستطيع الفرد من خلالها أن يعرف نفسه للآخرين وأن يتعرف النـاس عليـه ، أو المميزات التي من خلالها يشعر الفرد بأنه موجودة كإنسان له جملة من الأدوار ، أو حتى من طرف جماعته أو الثقافة التي ينتمي إليها .." [3] فـ : (P.TAP) يزيـد علـى مـسـألة المميـزات والخصائص التي يشترك فيها الفرد مع الآخرين ، ثم الإعتراف من طرف الآخرين بهذه المميـزات والخصائص كشرط للإنتماء والإنتساب ، كقضية ثالثة ألا وهي قضية الإلتزام والوفاء عن طريـق الإشتراك في الأدوار الإجتماعية و الثقافية ، للجماعة التي ينتمي إليها حتى يفي بالقبول عندها .

---

(1): مصطفى حدية ، التنشئة الإجتماعية والهوية ، ترجمة محمد بن شيخ ، منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية ، الـرباط ، ط1، 1996 ، ص 25 .

(2) Rure tiers monde, les usages de l'identité , l'exemple du maghrebe «, janvier , mars 1982 n°93 p 29.

(3) د. محمد مسلم، خصوصيات الهوية وتحديات العولمة ، دار قرطبة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 2004 ص 10 .

المبحث الثاني : الهوية وعلاقتها بالذات والمتمع

المطلب الأول : الهوية الفردية

يعد مفهوم الهوية (IDENTITE) من المفاهيم التي تقاطعت دراسة ، العديد من العلوم المهمته بالإنسان ، سيما تلك الدراسات النفسية والاجتماعية والأنتربولوجية ولربما قد وجدنا هذا المفهوم يضرب بجذوره وتاريخ الفكر الفلسفي كغيره من المفاهيم التجريدية (الثقافة ، الأيديولوجيـة ، الشخصية ، العقل ، النفس وغيرها) وعلى الرغم من الإستعمالات الكثيرة عبر الحقب التاريخيـة والفكرية لهذا المفهوم ككلمة ماهية – جوهر – إنية – ذات ... فإن الفكر الفلسفي الإسلامي هو الآخر كانت له إسهامات في الموضوع ، أعني الهوية أو الماهية أو الإنية أو ما لا يعرف بغيره ، وقد كانت أهم ما أسهمت به الفكرة الفلسفية عند المسلمين ، ما سموه بـ : " سبر العلـة () ودوران العلة مع المعلول ، وتطبيقها في كثير من مجالات المعرفة " .

والآن سنركز إهتمامنا حول مسألة الهوية الفردية وتبيان ميكانيزم وآلية عملها " ... الهوية الفردية هي مجموعة الرموز ، الأحاسيس ، المعارف ، الذكريات والمشاريع المتعلقة بالنفس ". (1)

إ ا "... جملة معايير تمكن الفرد من تعريف نفسه ، فهي شعور داخلي ، هذا الشعور بالهويـة ، يتعدد إلى الشعور بالوحدة وبالقيمة و بالإستقلالية وبالثقة ، إ ا الشعور بالإنسجام مـع الـذات بالإنتماء وبالتواجد ، فيتم إدراك الإنسان لتشا ه مع ذاته وإدراكه وإستمرارية وجوده في الزمـان والمكان وإدراكه بأن الآخرين يعترفون له ذا التشابه و ذه الإستمرارية .." (2).فمن خلال هاذين التعريفين لمفهوم الفردية ، نستطيع أن نقول إ ا الهوية الفردية شعور ووعي بالذات يحدد ويميـز الأنا عن الآخر، مما يتطلب هذا توفر شرطا الزمان والمكان، فأنا أشعر أنـني مـسلما في الزمـان والمكان، في الزمان لأن شعوري ويتي الإسلامية ليس شعور صدفة ولا هو حالة عرضـية، فأنـا أشعر شعور ديمومة ذا الانتماء كما أن إختلاف الأمكنة سوف لن يغير مـن شـعوري هـذا، فالإنسان وإن كان كائن متعدد كما تقرر بذلك الدراسات النفسية و الإجتماعية وغيرها، إلا أن هويته هي التي توحد فيه هذا التعدد، وفي هذا الإطار يؤكد " فروم" : "... إن الناس في حاجة إلى وجود حالة داخلية من الخصوصيات مع الذات، وتلك هي الهوية التي تجـعل الفرد متميزا عن

---

(1) Noureddine Toualbi , l’identite au maglireb, casbah editions , Alger .2001 .p 22.

(2):د. محمد مسلم مرجع سابق ص 10 .

الآخرين بوعيه بأفعاله وبماذا يكون .... يجب على كل إنسان أن يكون قادرا على أن يقول " أنا أكون IAM I ..." [1]، ولعل هذا القول له من الصدى في التراث الإسلامي الـذي يخاطب أتباعه ، " لا تكونوا إمعة ، إن أحسن الناس أحسنتم وإن أساءوا أسأتم ، ولكن وطنـوا أنفسهم ...." فكل إنسان في هذا الوجود هو في حقيقة الأمر " بناء معرفي "، تقوم مقوماته على فكرة المعتقد هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الفرد الإجتمـاعي لا يحـاول عبثـا الانـزواء بهويته،دون حصول الاعتراف الاجتماعي بهذه الهوية، وفي هذا الإطار يجب الإشارة إلى أن هنـاك حالات تتعرض فيها الهوية الفردية إلى عدم الإعتراف الإجتماعي، لأن في حقيقة الأمـر الهويـة الفردية هي تفاعل بين ما يعيه الفرد مع ذاته، ويولد فيه الشعور بالإنتماء والإنتساب الإجتمـاعي وأخيرا إنتضار الاعتراف الإجتماعي من طرف الفرد كتصور له عن الآخرين، وأن أي إلتبـاس أو غموض في التفاعل يفضى بالفرد إلى صراعات وإضطرابات في هويته الفردية ، وإن هذه الحقيقـة تؤكدها (P.H .Malewska) مع الجيل المغاربي الثاني الذي يعيش في المهجر حيث تقول : " إن المراهق المغاربي في فرنسا يعيش عمليتين مؤلمتين في نفس الوقت، الأولى تكمن في الإضـطراب الوظيفي للثقافة، الذي يؤدي بالضرورة إلى عدم إمتلاك هوية ثقافية كاملة بكل قواهـا والثانيـة تتلخص في الصورة السلبية عن ذاته التي يتلقاها من الآخرين " [2]، ذلك لأنه إذا كان هناك جيلا مغاربيا من الأوائل و على اختلاف لغاتهم وعاداتهم وتقاليدهم، بل وأوطانهم ليفرضوا جانبا مـن هوياتهم في مجتمعات غير مجتمعاتهم الأصلية، فإن الجيل الثاني منهم يعجز على تحقيق هذا الواقـع ، كنتيجة لسطوة التناقضات التي يعيشها هذا الجيـل بين محيطيه الداخلي والخارجي ، يقول (H . ERICSON) : "إن هذه الحالة تتضمن الشعور المفعم بآلام العزلة وتفكك الشعور الـداخلي لإستمرارية الهوية والشعور بالخجل العام , وعـدم القدرة على اكتساب الشعور بالإنجـاز في أي نشاط من مجالات الحياة ."[3]، وهذه الحالة من شأنها أن تفضي بالفرد شابا أوكهلا , قاصـرا أو راشدا ،حالة من غموض الأدوار الاجتماعية لديه، فهو يمر بأزمة معيارية يواجـه فيهـا خلطـا وغموضا في أدواره، يصعب معها وضع تعريف واضح المعالم للذات، مما تستمر معه ملاحقة الكثير

(1): د. محمد إبراهيم عيد مرجع سابق ص 215 .

(2):H.Pmaleuska et c. cohon , le travail social et les enfants de migrants.ED, Paris, L' harmattan, 1988, p223.

(3): Ericson (H), Adoliscence et crise, ED Flamation, Paris,1972,P137.

من الأسئلة التي يطرحها الفرد على نفسه،كأن يطرح على نفسه سؤال من قبيل مـــن أنـــا ؟، إن الإجابة على سؤال كهذا يتطلب مـــن الفرد أن تكون له معالم واضحة عن خصوصيات ومعـــالم هويته، وأن أي اختفاء أو غموض أو حتى عقد اتجاه القيم والمعايير , سوف لن تسمح له بالإجابة عن مثل هذه التساؤلات , لأن القيم والمعايير الاجتماعية التي تعتبر أدوات حكم على الفعل , هي مشوبة إما بالغموض والاختفاء وهو ما نلاحظه مثلا في ا تمعات التي تكثر فيهـــا الأعـــراق أو إنتشار الآفات الاجتماعية كالزنا مثلا, بحيث نلاحظ أن لهذه الأخيرة إضافة إلى مضارها المادية , فهي تعد بحق آفة اجتماعية لها امتدادات خطيرة على الهوية الفردية , للفرد الذي يكون ضحية من ضحيا هذا الفعل , أو هذه الآفة الاجتماعية , ناهيك إذا قلنا بأن الفرد الضحية الاجتماعية لمثـــل هذا الفعل , ستحاصره جملة من العقد النفسية والاجتماعية ,هـــي امتـــداد لمحاصـــرة جماعتـــه الاجتماعية، فابتداء من جماعة اللعب و إرتقاء إلى جماعة الجيرة والمهن وغيرها، ســـوف تغيـــب شخصية هذا لفرد الضحية ، لغياب وغموض هويته الفردية، إن هذا الواقع الاجتمـــاعي تؤكـــده الدراسات المهتمة بالهوية الفردية , سيما لدى الجاليات المهاجرة، خاصة المغاربية منها، والسبب في ذلك أن هذه الجاليات يواجه الفرد فيها, أزمة هوية كامتداد لصعوبة التمييز بين ذاته والآخـــرين، بين موروثة وتراثه , وموروث وتراث الآخرين، إن هذه الحالة كما يؤكدها المختصين في ميدان، تفضي بالفرد الاجتماعي إلى جملة من التصرفات تعكس جانبا من هويته الفردية , يطلقون عليهـــا تسمية هوية الواجهة , فما هي أعراضها وصفا ا ؟ إن هوية الواجهة هي هوية يتطلبها الموقـــف وليست الهوية الحقيقية" [1]

وهي نتيجة غموض تفرضه درجات الارتباط الضعيفة، بين الفرد الاجتماعي وبين مورثه الثقـــافي والفكري والسلوكي، وفي هذا ا ال يقول (*V.GENEVIERE*) :

"إن الجالية المهاجرة تعيش آليات ضغوط الهيمنة الاجتماعية , وأن الجيل الثاني على عكس الجيـــل الأول ليست لديه نفس المشاريع وأنه يعيش اضطرابا كبيرا وأن نمطه الثقافي والاجتماعي في صراع مستمر "[2]، إن واقعا كهذا سيزيد من الصراع النفسي لدى الفرد بحيث يستمر الشعور بـــالنقص والسلبية ويستغرق أكثر، ويمكننا أن نضرب أمثلة عن ذلك في الحالات التي يكون فيها الفرد مثلا

(1):د. محمد مسلم، مرجع سابق، ص 58.

(2): V.GENEVIER, " Identite regative des issus de l'immigration en France", in revue interculturelie, 1986,p31.

يعيش وسط جماعات يقل فيها التواصل والمشاركة الجماعية , بحيث ي وي الفرد بنفسه بركن من أركان الورشة، أو ينعزل تماما عن وسطه، وسواء مع هذه الحالة أو تلك سوف يظهر مع مر الزمن أزمة في هوية الشخص وعلاقاته الاجتماعية، يقول*(C.CAMELLERI)*:" إذا كان الإيطالي أو البرتغالي يظهر بعدم الاهتمام للفروق الجسمية، فعلى العكس من ذلك نجد بأن المغاربي يؤكـد بقوة الشبهة التي تنسب إليه رد صفـاته الجسمية "[(1)]، معنى هـذا وحـسب قـول "*C. CAMELLER*" أن هناك عوامل نفسية واجتماعية تتدخل في تحديـد هويـة الفـرد، بالإضافة إلى الصفات الخلقية للكائن البشري , فربط صفات جسمية من مثل لون الشعر مـثلا , والقامة ولون العينين والبشرة وغيرها، بظروف اجتماعية وجغرافية يولد حالات شعور خاصـة لدى الفرد ويته، فمالذي أفضى بالمغاربي المهاجر إلى الشعور ذا النقص والسلبية ؟ إن الحقائق النفسية والاجتماعية تثبت أن الفرد، الاجتماعي قد يخترع ويجد له إستراتجيات يعتقد أ ا الـسبيل الأنجع و الأمثل لتجاوز بعض المواقف والأزمات النفسواجتماعية، فتراه مثلا يتقلد ويتقمص أدوارا لفئات هين عليه، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة أو غير مباشرة , وفي الواقع هي أعـراض عـن تفكك الأنا وسلبيته , لأنه في الحقيقة المغلوب مولع بتقليد الغالب , لذلك تجده يتظاهر في ثوبـه ومميزاته، درءا لبعض المخاطر التي يخشاها المقلد أو المتقمص من المهيمن عليـه , أو جلبا لرضـاه ,و اذا استمر الوضع ذا التقليد و ذه الكيفية، سوف تضمحل هوية الفرد وتستدمج بالتدريج في هوية الآخر المهيمن و المقلد والمتقمص لأدواره, لكن هناك حالات عديدة يدرك الإنسان ويعـي خطورة هذا الوضع , فيلجأ إلى تعزيز سلوكه بإستراتيجية جديدة , يطلق عليها المختصين تسمية إستراتجية * الهوية الدفاعية * فما هي خصائصها ومميزا ا ؟

لما كان الفرد الاجتماعي يبحث عن اعتراف الآخرين له , سواء لأدواره أو مكانته الاجتماعية فإن سعيه هذا لن يكون إلا بواسطة علاقات تفاعل، مع المحيط الخارجي تثبيتا لهويته الفردية وأن أيـة ضغوط سيواجهها الفرد بإستراتجية معينة، ومن بين هذه الأستراتيجيات الأسـلوب الـدفاعي أو الهجومي، كرد فعل لدرء الأخطار الماسة بالهوية الفردية , فمـحاولة فرض نمـــط معين في

---

(1): د. محمد مسلم، مرجع سابق، ص 54 .

الاستهلاك أو اللباس أو حتى في القيم والثقافة , سيواجهه الفرد الاجتماعي بإستراتجية معينة فالكل مثلا يقرأ في التاريخ الهندي , كيف طبق المهاتما غاندي إستراتجية مقاطعة البضائع الإنجليزية , وهي إستراتجية هجومية دفاعا عن الذات والهوية , بسلوك حربي ذكي ، فهو القائل اننا سنكسب معاركنا لا بقدر مـا نقتل من أعدائنا، بل بقدر ما نقتل في انفسنا الرغبة في القتل، فالأنسان حين يتعرض إلى محاولة لتفكيك هويته، فإنه يتكيف مع الوضع بتطبيقه لأستراتجية ما تكون انعكاسا لتكوينه النفسي والاجتماعي، تقول *H.P Malewska*:"يتبنى المغاربي أسلوبا هجوميا عدوانيا، خاصة أمام مظاهر التميز العنصري، و أن العدواني هي رد فعل سريع للإحباط الذي تلحقه مظاهر التمييز العنصري بالفرد "[(1)]،وهي تظهـر أي العدوانية حين يشعر الفرد الاجتماعي بأنه مستهدف في شخصية وهويته، كأن تنقص من كرامته وقيمته بمختلف أشكال التمييز, سواء أتعلق ذلك بحقه في المواطنة , أو حقوقه وواجبا ته الاجتماعية والتمييـز فيها , لكن الشيء الذي يجب أن نؤكد عليه هو أن استمرار واستفحال الواقع الهجـومي لشخـصية الكائن البشري , يولد عنده حالة من عدم الاستقرار في هويته , كنتيجة لعدم استقرار الظروف المحيطـة به، يقول *J. GUILLAUMIN* :" إن الهوية والعدوانية توجد بينهما علاقة وطيـدة حيـث أن العنف والعدوان يمثلان بشكل ملموس , حالة من حالات الهوية غـير المـستقرة "[(2)]،فالاسـتراتيجية العدوانية تظهر وتتفوق عن باقي الاستراتيجيات , إذا توفر عنصر الغيرة على الهوية و الذات.

المطلب الثاني : الهوية الجماعية :

يجب أن نذكر أن مفهوم الهوية قد فرض نفسه بسرعة، في علـم الاجتمـاع وفي التحليـل النفـسي والاجتماعي , وذلك قبل أن يحتل مكانة هامة في علوم الإنسان لذلك وجـدنا أن علمـاء الاجتمـاع وعلماء (علوم الإنسان) ،هم الذين إستطاعوا التفريق بين مفهوم الهوية الفردية من جهة ومفهوم الهوية الجماعية من جهة أخرى . يقول *E MALWENSKA* :" يذكر أن مفهوم الهوية الاجتماعية ظهـر إبتداءا من مسألة الطبقة العاملة والقلة القليلة للأهالي، هذه الهوية كانت محددة بعلاقات الـسلطة مـع المجموعة المهنية .."[(3)] .بينما يعرفها البعض بقولهم محاولين التفريق بينها و بين الهوية الفرديـة: " الهويـة الاجتماعية هي الشعور بالانتماء إلى بعض المجموعات الاجتماعية، في حين أن الهوية الفردية هي مجموعة الرموز، الأحاسيس، المعارف، الذكريات، و المشاريع المتعلقة بالنفس"[(4)]

---

(1): Malewska (H.P), et Cohon (C), OP CIT, P 223.

(2): د.محمد مسلم، مرجع سابق، ص 63.

(3): Nourddine Toualbi, OP CIT, P21
(4): Ibid, p22.

فبالإضافة إلى القول الأول السابق الذي يشير أن مفهوم الاجتماعية , مفهوم شـديد الالتـصاق بالجماعات المهنية والطبقة الشغيلة عموما , وهذا يجعلنا نفكر في طـرح المسار التاريخي لتـاريخ ا موعات المهنية , سيما في الفترة التي كان فيها الصراع محتدما بين الشرق والغرب ,في إطار من الصراع الأيديولوجي , لذلك وجدنا من الباحثين من إهتم وية هذه الجماعـات والبحـث في مطالبها , التي تعتبر من وجهة النظر السوسيو لوجية مؤشرات عن هويتها كانعكاس للوضع العام الذي ساد تلك الحقبة التاريخية، والثنائية الفكرية الأيديولوجية والاجتماعيـة ,وحـتى الـسياسية والاقتصادية – رأسمالي – اشتراكي التي هيمنت في فترة ما .

بينما يطرح القول الثاني مسألة هامة ومركزية , ضمن قضية ومسألة الهوية الجماعيـة، ألا وهـو مفهوم الانتماء , فهذا الأخير هو شعور من الفرد وولاء منه لجماعة ما، قد تكون حزبية أو نقابية ومهنية أو رياضية , وغيرها من الجماعات الاجتماعية فالفرد هنا يشعر بانتمائه إلى جماعـة مـن الجماعات , تبعا لمنطق إشتراك القواسم والأهداف الموحدة ,وهذه الجماعة هي التي تعـزز لديـه مظاهر الشعور بالتقدير الذاتي و الافتخار.

يقول د. محمد إبراهيم عيد في كتابه الهوية والقلق والإبداع " الانتماء ارتباط الإنسان وبمجتمعـه وبعالمه , على نحو يشعر معه بالتواصل والانتماء الذي يبلغ حد الافتخار ذا ا تمع "[1]،فما الذي جعل (*Oyserman*) و(Sakomoto) يكشفان مثلا في بحثهمـا الخـاص با تمعـات الأسيوأمريكية أن هذه الشعوب لها شعور خاص بانتمائها التاريخي والحضاري , لقد إكتشف هذين الباحثين أن هناك علاقة وطيدة بين ال عة الجماعية وتقدير الذات الاجتمـاعي , فالفرديـة عندهم ترتبط بتقدير الذات الجماعي والجماعية مرتبطة بال عة العرقية والإحساس بالتميز الـذي يبلغ حد الافتخار بالانتماء إلى الموروث الثقافي الآسيوي، فالإحساس بقوة الانتماء إلى التقاليـد والموروثات الثقافية، هو الذي شكل الهوية الجماعية لدى هذه الشعوب يقول *H TJFEL*:

"إن الهوية الاجتماعية للفرد مرتبطة بمعرفته لانتمائه إلى فئات اجتماعية معينة، كما أ ـا مرتبطـة كذلك بالدلالة الوجدانية التي تتمخض عن هذا الانتماء."[2]

إن شعوري مثلا ويتي الاجتماعية الإسلامية ,هو معرفة شخصية إلى أي جماعة أو أمة أنتمي لكن هذا الشعور , يعتبر من وجهة نظر *H. TAJFEL* غير كافي طالما أنه لم يولد لـدي

(1): د.محمد ابراهيم عيد، مرجع سابق،ص 65.

(2) د.محمد مسلم، مرجع سابق، ص 42.

الدلالة الشعورية أي مؤشرات هذا الشعور بالانتماء، إن مجتمعا كا تمع الفلسطيني مثلا,يعـاني كل أصناف التميز والعنصرية , لا يولد عندي إحساسا بالغيرة والحمية عليه هذا لا يدل أبدا أنني أنسب انتمائي إلى الأمة العربية الإسلامية، فشرط مؤشر الانتماء ضـروري في إكمـال الهويـة الجماعية ،ولما كانت الهوية الاجتماعية شديدة الالتصاق بموروث ا تمع الحضاري والثقافي، فـإن لهذا الأخير دور في تغذية الهوية الجماعية للأفراد، يقول دوركايم *DURKHEIM* " إنه يوجـد فينا كائن اجتماعي أو بالأحرى جمعي وأخر خاص، فالأول يتمثل في أنساق الأفكار والأحاسيس والعادات التي لا تعبر عن شخصية الفرد وإنما تعبر عن الجماعة التي ينتمي إليها لأن هذا الكـائن الجمعي (*étre collectif*) هو من مكونات النواة الثقافية أو الجماعية للهوية " [1]، فالثقافـة هي نسق من المسلمات التي تستند إلى الموروث والإنتاج الإجتماعي الذي يغذيها ويمنح لها مكانتها بإستمرار ، والهوية بالمعنى الثقافي الذي أشرنا هي إكتساب وتحصيل . وهـي نـواة الشخـصية اللإنسانية ، بفضلها يتحرك الفرد في الحقل والمصنع والمدرسة والجامعة والمسجد والكنيسة ...... وغيرها ، لأ ا أي الهوية الثقافية رموز وقواسم مشتركة وأنماط راسخة ، يتميز بفـضلها الأفـراد والشعوب والجماعات فيما بينهم ،" الهوية الثقافية تصلح كأداة للتمييز "نحن" لهوية الفـرد بعـد إجتماعي سياسي ، إذا انتقل للدلالة على هوية ا موعة الجغرافية أو التاريخية ،و عندئـذ تـصبح الهوية أداة للإدماج والإقصاء "[2] ، وهنا نشير إلى أهمية المعطى الثقافي كعنصر في الهوية الجماعية ، فإذا كانت الثقافة مصدر ونبع يغذي الهوية الجماعية فإن الهوية تتحول إلى إستراتيجية تـستخدم ، وهو ما نلاحظة مثلا عندما تحاول جماعة ما محاولة فرض هويتها على باقى الجماعات، مستخدمة المطية الثقافية كوسيلة إخضاع لذلك، كما تفعل الولايات المتحدة الأمريكية مثلا مع كـثير مـن مجتمعات المعمورة تحت غطاء العولمة الثقافية، وهى في حقيقة الأمـر تمارس ذلك بغيـة الإدماج و الإقصاء، من ليس معنا فهو ضدنا، فالطابع الاجتماعى للهوية ومنطق الإدماج والإقصاء، هـو فعل إجتماعى تمارسه الجماعات بفنون مختلفة، فمثلا قد نجد جماعات تقـوم بعمليـة الإدمـاج المشروط بتوفر عدد من السمات تعتبرها وتعتقدها الجماعة الإجتماعية شروطا وسمات أساسـية : كالمهن والعقائد واللغات والطقوس والإنتماءات العائلية وغيرها، إن ظاهرة التنصير مثلا

(1): د. محمد مسلم، مرجع سابق، ص 36.

(2): محمد العربي ولد خليفة، المسالة الثقافية و قضايا اللسان الهوية، دراسة في مسار الأفكار في علاقا ا باللسان و الهوية، ومتطلبـات الحداثـة و الخصوصية و العولمة و العالمية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003، ص ص 103-104.

في الجزائر يمكن إدراجها ضمن هذه الممارسات التي تحاول تصدير وفرض هوية اجتماعية ما ،بإستخدام البعد الثقافي وإستغلال الأوضاع النفسية والاجتماعية، لمن يوجه إليهم هذا الفعل (التنصير) هذا من جهة، ومن جهة أخرى هناك حقيقة إجتماعية تتعلق بعنصر الثقافة في الهوية الإجتماعية يجب أن نشير إليها وهى أن الأفراد والجماعات في بعض المجتمعات ليسوا معرضين لنفس مشارب الثقافة الواحدة، بل أن هناك مجموعات إثنية وعرقية ،نجدها في إطار الزمر الواحدة، تختلف فيما بينها لإختلاف معتقدا تها وخلفيا تها ومصالحها،التي قد تكون أحيانا متصارعة ومتناقضة فيما بينها،فكيف يكون الشعور بالهوية الجماعية في هذه الحالة ؟، ثم كيف تتعايش الهويات وسط هذا التناقض . إن هذه الحالة يرصد "*p pascon*" نموذجا عنها في المجتمع المغربي سيما القروي منه ، صورة الفلاح المغربي إنه " يتبنى في خضم تنافر الأوضاع المحيطة به ، عددا من الرموز الثقافية المتضادة ، المستقاة من أنماط الإنتاج المتصارعة فيما بينها في الوقت الراهن ، ونعني به البتريكية، والقبلية ،و الفيودالية والرأسمالية و الإشتراكية ، غير أن هذا النوع من التكوين الإجتماعي، لا يوجد إلا على مستوى الأيديولوجية والتنظيم السياسي ، وهو ليس أرضية مادية ولا أنشطة منتجة "[(1)]،ويستخلص "*pascon*" مفهوم المجتمع المركب أي المتعدد العناصر ، محاولا الإستفهام حول معنى الإنتماء، وكيفية التعامل والتكيف مع وسط على درجة كبيرة من التعقيد، تتجاذبه على الأقل أربع أيديولوجيات ، هذا إذا أضفنا إليه العادات والأعراف وباقي الممارسات الإجتماعية ،المتعلقة بالجانب القيمي والثقافي ، يقول "*p. pascon*" : الإنسان في المجتمع المركب يبدو كالعازف الذي يعزف على جميع الملامس في الوقت نفسه ، وكالمغني الذي يستعمل جميع طبقاته الصوتية في الوقت نفسه ، أي أنه يهدف إلى تحقيق أهدافه الشخصية والفردية وحتى الجماعية أحيتنا ، دون أن يكلف نفسه عناء السؤال عما إذا كان إجراء مثل هذا الإجراء، أو تصرف مثل هذا التصرف، يدعم هذا النمط من الأخلاق أو هذا النظام من القيم أو يخربه " [(2)]

فالذي نفهمه من "*pascon*" هو أنه عندما تتعدد مصادر التثقيف الأيديولوجي ، فإن ذلك يحدث فوضى في الشعور بالإنتماء للهوية الإجتماعية، فالفرد عندما تتعدد لديه مشارب الفتنة الأيديولوجية، يضطرب سلوكه وأفعاله، ولايعرف لأي الجماعات ينتمي، ولا لأي منها يعترف بالولاء .

---

(1): مصطفى حدية، مرجع سابق، ص 245.

(2): المرجع نفسه، ص 246.

وعلى الرغم من صحة ما ذهب إليه "*pascon*" إلا أنه أغفل شيئا مهمـا يؤكـده علمـاء الإجتماع، ألا وهو مسألة البدائل الثقافية ، ونقصد ا تلك الطرائق التي تؤدي مهمة واحـدة في أهدافها، وتغلبها على باقي الطرائق والأهداف الأخرى ، فلا يخفى أن مجتمعا مثل ا تمع المغربي ، أن هوية أفراده الجماعية من هوية إنتماءات أمته التاريخية ، فالعامل الثقافي والثابت التـاريخي لأي جماعة أو مجتمع، قد يستخدم كبدائل وظيفية عندما يستعصي الفعل والتصرف، فلا أكاد أشك أن أحد الأفراد في ا تمع المغربي الذي درسه "*pascon*" يكون على الأقل هويته العربية المغاربية .

المبحث الثالث : الإقتراب النظري لمسألة الهوية.

المطلب الأول : عوامل محددات و إكتساب الهوية.

- إن الحقيقة العلمية الثابتة تؤكد أن الإنسان ينفرد عن باقي المخلوقات، كونـه كـائن متعـدد إجتماعي ، يتصرف ويتكيف مع محيطه ، مؤثرا ومتأثرا بما يجري من حوله، بيد أن الذي يهمنا في هذا الباب هو كيف تسوغ وتؤثر مجموع الآليات والميكانيزمات الإجتماعية والغير الإجتماعية في هوية الفرد وتصرفاته وإختياراته وإهتماماته وغيرها من الأشياء التي تثبت صفة التعدد فيه المـشار إليها آنفا، إن هذا الإجراء يتطلب منا أن نتوقف عند كل آلية، ورصد كيفية عملها وتأثيرها

- دور الغير أو الآخر في تحديد الهوية :

إن المقصود بالآخر أو الغير ليس بالضرورة أن يكون أشخاصا بعينهم، بل قد يكون الآخـر هـو الثقافة الإجتماعية التي تصوغ هوية الفرد وتؤثر في سلوكه، وقد تكـون بيئته ومحيطـه ، تقـول ***M ZAVALONI*** " هوية فرد ما في المنظور البيئوي الذاتي، ستتأسس من خلال مـضمون الوسط وبيئته ، ونظامه الداخلي الذاتي والديناميكي ، بصفتها جميعا مكانا للمراقبة والتوقع ، وبؤرا تعكس التصرفات اليومية ." [1]، فـ : "*M. ZAVALONI*" ومن خلال قولها تؤكد وتشير إلى مسألة العملية التفاعلية، التي تربط الفرد الإجتماعي بمحيطه ، هذا المحيط الواقع خارج الإنـسان ، يؤثر في تشكيل هوية الفرد مراقبة وتوقعا ، فالفرد في تصرفاته اليومية يعكس الكثير من خـبرات محيطه ، التي حصلها بواسطة عملية التنشئة والتأثر .

(1): M ZAVALONI . IDENTITE SOCIALE ET CONSCIENCE .ED PRIVAT LES PRESSES UNIVERSITAIRES DE MONTREAL 1984.PP 11 . 12

كما أنه يمكن أن يندرج و يتموقع ضمن قالب إجتماعي، عناصره من جماعات المرجعية التي ينتمي إليها، سواء أتعلق الأمر بالمعتقد الديني أو الجهوي أو الفئة أو الجـنس ، أو المهنـة أو الإنتمـاء السياسي والأيديولوجي ، إلى غير ذلك من المحركات والدوافع التي تحمل على الفعل والإختيـار ، كجوانب محددة ودالة على هوية الفرد الإجتماعي ، فمحاولة *M ZAVALONI* هي محاولة في إتجاه تجريب العلاقة التي تربط الهوية الفردية ، وبين المميزات الإجتماعية والثقافية والبيئة المحيطـة بالفرد ، والتي توصف أي هذه العلاقة بالوظيفية ، يقـول *P BOURDIEU* " إن طقـوس المؤسسة هي التي تجعل ممن تعترف له بالدخول في المؤسسة ملكا أو فارسا أو قسا أو أستاذا فترسم له صورته الإجتماعية وتشكل التمثل الذي ينبغي أن يتركه كشخص معنوي أي كمكلف من لدن جماعة ناطق بإسمها ولكنها تفعل أيضا بمعنى آخر فهي تفرض عليه إسما ومنـصبا يحـدده ويعينـه ويشكله، ترغمه أن يصبح ماهو عليه أي ما ينبغي أن يكونه فتلزمه بالقيام بوظيفته .. " [(1)]، فمن خلال قول *P.BOURIDIEU* يتبين الطابع الإكراهي الحتمي للمحيط الخارجي بمختلـف آلياته وميكانيزماته، فرسم الهوية الإجتماعية للفرد يمر عبر قنوات تحيط به وترسـم لـه حـدودا وضوابط للفعل والأفراد في ناية الأمر حسب تصور بورديو*BOURDIEU*، إنعكـاس للـبنى الموضوعية المحيطة ومنها تتحدد هويا م وتثلا م لذوا م ، ويمكننا أن نرصـد أكثـر تـصورات ورؤىBOURDIEU ، عندما نتطرق إلى مفهومه الخاص بالرأسمال الثقافي الذي لخصه في ثلاثة مؤشرات دالة " مظهر ذاتي يتمثل في المؤهلات والتنظيمات الدائمة، مظهر موضـوعي مـرتبط بالثقافة و الأشياء كالكتب مثلا، مظهر مؤسساتي يتمثل في الشهادات العلمية وما يرتبط ا مـن ألقاب ....."[(2)] .ولكي يشرح بورديو هذا المفهوم أكثر (مفهوم الرأسمال الثقافي) يضرب مثالا عن النظام التعليمي بحيث يرى أن هذا الأخير يخضع لنظام الطبقة المسيطرة اجتماعيا، بحيث يرتبط التحصيل الدراسي لأبناء الجماعات الإجتماعية وفقا للرأسمال الثقافي الذي تحوزه كل طبقة مـن هذه الطبقات، وأن أبناء الطبقة المحظوظة يحققون نجاحات أعلى لأن ثقافتهم الطبقية هي الـسائدة في النظام التعليمي وهذه حقيقة إجتماعية يمكن أن نوافق عليهـا**P.BOURIDIEU** إننـا نلاحظ أطفالا يتفوقون في مدارسنا في لغات أو مواد بعينها فمثلا كثيرا ما يتفوق أبناء الأسرة

---

(1): بيرار بورديو، مرجع سابق، ص 48.

(2):BOURDIEU (P),"<u>les trois etats du capital culturel", actes de recherche en sciences sociales</u>, n^{0}30, 1979, PP3-6.

المفرنسة في هذه اللغة على غيرهم من التلاميذ ، إن هـــذا التفوق يعكس المواقع الإجتماعية لهذه الأسرة هذا من جهة، ومن جهة أخرى يعكس هذا جانبا من هوية هؤلاء الإجتماعية كذلك، ألم تر بأن تلاميذ من حفظة القرآن الكريم يتفوقون في مواد ووحدات الفقه وما شابه ذلك ،".... إن البناء الطبقي للمجتمع الصناعي لا يعبر عن مجرد علاقات السيطرة في ا ال الإقتـصادي ، وإنمـا ترتبط ظروف إعادة إنتاج هذا البناء ، بصورة مباشرة بآليات عمل المؤسسة التعليمية ، حيث تقوم هذه المؤسسات بوظيفة إنتقاء إجتماعي وفرز طبقي على أساس معايير ثقافة الطبقـة المـسيطرة وبالتالي فإن مهمة نقل المعرفة التي تقوم ا المدارس تستخدم في حقيقة الأمـر لمـساندة الطبقـة المسيطرة وتدعيم سيطر ا من خلال إضفاء الشرعية على أوضاعها بواسطة النجـاح المدرسـي والتحصيل الدراسي ...." [1] فالفعل التربوي كما رأينا مع بورديو هو فعل خارج عن ذاتيـات الأفراد مفروض من الخارج يؤدي مهام تعكس الهوية الإجتماعية والفردية لجماعة إجتماعية مـا ، تفرض علاقة السيطرة لأفرادها في ميادين متعددة كا ال التعليمي كما ترسم لهم أدوار ومكانتهم الإجتماعية ضمن هذا النسق الذي يعكس هوية من فرض هذه السيطرة وهذا الدور وهذه المكانه إنه و ذا تصبح الهويـــة ميكانيزما فعـــلا بغية إقتـراب الواقع وفهمـه تقـول زفـالوني ***M. ZAVALONI***: " إ ا تمثل (أي الهوية) الدعامة في طرح مسألة معرفة الواقع " [2] فالهوية تصبح أداة من أدوات إقتراب وتحليل الواقع الإجتماعي المبني من طرف الأفراد .

2 – دور الأشياء :

إن الشيئ يمثل لدى صاحبه جانبا من الناحية نفسية طاقة مهمة جدا ،فهو يشير الى ماضي الفـرد وذكرياته و تطلعاته، ولهذا نجده يحتفظ بالأشياء التي لها وظيفة حيوية في حياته ،فإنطلاقا من الحياة الفردية الخاصة ، وتسلقا في السلم الإجتماعي يتضح أن للأشياء دور مهم في تشكيل هوية الفـرد وا تمع معا وأن بواسطتها (بواسطة الأشياء) سوف يحاط الفرد أيا كان أو ا تمع الـة مـن التقديس والإحترام و يحوز المكانة في نفوس الآخرين ، إنك عندما تدخل في ضيافة أحد الأصدقاء أو الأقارب وتلمح الأشياء المملوكة عنده وكيفية ترتيبها وتنظيمها في الحجرة تدرك أن الـشخص المالك لتلك الأشياء له ذوق في حياته على شاكلة ما ،كما تدرك جانبا من شخـصيته وهويتـه ولنفرض أن الشخص المضيف لك مثلا يقطن منطقة من مناطق الجزائر ولتكن منطقة القبائل مثلا

(1) : علي احمد محمدي، مقدمة في علم اجتماع التربية، دارالمعفة الجامعية، الاسكندرية، 1995، ص 165.
(2): ZAVALOUNI (M), OP CIT, P08.

فبمجرد أن تلمح الأشياء التي يحوزها في بيته تدرك جانبا من هويته ومنطلقاته الفكرية والثقافيـة سيما إذا كان هذا الشخص يصنف الأشياء حسب دلالتـها ، رياضـية سياسـية ...إلخ . ثم أن المجتمعات هي الأخرى تكسب هذه الدلالة لهويتها انطلاقا من إرثها الحضاري ألم تـسمع بـأن المجتمع المصري يطلق على بلده إسم " أم الدنيا"، فهم يطلقون ذلـك إنطلاقـا مـن مـوروثهم الحضاري والإرث المادي الذي يحوزه هذا المجتمع، فمن الأشياء المادية (الأهرمات) إلى المعنويات والرمزيات كعبور أكبر الشخصيات المعروفة في التاريخ إبتداءا من شخصية النبي يوسـف عليـه السلام، مرورا بفرعون وقصته مع النبي موسى عليه السلام إلى نابليون و و... كلها دلائل قـرائن لدى المصري الذي يفتخر بهويته التاريخية المجسدة في الأشياء القائم منها والحصيد ، " إن الأشـياء توفر لنا إطارا منظما لشعورنا الداخلي للهوية بكيفيات مختلفة وذلك بإضفاء طابع الإسـتمرارية على الماضي وإدماج مدلول أو معنى جديد في المحيط المادي وبتسجيل أعمالنا بواسطة إسـتعمال الأشياء و بإقتراح أشكال جديدة في المحيط المادي و باقتراح أشكال إيجابية للأفعـال وبتـسجيل وجودنا من خلال الأدوار والوضعيات الإيجابية ..." [(1)] ،والحقيقـة أن الكـثير مـن الرمـوز الإجتماعية للأفراد والجماعات متعلقة بالأشياء والوضع الإجتماعي، إننا نلاحظ يوميا أناس يعنيهم يفتخرون كونهم ينتسبون إلى منطقة بعينها هذه الملاحظة تلمسها عند أكثر من شـخص يقطـن العاصمة في مجتمعنا الجزائر، وهي وإن كانت لا بد لها من إقتراب نفسي وسوسـيولوجي يفتـك خيوطها، فإنني أقول أن لدور الأشياء مهمة كثيرة في توليد هذا الـشعور لـدى الكـثير منـهم فالعاصمة في نظرهم تفتك أسباب التحضر والمدنية مقارنة بغيرها من الولايات،فهي تحـوز علـى الكثير من الأشياء المادية والمعنوية التي تؤهلها لذلك، تحوز مؤسسات الدولة الرسميـة (وزارات ، جامعات..) تحوز أسباب الترفيه والسياحة إلى غير ذلك من الأشياء التي تولد في نفوس الكثير من الشباب هذا الشعور والذي بدوره يستعمل رموزا كدليل إنتماء وتعريف عن هويته، سواءا أتعلق ذلك باللغة أو اللباس أو المعاملات وغيرها " ... إن اللباس هو الأخر يعطي نموذجا عن الأشـياء حيث أن لكل فرد في المجتمع علاقة معينة مع لباس معين وبكيفية معينة أيضا "[(2)] ،فالأشياء سواءا أكانت رموزا أو ماديات، تعكس جوانب هامة من شخصية وهوية مستعملها كما تولد في نفسه ذلك الشعور الذي قد يكون حقيقة أو وهما عن نفســـه أو عن الآخرين الذين يدخـــل

(1): د.محمد مسلم، مرجع سابق، ص 24.

(2): المرجع نفسه، ص 22.

معهم في علاقات إجتماعية وتفاعل مباشر أو غير مباشر، إن هذا الشعور قد يعيد الفرد إنتاجه في حقول كثيرة ومتنوعة في الساحات العمومية، في وسائل النقل، في المدرسة، ومختلف أطوار التعليم في المصنع ،في المسجد والكنيسة وفي مختلف الفضاءات التي يلجها الفرد الإجتماعي، فهو يسحب معه هذه التصورات والتمثلات ،التي يكونها عن نفسه وعن الآخرين كإمتداد لشخصيته وهويته الإجتماعية والفردية .

3 – التقمص :

".. هو عملية نفسية يستطيع الفرد بواسطتها أن يستوعب صفة أخرى أو مظهر ما ، فيتحول بالتدريج إما جزئيا وإما كليا ، ليصير على نمط الآخر"[1] ،فالتقمص هو ظاهرة نفسية يقترب مفهومه من مفهوم التقليد ، بيد أنه يتجاوزه ، فالتقليد قد يكون جزئيا ومحصورا ، كأن يقلد الطفل أباه في كيفية التوضأ والصلاة مثلا، فتراه يقلد الحركات ، ويتمتم بكلمات غير مفهومة، أما التقمص فهو أشمل وأعم من ذلك، فالمتقمص لأدوار الآخرين يعيش حالة نفسية خاصة ، فهو يعيد إنتاج شخصية الآخر (المقلد) في شخص (المقلد)، فالتقمص (*identification*) يعني التوحد أو التطابق ويعرف في التحليل النفسي بأنه : " العملية التي يسلكها أحد الأفراد أو يتخيل نفسه في حالة سلوك لاشعوري أو ببعض اللاشعور، كما لو أنه الشخص الذي يوجد له إرتباط به "[2]، والحقيقة أن علماء النفس و الاجتماع على حد سواء ، يميزون بين مرحلتين أو عمليتين متداخلتين في تكوين الهوية ، وهذا من خلال مراحل نمو الطفل ، المرحلة الأولى لها وظيفة دفاعية هدفها طمأنة الفرد وذلك بالسماح له بالهروب الناجم عن الصراع بين قوة رغباته ومتطلبات الآخر، وأما الثانية فهي بناءة من شأنها أن تفرض نفوذه على الآخرين ،وقدرته على الحماية ..."[3] ، ولذلك نجد اليهود مثلا يركزون كثيرا على هذا الجانب ، وذلك من خلال تنمية الروح العدوانية عند أبنائهم وترسيخ فكرة شعب الله المختار، فالأدوار الإجتماعية التي يقوم بها الأفراد والأشخاص، ماهي في الحقيقة إلا مجموع تقمصات لأدوار خاصة، وعندما يكون هناك إضطراب في هذه العملية (عملية التقمص) ، فبدون شك سيحدث خلط وغموض في الأدوار تقول

---

(1): د.محمد مسلم، مرجع سابق، ص 16.

(2): د. محمد ابراهيم عيد ، مرجع سابق، ص 18.

(3): د. محمد مسلم، مرجع سابق، ص 17.

(*P.H Malewska*)" إن المراهق المغاربي في فرنسا ، يعيش عمليتين مؤلمتين في نفس الوقت ، الأولى تكمن في الإضطراب الوظيفي للثقافة ، الذي يؤدي بالضرورة إلى عدم إمـتلاك هويـة ثقافيـة كاملة بكـل قواها، والثانية في الصـورة السلبيـة عن ذاته، التي يتلقاها من الآخرين "[1] هذا من جهة، ومن جهة أخرى ،فإن (*P.TAP*) يظيف ويشترط ثلاثة عناصر يراها مساعدة على عملية التقمص سيما لدى الطفل بحيث يستلزم وجود عناصر مشتركة بينه وبين النمط الذي يتقمصه هذه الشروط يلخصها (*P.TAP*) كما يلي :

-" الشعور بالود بحيث يكون متبادلا بين الطفل والنمط الذي سيتبناه.

- التشابه وذلك لأن التقمص يقتضي وجود عناصر مشتركة أو عناصر تشابه بين الطفل والنمط الذي سيتقمصه.

- القوة لأن عملية التقمص تصبح سهلة كلما كان هذا النمط قويا ومعتبرا ومحترما "[2]، فيستحيل من وجهة نظر نفسية و سوسيولوجية أن يتقمص أحدهم أدوارا يشعر بالكراهية إتجاه من يتقمص دوره وهذا نراه حتى في التمثيل مثلا بحيث ينجح أحد الممثلين في تقمص أدوار ما لأنـه يفـضل أدوارا يعينها على أخرى أما بالنسبة لمسألة التشابه في تقمص الأدوار فهذا يطرح قـضية تـشابه الأمزجة والطباع فيستحيل مثلا أن يتقمص شخص بطيئ الحركة هادئ الأعصاب أدوارا لشخص ذو مزاج عصبي خفيف الحركة والحكمة الأدبية تقول الأرواح جنود مجندة ماتشابه منها اشـترك واتفق وماإختلف منها تباعد وإفترق، ثم أنه كلما كان النموذج المـتقمص ذو مكانـة وتقـدير إجتماعي سهل على المتقمص لعب أدواره هذا من جهة ولما كان التقمص يتم في صـورة فعـل إجتماعي فإنه يصبح للأفعال دور في تحديد الهوية يقول (*E. BOECHE*):

"إن الفعل يعتبر من محددات الهوية نظرا للعلاقة المتينة التي تربطه بالذات الأنا – لأن الأنـا يعتـبر عملية تنطلق من التجارب المرتبطة مباشرة بالفعل"[3]،فالأفعال هي التي تحدد تـصورات الأفـراد سواء أكان ذلك بنوعية الأشياء التي تدور حولها الأفعال كالأشكال والألوان وغيرها أو بالنـشاط النفسي للفرد الفاعل نفسه كالجهد المبذول مثلا والإحساس والشعور ومختلف الأنشطة النفـسية، التي تعتبر رواسب وقواعد منطلقات صلبة لهوية الفرد.

(1): Maleuska (P.H). OP CIT , p 223.

(2): د.محمد مسلم، مرجع سابق، ص 17 .

(3): المرجع نفسه، ص 20 .

المطلب الثاني : الهوية والأبعاد الأيديولوجية للذات .

يقول لوي ألتويسر (*Louis Althusser*) : " الأيديولوجية العملية هي عبارة عن تشكيلات معقدة من تركيبات لمقولات وتصورات وصور وسلوك وسير ومواقف وحركات يعمل هذا الكل كمعايير عملية تتحكم في أخذ الناس لمواقف ملموسة اتجاه المواضيع الحقيقية والمـشاكل الفعليـة لحيا م الإجتماعية ولتاريخهم"[(1)]، فالأيديولوجية حسب (*Althusser*) آلية إجتماعية توجـه خطابا ا إلى الجماعة الإجتماعية كذوات فبفضلها تسند لهـم هويتـاهم، صـفا م، أسمـائهم، وأدوارهـم، الـتي تتـشكل بفـضلها الـذات البـشرية، ويـضيـف كـارل منـهايم (*Karl Manhien*) وبعد أن قام بمحاولة التفريق بين نوعين من الأيديولوجيا نـوع خـاص ومحدد يتمثل في المواقف الشكية والظنية التي يقفها الأشخاص من تـصورات خـصومهم وهـي حالات نفسية محضة مرتبطة بالتحليلات النفسية، ونوع كلي وشامل حيث يقول معلقا على هذا النوع: " يشير إلى تفكير حقبة أو جماعة أو طبقة ينصب الإهتمام على خصائص ومكونات البنية الكلية للعقل في هذه الفترة أو عند هذه الجماعة "[(2)]، فإذا كان الفرد يتصرف مثلا في النوع الأول من الأيديولوجيا النوع الخاص والمحدد ،وفق مصالح قد تقوده إلى التزييف والكـذب والخـداع تفرضها المصلحة الشخصية، فإنه في النوع الثاني من الأيديولوجيا الكلي والشامل يتصرف وفـق مصالح أكثر تعقيدا تقف وتختفي ورائها نظم معينة في التفكير والإعتقاد ،فهي أي الأيديولوجيا في النوع الكلي والشامل ترابط وتجانس بين ما يفكر فيه الفـرد وماينفـذه في الواقـع ،فالأفكـار والمعتقدات عند مينهايم (*Karl Manhien*) ترجع إلى خبرات الحياة التي حـصلها الفـرد ونماذج وأنماط السلوكات والأفعال التي يكتسبها الفرد، المتجسدة لدى الجماعات الإجتماعية إن المعنى الكلي والشامل للأيديولوجية، هو تفكير وإعتقادات ومقولات تختص ا طبقـة أو فئـة أو جماعة إجتماعية، وتتمايز بواسطتها عن الآخرين فهي ذا المفهوم تعكس جانبا من هوية الفـرد والجماعة، التي تضع على عاتقها برنامجا للدفاع عـن أنمـاط تفكيرهـا وتوجها ـا القيميـة والأيديولوجيـة .

---

(1) *Louis Althusser, position, Edition Sociales PARIS, 1976 p 84*
(2) *Karl Manhien, idiologie et utopie, trad: Pauline Rollet. Rioiere et cie, PARIS, 1956. p 42.*

ويخلص (*k.Manchin*) إلى تحديد مصطلح جديد يطلق عليه إسم المنظورية ، بحيث يعرفـه قائلا : " المنظورية يعني أن كل فئة إجتماعية ترى ا تمع من موقع خاص ا تحدده مـصالحها ، فترى الأحداث طبقا لمنظورها الخاص . إن النسبية في نظره تحن إلى الحقيقة المطلقة ، فيما المنظورية تقبل بدون تحفظ كون الحقيقة المطلقة خارج متناول الإنسان ، فلا تتأسف على ضياع مالم يكن لها . " [1]، فالأفراد والجماعات الإجتماعية في تصرفا م اليومية ، سواء أكانت رفضا أو قبـولا ، تقييما م لأوضاعهم الإجتماعية ، مواقفهم من بعض القضايا التي تخص حيـا م ، إنمـا تختزلهـا الأيديولوجية التي يحملو ا ويفكرون ا ، فمالذي جعل أفراد مثلا يقبلون ببعض الإصـطلاحات الإقتصادية في مجتمعنا الجزائر ، بينما وجدنا آخرين يرفضون هذه الإصلاحات ، في حقيقة الأمـر هناك الكثير من القضايا التي يربطها الأشخاص ، بنظامهم المعرفي والقيمي والأيديولوجي ، الذي يشكل هويتهم الفردية والإجتماعية ، سواء أتعلق الأمر بالقبول أو الرفض أو التقييم .. ومـا إلى غير ذلك من الأمور . وهذه حقيقة عملية توقفت عليها من خلال دراسة ميدانية قمت ا تحت عنوان : الإطارات النقابية أحادية أم تعددية ؟ وهي مذكرة لنيل شهادة الليسانس ، حيث تمكنـا من رصد فئة من إطارات الإتحاد العام للعمال الجزائريين ، توصف بأ ا عمرت طويلا في الإتحاد ، ترفض الخوصصة إذا ما قيست وقورنت مواقفها بأجيال صغيرة السن ، فالتـشبع بأيديولوجيـة الإقتصاد العام ، وريعه الذي استفادت منه لفترات طويلة ، هو الذي ولد لديها هـذه الذهنيـة الرافضة للإصلاح ، ونفس الشيء تمكنا الوقوف عليه مع هذه الفئة ، عندما تعلق الأمر بموقف هذه الأخيرة من التعددية النقابية ، بحيث نجدها تصفها بـ " النقيبات " كما تضرب حـصارا علـى الإطارات النقابية من الجيل الجديد المتطلع للتغيير ، بحيث تحول إلى مواقع ذيلية داخـل منظمـة الإتحاد العام للعمال الجزائريين .

" فالأيديولوجية منغرسة ومنغرزة في أعماق الذات ، وكأ ا جزء من لعبة الذات مـع نفـسها فأواصر علاقتها بالذات ، أعمق من مستوى الوعي والإستخدام الإرادي الواعي والمـاكر . " [2] فشرط فعالية المعتقد الأيديولوجي وقدرته وإستمـراريته، سوف تتوقف على مـدى التـصديق والإعتقاد به .

(1): عبد الله العروي : مفهوم الأيديولوجيا ، المركز الثقافي العربي ، بيروت 1993 ص46

(2): محمد سبيلا : الأيديولوجيا : نحو نظرة متكاملة ، المركز الثقافي العربي بيروت 1992 ، ص40.

خاتمة الفصل :

إن مناقشتنا لمسألة الهوية من خلال هذا الفصل ، جعلتنا نستخلص أن هناك مجموعة من المفـاهيم المتصلة بقضية الهوية ، فمفهوم الانتماء وتقدير الذات والإفتخار ، الإشـتراك ورد الإعتبـار .. وغيرها كلها مفاهيم شديدة الإلتصاق بالهوية بل هي من مؤشرا ا السوسيولوجية الدالة عليهـا ، ودون أن نكرر ما توصلنا إليه في المناقشة السابقة، نود أن نستفهم عن الإفادة التي ا سنوظف ما توصلنا إليه في تحليل موضوعنا الخاص بالبناء الثقافي والأيديولوجي للمهن ، والحقيقة إنه لمن العبث أن نحاول إعطاء تعريف جامع ومانع ، يحدد الماهية الثقافية والأيديولوجية لعينة بحثنـا ، المتـاجرة بالأزياء الدينية والعطور ، الحاملة لرموز وشعائر دينية ، دون محاولة التعرف بل والإجابـة عـن سؤال مركزي وهام . ماذا يعني مفهوم الإنتماء ، تقدير الذات الإفتخار الإشتراك في مجموعة من القيم والمعتقدات ، رد الإعتبار .. وغيرها ، لدى عينة بحثنا ، هذا ماسنحاول إختباره وتجريبه من خلال تطرقنا للدراسة الميدانية من هذه الأطروحة هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لقد تبين لنا أن الهوية سواء أتعلقت بالفرد أو الجماعة ، فإن مايربطها هو عنصر التكامل لا الإقصاء إ ا وحـدة كلية تعمل كآلية مكتملة ، وأن أي جزء يهدد منها ، سوف تختار الميكانيزم والإستراتيجية الملائمة لمواجهة ذلك ، لذلك سنعمل على الإستفادة من هذا المفهوم ، ورصد آلية عمله لدى عينة بحثنـا المتاجرة بالأزياء الدينية والعطور ..، ثم أن الهوية ومن خلال ما تتبعناه في هذا الفصل ، إتضح أ ا تتطلب عما ينفرد به الفرد أو الجماعة ، وبالتالي فإن الهوية ستتحول إلى هوية ثقافية وأيديولوجية . وذلك لإستخدامها بعض الرموز لأجل أغـراض التمييـز والتصنيـف الإجتماعي بين " الأنا " و" الآخر" ، بين "نحن " و"هم" ، بقواعد ومنطلقات ثقافية وأيديولوجية ، لذا لن نتوان في إلقـاء معاني هذه الأبعاد في عملية التحليل الميداني ، لدى عينة بحثنا المتاجرة بالأزياء الدينية والعطـور .. إن تطرقنا للعوامل المكسبة و المحددة للهوية الفردية والجماعية من هذا الفصل ، يدفعنا إلى التساؤل عن الشروط الثقافية والقيمية والأيديولوجية ، التي تسوغ إختيارات وتوجهات عينة بحثنا ، لـذا سنعمل على الكشف عن جانب من تلك العوامل أثناء مناقشتنا وتحليلنا للدراسة الميدانية ، مـن هذه الأطروحة " البناء الثقافي والأيديولوجي للمهن .

الفصل الرابع

المكانة و الدور
و
الأبعاد الثقافية و الأيديولوجية

خطة الفصل.

تمهيـــد

المبحث الأول: معني و ابعاد المكانة و الدور الاجتماعيين

- المطلب الأول: المكانة الاجتماعية لغويا؛
- المطلب الثاني: المكنة الاجتماعية اصطلاحا؛
- المطلب الثالث: الدور الاجتماعي لغة؛
- الدور الاجتماعي اصطلاحا.

المبحث الثاني: الاقتراب النظري لمسألة الدور الاجتماعي .

- المطلب الأول: عوامل محددات و اكتساب الدور الاجتماعي

ت- اثر الثقافة الاجتماعية

ث- اثر السن و الجنس

ج- الدور الاجتماعي و نسق الشخصية.

المبحث الثالث: المكانة الاجتماعية (النوع- نسق الحاجات و الدوافع).

- المطلب الأول: المكانة الاجتماعية و النوع
- المطلب الثاني: المكانة الاجتماعية و نسق الحاجات و الدوافع.

خاتمة الفصل.

تمهيد:

يجب أن نذكر للفائدة الابستمولوجية المنجرة عن ذلك، أن مفهومي المكانـة و الـدور الاجتماعيين، من المفاهيم المركزية في حقل النظرية السوسيولوجية، إذ يمثلان أداة فعالة من أدوات التحليل السوسيولوجي، سيما عندما يتعلق الأمر بتنظيم الاقترابات الخاصة بدراسة عملية التفاعل، التي تحدث داخل المنظمات الاجتماعية، و التي تكون بين الأفراد والجماعات، و نحن إذ نتطرق في هذا الفصل لمسالة المكانة و الدور، كوننا نفترض أن الأفراد و الجماعات، في تصرفا م و إشـباع حاجا م، إنما يلعبون أدوارا بغية بناء مكانتهم الاجتماعية، لذا سنحاول في هذا الفصل أن نحـدد معاني و أبعاد هذين المفهومين، أي مفهوم المكانة و الدور، وذلك بـالتعرض لهمـا بالتحديـد اصطلاحا و لغة، وهذا يعتبر كمبحث أول من هذا الفصل، ثم نعرج على المبحث الثاني و الـذي سنتناول فيه الاقتراب السوسيولوجي لنظرية الدور الاجتماعي، محاولين الإجابـة عـن سـؤال مركزي:

- أي المتغيرات السوسيولوجية أكثرها حسما لتحديد و تفسير نظرية الدور الاجتماعي؟.

مفترضين لذلك عددا من العوامل، تناولنا فيه اثر الثقافة الاجتماعية، وذلك لاعتقادنا أن العامـل الثقافي يلعب دورا حاسما في منظومة تجانس و تباين الأدوار الاجتماعية، تبعا لتجانس الثقافـات الاجتماعية و تباينها، ثم نتطرق إلى تأثير السن و الجنس، وذلك باعتبـار أن الأدوار الاجتماعيـة فئات و أجيال، بمعنى أن لكل دور فاعلين يختصون به، و أخيـرا نتطرق إلى الـدور الاجتماعي و نسق الشخصية، محاولين الإجابة عن سؤال مفاده:

- لماذا تتباين الأدوار الاجتماعية ذات النوع الواحد بين الأفراد في تنفيذها؟.

للإجابة عن ذلك سنبين اثر التجربة الذاتية في تكييف الأدوار الاجتماعية و ممارسـتها، أمـا في المبحث الثالث من هذا الفصل، سنحاول التطرق إلى المكانة الاجتماعية، شارحين نوعها، متسائلين عن أية فئة و نوع تقع ممارسة الأفراد الاجتماعية في بناء مكانتهم و شغل أدوارهم الاجتماعيـة؟، وذلك باعتباران الواقع الاجتماعي يقدم لنا نماذج وأنواع في المكانة الاجتماعية، ثم نخلص أخيرا إلى المكانة و علاقتها بنسق الحاجات و الدوافع، محاولين الإجابة عن السؤال التالي:

- هل أن حاجات الإنسان تختزل فيما هو بيولوجي، أم أن أوجه الإشباع سوف تتعـدد بتعدد المثيرات و الدوافع النفسية و الاجتماعية؟، وذلك لافتراضـنا أن تفسـير إشباع الحاجات

و الدوافع لدى الفرد، سيما في ميادين العمل، لا تتم إلا في إطار الدافعية إليه(أي العمل)، بحيث أن الصلة بين العمل و الدافع تعتبر مصادر إشباع متوقعة، لكن يجب أن نؤكد دائما على درجـــة ثراء و أهمية المتغيرات، فإذا ما سلك مثلا الفرد من اجل تحقيق غايات اقتصادية نفعية بحتة، فهو بمجرد أن يحصل على ذل يشبع حاجته منها، وهذا إشباع مادي على العكس، فان درجة التأثير ستكون أقوى، إذا ما سلك الفرد بغية تحقيق غايات تتعلق بالهيبة و المركز الاجتماعي مثلا، فان الجوانـــب النفسية و الاجتماعية ستكون على جانب هام من الاستقلالية في التوجيه و التأثير.

المبحث الأول: معاني و أبعاد المكانة و الدور الاجتماعيين.

المطلب الأول: المكانة لغويا

لقد وردفي معجم المصطلحات العربية أن المكانة هي:"الوضع الاجتماعي للمتكلم، و لاسيما مـن حيث أثره في تحديد الكلام" [1]، أي الصيغ و العبارات التي يستخدمها في سياق معين، أما المنجد في اللغة و الإعلام فيعرف المكانة بأ ا: " المـ لة و رفعة الشأن، التؤدة، يقال:" امشي على مكانتك أي برزانة ووقار، المكين: ذو المكانة، يقال هو مكين عند الأمير"، كما يقال هو أمكن من غيره، أي أكثره مكانة و قدرة "[2].

المطلب الثاني: المكانة الاجتماعية اصطلاحا

يشير مصطلح المكانة الاجتماعية إلى الوضع أو المرتبة التي يحتلها الإنسان ضمن أي نـسق اجتماعي أو مهني كان، و هي (أي المكانة) كما جاءت في التعريف الفيبري أ ا:" الشرف الذي يخلقه ا تمع أو الجماعة المحلية، وهناك أسباب تستعصي على الحصر لمثل هذا الشرف منها، الخلفية العائلية، الملكية، أو الأرستقراطية، الأصل العرقي، المهنة، الملكية و التعليم" [3].

فالشيء الذي يمكن أن نفهمه مع "فيبر" هو أن المكانة إنتاج اجتماعي، فا تمع هو الـذي يخلقها، وهو الذي يضفي عليها هالة من الاحترام و التبجيل أو الابتذال و الاحتقار، أن الأسـتاذ الجامعي مثلا المتفرد بشخصية تؤهله لشغل مكانة أستاذ جامعي، هو بدون شك يبجل و يحترم من طرف تلامذته ضمن الوسط الجامعي، ومن طرف جماعة الجيرة و الأصحاب و هكذا.

المطلب الثالث: الدور الاجتماعي لغة

الدور: " مصدر ادوار يقال عود الشيء إلى حيث كان أو إلى ما كان عليـه، و أدار الأمـر أي أحاط به" [4].

---

(1): رمزي منير بعبلكي، معجم المصطلحات اللغوية- انجليزي عربي، دار الملايين، بيروت، ط1، 1990، ص 471.
(2): المنجد في اللغة و الأعلام، دار الشروق، بيروت، ط30، 1988، ص 771.
(3): محمود عودة، أسس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1993، ص ص 2217-218.
(4): المنجد في اللغة و الأعلام، مرجع سابق، ص 441.

المطلب الرابع: الدور الاجتماعي اصطلاحا.

لقد جاء في تعريف "لينتون"" *Linton*" للدور الاجتماعي مايلي:" انه مجموع الأنماط الثقافية التي ترتبط بمركز معين، فهي تشتمل على الاتجاهات و القيم وأنماط السلوك"[1].

أما "غيه روشيه" " *G.Rocher*" فيعرفه بأنه:"بنية أو تركيب الفعل، الناتج عن القهر الذي تمارسه النماذج الاجتماعية"[2]

و سواء من خلال تعريف "*Linton* " أو"*G.Rocher*" فانه يتضح لنا بان الـدور الاجتماعي هو في اية المطاف، منظومة أفعال تحمل في مضامينها قيم و معايير، يخضع لها في اية الأمر عمل الأشخاص و الجماعات الشاغلين لمكانة اجتماعية أو وظيفة ما، فالدور الذي يقوم به الزعيم السياسي مثلا، لا يتوقف على شخصيته الفردية فحسب، بل وفـق فلـسفة حزبه و قيم الجماعات التي تموله معنويا و ماديا، لأجل ذلك نجد في ا تمع من يقول هـذا الحزب علماني و هذا إسلامـي، و هـذا اشتراكـي و هـذا وطني و هكـذا...و هـم يعنون و يقصدون في الحقيقة خلفياته و منطلقاته و قيمه.

فالدور إذا هو طريقة نمط في السلوك يلقن ويحدد اجتماعيا، فلقد قرانا و قص علينا انه في ا تمعات العتيقة(الكلاسيكية)، كانت القبائل البدائية توزع الأدوار على أفرادهـا مـن منطلق الحاجة إلى الأمن، ومن منطلق الحاجة البيولوجية، أما في ا تمعات الحديثة فان توزيع الأدوار قد زاد غنى و تعقيدا، نظرا لتعقد الحياة الاجتماعية و تخصص مجالا ا.

---

(1): علي اسعد وطفة، علم الاجتماع التربوي، منشورات جامعة دمشق، سوريا، بدون سنة، ص 57.

(2): Rocher (G), OP CIT, P45.

المبحث الثاني: الاقتراب النظري لمسالة الدور الاجتماعي.

المطلب الأول: محددات اكتساب الدور الاجتماعي.

مما لاشك فيه أن المجتمع هو شبكة و نسيج معقد من الأدوار المتبادلة و المتشابكة، فالأفراد يلعبون و يشغلون أدوارا متباينة انطلاقا من أوضاعهم الاجتماعية، بمعنى لا يوجد دور اجتمـاعي منعزل عن ظروف تكتنفه و تحدده، هذا ما سنحاول التعرض إليه في هذا المطلب انطلاقا من اثـر الثقافة الاجتماعية، ثم نعرج على تأثير السن و الجنس.

أ. اثر الثقافة الاجتماعية:

يكاد يجمع المختصين في علم الاجتماع على أن البشر أفرادا وجماعات هم مخلوقات ثقافية، بمعنى أن العنصر الثقافي يلعب دورا حاسما في تحديد سلوكاتهم و توجهاتهم و قيمهم...، ونحن إذ نتطرق إلى الدور الاجتماعي بمنظور ثقافي، فإننا نلاحظ أن هناك منظومة ادوار متباينة و مختلفـة، سواء أتعلق الأمر بين جماعة و أخرى في إطار الزمر الواحدة، أو بين مجتمع و آخـر في نطـاق أوسع، فلقد كشفت الكثير من الأبحاث الأنثروبولوجية، دور الثقافات و الأعراف المحلية في تحديد الأدوار الاجتماعية، بل و خلق لكل دور قيمة تختلف باختلاف الثقافات و الأعراف، فأبحـاث "مارغريت ميد" "*M.Mead*" كشفت " أن مكانة الرجل في بعض القبائل البسيطة تكـون في إطار المنزل، إذ يقوم بأعمال المنزل و العناية بالأطفال، و يتميز بالرقة و النعومة، على خلاف ذلك فان المرأة تقوم بأعمال الانتاج خارج المنزل و تتميز بالخشونة و القوة" (1).

أن ما اكتشفته "ميد" يكاد يكون وضعية شبه معكوسة في قبائل و شعوب أخرى، فالثقافة الإسلامية مثلا في مجتمعاتنا تتحدد الأدوار فيها في إطار المقولة " كل ميسر لما خلـق لـه"، أي تتكلم عن الأدوار الطبيعية، فالمرأة دورها في إطار هذه الثقافـة، دور الولادة و رعايـة الأطفال و نشئتهم، وذلك للخصائص البيولوجية النفسية التي خلقت و فطرت عليها، بينما الرجل فوظائفه جلب القوت و العمل خارج المنزل، وهو مفطور لذلك طبيعيا، إذا للنمط المعياري الثقافي القائم دوره الحاسم في تشكيل و توجيه الأفراد أي الأدوار سيختارون، هذا من جهة و من جهة أخرى فإننا نجد أن الأدوار الاجتماعية لها علاقة بالاتجاهات و القيم السلوكية، فنجد "*Linton*" في

---

(1): علي اسعد وطفة، مرجع سابق، ص 61.

مؤلفه: "دراسة الإنسان" " *The stady of Man*" يعرفالدور بأنه:" ا مـوع الكلـي للأنماط الثقافية المتصلة بمركز معين "[1]. أما "*Otto klineberg* " فيقول في كتابه:" علم النفس الاجتماعي *psycologie sociale*" مايلي: " يمكن اعتبار الدور كالرابطة التي تربط الثقافـة و الشخصية، بمفهوم آخر و اعم نحدد المكانة عندما الثقافة، تؤثر في شـلوك العناصـر الفرديـة للمجتمع ككل" [2].

أن الأم مثلا لا تستطيع أن تمارس دورها، إلا إذا هي استجابت طوعـا أو كرهـا لبعض الشروط الثقافية المتصلة بالأمومة بغية ممارسة دورها كأم، فلا نستطيع مثلا أن نطلق هـذا الاسم "اسم الأمومة" على كل أنثى من بني البشر تنجب، إلا إذا كانت قد استجابت للـشرط الثقافي المتعلق بالزواج، وهنا يجب أن نشير إلى نقطة مهمة و رئيـسية ضـمن مـسألة الـدور الاجتماعي، إلا و هي قضية و مسالة التوقعات، فمن المتواضع عليه في علم الاجتماع أن الأفـراد لا يسلكون اعتباطيا و عشوائيا في تصرفا م، بل وفق ما يتوقعه الآخرون منهم، و هذه التوقعات منسوبة إلى الجماعة ينتمي إليها الفاعل أو تلك التي يشترك فيها، فلا نتوقع أن احد الأشخاص في ضيافة احد أصحابه، انه يقوم بسلوك ينافي أخلاق الضيافة، و السبب في ذلك أن أخلاق الثقافـة الاجتماعية هي التي تجعل السلوكات تتحدد وفق المواقف، فكل مجتمع و انطلاقا من موروثه يحدد توقعات ادوار أفراده، إننا نتوقع من الأم مثلا أن تحظر فطور الصباح لزوجها و لأولادهـا كـل صبيحة، و لا نتوقع منها أن مل هذا الدور إلا للحالات الشاذة، وهنا يجب أن نشير إلى قـضية مهمة يلح عليها كثيرا علم الاجتماع، إلا و هي قضية المركز الاجتماعي، فهذا الأخير كثيرا مـا يكون إفراز ثقافي، وقبل ذلك يجب أن نسأل ما المركز الاجتماعي؟

" يمكن القول بان اصطلاح المركز الاجتماعي ينطبق من ناحية المعنى علـى اصـطلاح الم لـة الاجتماعية أو الدور الاجتماعي، حيث لا توجد التعاريف الدقيقة الـتي توضـح معـنى هـذه المصطلحات، أول من استعمل هذا المصطلح هو العالم "راد كليف براون"، عنـدما راد تحديـد النقطة التي يحتلها الفرد في التركيب الاجتماعي، ففي العلاقات القرابية هناك مراكز كثيرة، مثـل مركز الأب، الأم، الابن، البنت، و هذه المراكز هي جميعها أحكام و مقاييس أخلاقية واجتماعية، تحدد السلوك الاجتماعي اليومي للفرد..."[3].

(1): سامية حسن الساعاتي، الثقافة و الشخصية، بحث في علم الاجتماع الثقافي، دار النهظة العربية، الطباعة و النشر، بيروت، 1983، ص 194.

(2): Klinberg (Otto), OP CIT, P423.

(3): دينكن ميتشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة احسان محمد حسن،دار الطليعة، بيروت، ط2، 1986، ص 203.

فالمركز الاجتماعي هو الوضع الذي يشغله ويحتله فرد ما، و الدور هـو ذلـك الجانـب الديناميكي للمركز، لكن الذي يهمنا هنا هو: كيف يكون المركز الاجتماعي إفراز و نتاج ثقافي؟

لما كانت المراكز الاجتماعية هي مراتب تتحدد وفقا لمواصفاتها الأدوار الاجتماعية، تبعـا للمعايير الثقافية السائدة في مجتمع ما، فمثـلا ما الـذي يمنـع الولـد الذكر في بعض الثقافات و الأعراف أن يقوم ببعض الأعمال المنزلية، كغسل الأواني و التنظيف الكلي... إلى غير ذلـك، عوض البنت ؟ بدون شك سنجد المركز الاجتماعي الذي منحته الثقافة الاجتماعية للولد، في مثل هذه المجتمعات هو الذي يمنعه القيام بمثل هذه الأدوار، فمفهوم الدور و المركـز الاجتمـاعي في الحقيقة مفهومان متلازمان، فلا يمكن بأية حال من الأحوال أن يؤدي الأفراد أدوارا دون تـصور المراكز التي يحتلونها، ثم أن الدور هو دليل تعريف عن المركز الذي يحتله الفرد، ونعود مرة أخرى إلى مسالة التوقعات في أداء الأدوار، بحيث نجد كل من " بول سكورد *P.Secord*" و "كارل باكمان *K.Bakman*" ، يطرحان مصطلح جديد إلا و هو " سلوك الدور" و هو يشير إلى " أن سلوك الفاعل في فئة الدور يكون ملائما لتوقعات الدور، و صور السلوك الملائمة لتوقعـات الدور هذه قد تكون مجارية أو غير مجارية للتوقعات" [(1)].

فالذي نفهمه من *Secord* و *Bakman*هو انه توجد استثناءات يشذ بها الفاعل عـن قاعدة التوقعات التي اشرنا إليها سالفا، وذلك خلال أدائه لأدواره الاجتماعية، فالمحـامي الـذي يرافع لأجل قضية ما، هو في الحقيقة قد يشرح القاعدة القانونية بصورة غير ملائمـة لتوقعـات الدور منه، وقد يشرحها بصورة تحقق بصورة تحقق الدور، فهناك تمييز بين توقعات الـدور مـن جهة، و بين سلوك الدور من جهة أخرى، أن هذا ينتج في نظر الكثير من المختـصين بالقـضايا الثقافية، توترات داخل النسق الاجتماعي، فلقد لاحظ *Secord* و Bakmanفي كتابهمـا: " *Social Psycology* " انه:" في المجتمعات المحلية العسكرية نجد توترا معينا، يمكن ملاحظتـه في العلاقات بين مختلف الرتب، وذلك أن البروتوكول الحربي يرفض المساواة في الرتب، كمـا أن السيطرة و التبعية في التفاعل واضحة بين المراتب المتدرجة، ونفس الشيء نجده في علاقة الطبيب بالممرضات"[(2)].

---

(1): السيد علي شتا، التفاعل الاجتماعي و المنظور الظاهري، منشأة المعارف، الاسكندرية،ط1، 2000، ص 225.
(2): السيد علي شتا، مرجع سابق، ص 187.

فيبدو واضحا أن هناك علاقة وثيقة بين الثقافـة و أداء الأدوار الاجتماعيـة، فالجماعـة العضوية و المرجعية بثقافتها المختلفة التي ينتمي إليها الفرد، تؤثر و تتدخل في توجيه أداء الفـرد لأدواره، بحيث نعطيه طابعا معينا يصطبغ بصبغة هذه الثقافة و قيمها، و العلاقة بين البناء الثقـافي لأي مجتمع و الحاجات البشرية، هي علاقة وظيفية، فالوظيفة أو الدور هو الذي يدل بطريقـة أو بأخرى على الأسلوب المعيشي الذي يسلكه الأفراد، خلال إشباعهم لحاجا م اليومية، لذا فالفرد يتأثر في سلوكه لدوره بطراز حياته (*Life style*)، بمعنى بأنظمة مجتمعه القيمية التي توارثها أبا عن جد، و تناقلت إليه مثل بقية المنقولات و الموروثات الأخرى.

ب. اثر السن و الجنس:

يفرض السياق الاجتماعي على الفرد شبكة من الأدوار، تتماشى في غالب الأحيان مـع مراحل عمره وجنسه، بحيث لا يستطيع الفرد مباشرة ادوار اجتماعية إلا إذا استجاب و اسـتوفى لبعض الشروط التي تتعلق بعمره و جنسه، فلا يستطيع القاصر من جـنس الـذكور أن يمـارس وظائف مهنية تفوق سنه، كالأعمال السياسية و العسكرية مثلا، كما انه لا تستطيع البالغة مـن جنس الإناث اقتحام بعض الأدوار و المهن، التي لا تتماشى و جنس المرأة، كالأعمال المنجميـة مثلا و غيرها، فالسياق الاجتماعي هو الذي يفرض علينا قوانينه، بحيث يشبه" *Linton* " الدور الاجتماعي في هذا الإطار بالحلة الجاهزة " إذ يستطيع الفرد أن ينتقي قماشها و طريقة صنعـها، و لكنه لا يستطيع أن يقبل الشكل العام لها، من حيث هي حلة اجتماعية" [(1)]. و في نفس السياق نجد *Debert.M* و *William Form* في كتا ا: *sociology idustrtry* ، يتكلمان عـن البناء البناء الاجتماعي لطوائف الحرفيـة، مبينان نظاميهما الداخـلي من حيـث تقسيم العمل، و كيف أن السياق الاجتماعي لنظام الطائفة الحرفية، هو الذي ينظم عمل الحرفة هركيا(طبقيا)، تبعا لأعمارهم و أجناسهم إذ يقول: " فقد كان البناء الاجتماعي للطائفة الحرفية، دعاماته ثلاث مجموعات مميزة، قامت بينهما علاقة اجتماعية رسمية، على جانب عظيم مـن الأهميـة، تلـك ا موعات هي المعلمون، الصناع، و الصبيان، وكان كل عضو في هذه ا موعة من ا موعـات الثلاث، متواجدا في الطائفة و مدموجا فيها بعمق، دمجا نشئت عنـه

(1): علي اسعد وطفة، مرجع سابق، ص 60.

ارتباطات عاطفية وثيقة، كتلك التي تنشىء بين الفرد و أسرته ، و هيئته الدينية و قريته و بلدته، ولذلك كان بناء شخصيته ثابتا آمنا متكاملا، كما أن من السهل التنبؤ بما سيسلكه من سـلوك، وما يتخذه من مواقف في المستقبل، لقد كانت الطائفة المهنية عامل استقرار في الجماعة، كما أ ا ساعدت على وجود نوع من النظام والانضباط الاجتماعي"[1].

فالسياق الاجتماعي هو الذي فرض أن يكون المعلم (معلم الطائفة) موضع احترام حـرفي لدى جميع الطبقات الأخرى، " حتى أن عائلة الصبي أو الصانع الذي يشتغل عنـده" أي عنـد المعلم"، تشكوه إليه إذا انحرف سلوكه أو أساء إليهم، أو خرج عن طاعتـهم"[2]، " ذلـك أن الطفل كان يذهب إلى أبيه المعلم في محله، أو كان المعلم يصطحبه إلى المحل في ذهابه و إيابه و هو فخور به، لأنه ذكر و يأمل أن يخلفه في حرفته، فيتشرب الطفل الصنعة و يشب عليهـا صـبيا فشابا"[3]، إذا يلعب السن و الجنس دورا في مباشرة الفرد لأدوار ما دو ن غيرها، فالطفل الذكر في أنظمة هذه الحرف الطائفية، هو الأقدر على وراثة عمل أبيه المعلم و تخليد اسمه مهنيا، و هـذا الأخير(أي المعلم)، هو الذي يفضي إليه بأسرار الحرفة، يقول *Shneider* في كتابه: "العلاقـة الاجتماعية للصناعة و الجماعة" : " كان على المعلم أيضا أن يربيه و يبث فيه أخلاق الحرفة، التي لم تكن تختلف عن الأخلاق التي يحـض عليـها الدين، وكان عليـه أن ينشئـه على الانضباط و المثابرة و الصبر و الطاعة"[4] ، فالذي نفهمه من "شنايدر" هو أن الحرفة في هذا النـوع مـن الأنظمة، لم تكن تلقن طرق تنفيذها و تفنينها، بل كذلك قيم الحرفة وثقافتها، بمعـنى لم تكـن الحرفة مبتورة عن نظام الجماعة الديني، بل هي من صميم النظام القيمي الذي تواضـعت عليـه الجماعة المحلية، و مارست طقوسه في شتى مناحي الحياة اليومية، فهناك معايير ثقافية تحد أو تسمح بممارسة ادوار ما، أو الإحجام و الامتناع عن ادوار أخرى، تبعا للمنظومة العرفية و الرصيد الثقافـي و الطقوسي لكل مجتمع، فكثيرا ما يمتنع الأفراد بجنسيهم (ذكورا و إناثا) و على اختلاف أعمـارهم، من اقتحام ادوار ترفضها المنظومة العرفية تمعا م، الم تر بان المرأة في ا تمعات الإسلامية أكثر حيطة و تحفظا من لعب دور رئيس الجمهورية، ثم الم تر بان الأشخاص المحسوبين على التيـار الـسلفي في ا تمعات الإسلامية هم الأشخاص الأكثر ممارسة للنشاط التجاري! .

(1): حسن الساعاتي، علم الاجتماع الصناعي،دار النهظة العربية، بيروت، ط3، 1980، ص ص 68-69.

(2): نفس المرجع، ص 70.

(3): نفس المرجع، ص ص 72-73.

(4): نفس المرجع، ص 73.

المطلب الثاني: الدور الاجتماعي و نسق الشخصية.

يمارس المجتمع على الفرد قهرا اجتماعيا يتعود من خلاله على أداء ادوار معينة، و يحتـل في خضم هذا القهر مراكز و مراتب بعينها، يقول *T.Parsons* : " أن نظرية الأدوار هي انعكاس لتأثير قوة غريبة على الإنسان، و هي قوة المجتمع الذي يرغم الفرد على أداء هذه الأدوار و بخاصة هذه التي لا تناسبه، و التي تقوده إلى الاغتراب"(1)، فسواءا عن طريق العقاب و الثـواب سـوف يصيغ النموذج الثقافي لمجتمع ما، سلوك أفراده و يكسبهم أدوارا و مراكز اجتماعية محددة، كما أن هذا النموذج هو الذي سوف يمنح القيمة الاجتماعية لشخصية أفراده انطلاقا و ابتداءا من الأدوار التي حددها لهم هذا النموذج الثقافي، "...العلاقة بين الثقافة و الشخصية هي واضحة، وهذا مـن خلال تصورات المكانة و الدور اللذين يؤثران في الهيئة و السلوك عن طريق الوسائط الاجتماعية" (2).

لقد لاحظنا أن الأدوار الاجتماعية ذات المراكز العالية، تمنح لشخصية ممارسي أدوارها قيمة و هبة اجتماعية، أن مكانة الطب كمهنة في بعض الثقافات، تحظى أكثر من غيرها مـن المهـن بالتقدير، وان كل من مارس هذه المهنة يحاط بالتبجيل والاحترام، فهناك ادوار اجتماعية ترفع من شخصية ممارسيها، و ادوار أخرى تحط من قيمتها. فلقد لاحظنا أن المجتمعات تقدر ممارسي أعمال النظافة مثلا، وترفع من شانهم، وأخرى تستهجن وتحتقر أدوارهم، بل و تحاصرهم بشتى أنـواع الألقاب، التي تنم وتكشف عن وضاعة هذه المهنة في نظر هؤلاء، وهنا يجـب أن نتـساءل عـن الخصائص النفسية و الاجتماعية لشخصية جماعة ما من جهة، و من جهـة أخـرى دور هـذه الخصائص في تفسير الشخصية الفردية، لقد كان يعتقد "كولي" *Cooly*": "...بأنه يمكن لنا فهم تكوين الدوافع و الميول من خلال الطبيعة الإنسانية بمعناها الواسع، و الذي لا يخص سلالة معينـة في وقت معين، بمعنى انه يرى الطبيعة الإنسانية يمكن أن تتخذ أساسا دائما و ثابتـا للمقارنـة في المجتمع، و يأتي ذلك في ضوء احتمالها على التعاطـف و ميـول الحـب، و الاستياء و الغضب و الطموح و الغرور، و تقديس الشجاعة، وأخيرا الإحساس بالصواب أو الخطأ الاجتماعي"(3).

---

(1): علي اسعد وطفة، مرجع سابق، ص 65.

(2):Klineberg (Otto), OP CIT, P 424.

(3): جمال محمد ابو شنب، السلوك الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الازاريطة، مصر، 2000، ص153.

فالذات والشخصية الإنسانية سوف لن تكسب معناها و قيمتها في نظر "كولي" إلا من خلال ما تبثه فيها شخصية الجماعة الاجتماعية، سواءا أكانت أسرة أو جماعة لعب أو جماعة جيرة، فالذات و الشخصية الفردية هي في جدل و حوار دائم مع ما يجري من حولها في الجماعـــة الاجتماعيـــة، يقول" روبرت بارك":" أن الأدوار ترتبط بالأوضاع البنائية، وان الذات على علاقة بلعب الـــدور داخل نطاقات أوضاع البناء الاجتماعي"[1]، و سواء من "بارك" أو " كولي"، نستنتج انه يجب أن ننظر إلى الشخصية الإنسانية ككل نفسي و اجتماعي، تتقلد أدوارها و مراكزها في سمات الجماعة الاجتماعية، يقول كولي في كتابه: "الطبيعة الإنسانية و نظام المجتمع" " *Human Nature and Social order* " أن هناك نوع من الإحساس يوجد لدى الشخص يتصف بالغريزية و يحـــب التملك و يوجد لدى الشخص منذ ولادته مثل بقية الأفكار الغريزية، و يمكن أن ينمو و يتطـــور من خلال المشاركات و الخبرات الاجتماعية المختلفة، بمعنى انه يكون في البداية مرتبطا بغرائـــزه العضوية و الجسدية، ثم بادراكاته و مشاعره المتعلقة بتصوره و تثبيـــت مدركاتـــه الحـــسية، ثم بتصوراته المختلفة التركيب، و بالتحديد أفكاره الشخصية، ثم بعد ذلك يتجه هذا الإحساس نحو أفعال الآخرين و يحاول التحكم فيها، و بالطبع يكون المجال الرئيسي لهذه الأفعـــال هـــو الحيـــاة الاجتماعية"[2]،و حتى لا نكون مغالين في النظرة القسرية للمجتمع، فإننا نفهم مع "كـــولي" أن للذات هامش من الحرية في تشكيل شخصيتها، حتى تتميز عن الآخريـــن وتشاركهـــم أفعالهـــم و أدوارها، هذا ما نلاحظه مثلا عندما توضع الذات الإنسانية في موضع حرج، فقد يطلب منـــها القيام بدور الدفاع أو التستر عن إحدى المخالفات لأحد الأصدقاء، ولنفترض أن هذه الشخصية هي شخصية شرطي المرور، وان المرتكب للمخالفة هو احد أقاربه، فهنا يقع الشرطي موقع صراع دورين، فإما أن يستجيب للقوانين التي تنظم المرور و يحتكم إليها، و إما أن يغض النظر عن ذلك لأن قانون الحمية و القرابة أقوى من ذلك، و هنا يلعب الضمير الفردي في الشخصية دور الحاكم و الفاصل النهائي في نطاق صراع هذين الدورين، يقول شفيق رضوان في كتابه: "علـــم الـــنفس الاجتماعي": " أحيانا يحب الناس أدوارهم سواء أكانت محددة بتوقعات الآخرين أو تـــصوراتهم الخاصة، و قد يكره البعض أدوارهم، و البعض الآخر لا يكترثون و هكذا..."[3].

(1): السيد علي شتا، مرجع سابق، ص 160.

(2): جمال محمد ابو شنب، مرجع سابق، ص ص 157-158.

(3): شفيق رضوان، علم النفس الاجتماعي، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، ط1، 1996، ص 142.

هذا فضلا على أن للشخصية الإنسانية القدرة على تكييف الأدوار حسب المواقف و مدى إدراكها لأدوار الآخرين، فإذا كان مفهوم الاستدماج *Internaligation* و هو واحد من المفاهيم الشائعة في التحليل النفسي، و يعني ميكانيزما عقليا لا شعوريا يتشرب بواسطته الفرد و الطفل خاصة جوانب من بيئته، و نقصد بالبيئة جانبها (الفيزيقي) أي المادي و (القيمي) أي المعنوي، لكن علماء الاجتماع يفهمون الاستدماج بطريقة تعاكس التصور النفسي، سيما عند فرويد، يقول *"T.Parsons"* : " تعتمد عملية التنشئة الاجتماعية أساسا على عملية استدماج الأدوار الاجتماعية، أو مجموعة القواعد و المعايير و أنماط السلوك، التي تحدد الأوضاع المتباينة و الوظائف المختلفة، التي يقوم أعضاء مجتمع ما بإنجازها..."(1)، فالمؤكد في تصور بارسونز أن الطفل يستدم ادوار أبويه و يتوحد بهما، باعتبارهما أعضاء في أسرته، قد تلقى منهما صورا من أشكال التربية و التلقين، لذا فهم (أي الأطفال) يستدمجون ادوار أوليائهم خاصة، و مربيهم فيما بعد، حتى أدوارهم المهنية و السياسية و الفنية و غيرها، فكثيرا ما لاحظنا أن الآباء الشاغلين لأدوار معينة، أو أنهم قد فشلوا في الوصول إلى مهن ما، يسهرون على توريث ذلك فيما هم شاغلون من ادوار، أو إنجاح أولادهم فيما فشلوا هم فيه شخصيا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إذا تكلمنا عن الاستدماج الشخصي لأن ما تطرقنا إليه سالفا، كان يصب في خانة المجتمع، فهو استدماج كرهي، وهذا ينبغي أن نشير إلى معنى الاستدماج الشخصي الذاتي، فهو فعل و تصرف تستدعيه ضرورة التكيف ، و الحقيقة أن الإنسان ليس فرد غريب عن ذاته، فالشخصية الإنسانية حقا تتفاعل في وسط اجتماعي غني و ثري بشروطه ومعاييره، لكن سرعان ما ينفرد الإنسان بشخصيته الخاصة يستدمج فيها ما تلقاه من محيطه و مجتمعه، ليكون ذاتا و انا خاصا به، و الحقيقة انه ليس ثمة ثبات دائم لشخصية الكائن البشري، بل هي (أي الشخصية) تبنى على حسب متطلبات المواقف و الحاجات النفسية و الاجتماعية للشخص نفسه، و لما كانت الحياة الاجتماعية للكائن البشري، ثرية و غنية بمتطلباتها و تعقدها، فان هذا الأخير كثيرا ما يضطر إلى قهر ادوار معينة، و تنشيط ادوار أخرى، يقول *Guy Rocher* في كتابه: "الفعل الاجتماعي *l'action social* " مايلي : " أن النسق الاجتماعي لا يمكن أن يوجد كنظام معياري

(1): عبد الرزاق جلبي، دراسات في المجتمع و الثقافة و الشخصية دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1984،ص248.

للأدوار ، و المشاركة في الفعل ، إلا بالثقافة الــتي تــزوده بــالقيم المــشتركة، الــتي تــسوي السـ ـ ـلوك و تضفي عليه معنى تبليغي لهته القيم، فالثقافة لا توجد هكذا، بل تخلق و تبـدع وسط نسيج تفاعلي للأفعال، و الفعل الاجتماعي بالمرة هو الشرط و النتيجة، و أخيرا الشخـصية هي التي تضفي إلى النسقين السابقين عنصر الحياة، و الباعث الجوهري للتحرك..."[1].

فالشخصية إذا هي الحافز المكيف للأفعال، هذا ما نلاحظه مثلا عندما يضطر الشخص إلى تنشيط ادوار معينة، و قهر ادوار أخرى، أي أن بعض الأدوار تبقى كامنة إلى غاية أن يحين موقف إثار ا، " فالمدير الذي يقوم بدور محدد بمؤسسته، هو أيضا زوج و أب، أو ابن في أسرته، وعضو في نادي رياضي، كما يكون عضو في جماعة سياسية أو دينية أو اجتماعية.."[2]، فكل فرد يطبع دوره بطابع منفرد، ينبع من خصائص شخصيته المتفردة، و إلا كيف نفسر قيام شخصين في نفس المكانة و المركز بدورين مختلفين من حيث التنفيذ! .

(1):Rocher (G), OP CIT, P130.

(2): محمد شفيق، العلوم السلوكية، مدخل الى علم النفس الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث الاسكندرية، مصر، 2000، ص 178.

المبحث الثالث: المكانة الاجتماعية.

المطلب الأول: أنواع المكانة الاجتماعية.

لعل أن مصطلح المكانة (*statut*) في علم الاجتماع يعبر عن وضع و موقــع في نــسق اجتماعي ما، مما يترتب عليه هركية(طبقية) يفرضها توزيع الأدوار الاجتماعية، و التي بدورها هي الأخرى تفرض توقعية في سلوك الأفراد انطلاقا من المواقع التي يحتلو ا و الأدوار التي يــشغلو ا، لكن الذي يهمنا في هذا المطلب هو التنقيب بعض الشيء، عن خلفيات المكانة الاجتماعية، بمعنى التساؤل عن الأسباب التي جعلت أفرادا ما، يشغلون مراتب و أدوارا بعينها، دون غيرهــم مــن الأشخاص؟

إذا كانت المكانة الاجتماعية هي مجمل تفاعل التقديرات التي يحظى ــا الفــرد، ضــمن الجماعة التي ينتسب إليها، فانه في الواقع هناك صعوبة نسبية لرصد معانيها في الواقع الاجتماعــي، و لعل أن السبب في ذلك يمكن إيعازه إلى اختلاف الثقافة الاجتماعية بين الأفراد و الجماعات فيما بينهم، و مهما يكن فان معانيها تبقى نسبية تختلف باختلاف الأوساط والأطــر الاجتماعيــة، أن مكانة الفلاح مثلا في نظر المتعلم، ليست هي ذا ا في نظر غير المتعلم، فالمدلول الاجتماعي للمكانة إذا يختلف باختلاف الفئات و الأفراد، (متعلمون أو أميون، ريفيين أو حــضريون، حرفيــون أو مهنيون...) ثم أن الحديث عن أنواع المكانة الاجتماعية، عن أسباب و دوافع الأفراد إلى اكتسا ا، يبدو من الأهمية بما كان.

في الواقع يمكن التكلم عن نوعين من المكانة الاجتماعية، فهناك مكانــة ولاديــة يرثهــا الأفراد" فهي مكانة غير قائمة على قدرة أو جهد أو إنجاز فردي، إنما تقوم على وضع موروث في ا تمع" (1)، فهي مكانة ستاتيكية روتينية و رتيبة، فرضتها الثقافة المحلية، هذا ما نلاحظه مــثلا في الطوائف و القبائل الهندية، ولدى الزنوج أيضا، أن من يولد في طائفة ما، فهو يرث كل ما يتبــع الطائفة من مهن و حرف، و كذا من يولد زنجيا فهو يرث بالمثل وضعا و مكانة اجتماعية دنيــا، و هي مكانة لا تتوافر إلا في ا تمعات المنبوذة و المقهورة، ذات الأنساق المغلقة، فالمكانة الموروثة هي التي تكسب صاحبها نفوذا، فيحاط في ا تمع بكثير من الهيبة و الاحترام، و لعل لن العكــس قد يكون صحيحي تماما، يقول "غوستاف لوبون" في كتابه: "روح الاجتماع" مايلي:"...و أكثر

(1): فاروق مداس، قاموس مصطلحات علم الاجتماع، دار مدني للطباعة و النشر، الجزائر، 2003، ص 53.

النوعين شيوعا هو النفوذ المكتسب(يقصد الموروث) أو العرضي، فهو يثبت للرجل بمجـرد انـه يشغل منصبا، أو يملك ثروة، أو يتحلى ببعض الألقاب، و أن لم يكن له قيمة من نفسه، فللجندي في لباسه، وللقاضي في زيه الرسمي نفوذا ما ارتديا لباسهما، و لذلك قال "باسـكال" بـضرورة الجدية و الشعر بالنسبة للقضاة...و لو لا الجبة و الشعر لفقدوا ثلاثة أرباع نفوذهم..."[(1)].

فـ: "غوستاف لوبون" يشير هنا إلى قضية هامة في حياة البشر، إلا و هي أهميـة تـأثير الرموز البشرية في نفوسهم(نفوس البشر)، و كيف أن الرمز بامكانه أن يخلـق لنفـسه مكانـة اجتماعية خاصة، أن سماعنا للنشيد الوطني مثلا، أو وقوفـنا أمام الرايـة الوطنيـة، يجعل أفعالنا و سلوكاتنا تتغير وفقا للمكانة التي خلقها هذا الإيمان بالرمز في شعورنا، و إلى شيء مـن هـذا القبيل يذهب ابن خلدون، عندما يتكلم في "المقدمة" عن تأثير العصبية و أهميتـها في الـتمكين للملك، إذ يقول:"...و الرئاسة على القوم إنما تكون متناقلة في منبت واحد، تعـين لـه الغالـب بالعصبية، فالأولوية التي كانت لهذا الملصق قد عرف فيها التصاقه من غير شك...و الرئاسة لابـد و أن تكون موروثة عن مستحقيها لما قلناه من التغلب بالعصبية..."[(2)]، فالذي نفهمه من كـلام ابن خلدون هو أن الرئاسة وضع اجتماعي تعبر عن مكانة ما، لا تحصل إلا بالعصبية، و لولا هذه الأخيرة لما حصل الملك، ثم أن الرئاسة لا تكون إلا في الجيل الواحد من أهل العصبية و لا تكـون في غيرهم، و يحصل ذلك كله بالوراثة شريطة أن تكون عصبية الجيل الحامل لها، و أقـوى مـن العصبيات المنافسة لها، حتى يكتب لها البقاء، وتحافظ على مكانتها، وحيثما انتفى هذا الـشرط، انتفى معه شرط البقاء، وذهبت مكانة الجيل الأول و رئاستهم، إلى جيل آخر تتوافر فيهم شروط الرئاسة والسيادة هذا من جهة، ومن جهة أخرى هناك نوع آخر من المكانة الاجتماعية، إلا و هو المكانة المكتسبة و هي: " مكانة يكتسبها الفرد عن طريق جهوده التي تتميز في اغلـب الأحيـان بالمنافسة و استخدام القدرات و المعرفة و المهارة" [(3)]، فهي مكانة اجتهادية يحصلها الإنسان طبقا هوده و عمله الشخصي، فهو يكافح ويكد لأجل تحقيقها، فنلاحظ مثلا، كيف ا ن المعاق يخلق لنفسه مكانة اجتماعية ضمن الوسط الاجتماعي، و ذلك بتجاوز إعاقته إما برفـع التحـدي في دراسته، أو بنبوغه في احد الممارسات الرياضية...الخ، كما إننا نلاحظ أن احد تلاميذ الأسرة

---

(1):غوستاف لوبون،روح الاجتماع،ترجمة احمد فتحي زغلول باشا، الأنيس للنشر، الجزائر، 1988، ص 46.
(2): عبد الرحمان بن خلدون ،المقدمة، دار الجيل، بيروت، بدون سنة، ص 147.
(3): فاروق مداس، مرجع سابق، ص 53.

الفقيرة قد تحدى وضعه وحقق مراكز اجتماعية لم يستطع تحقيقها أبناء الأسر الغنية، ولنا أمثلة في التاريخ البشري ما يدل على هذا، لقد كان الفيلسوف و الرياضي الفرنسي" رونيه ديكارت" ذميم الخلقة، يسخر منه الجميع، لكنه استطاع أن يسجل و يخلد اسمه في التاريخ العلمي، حيث أصـبح يلقب بابي الفلسفة الحديثة، يقول "غ. لوبون": " النفوذ الشخصـي يختلـف عـن النفـوذ المكتسب(الوراثي)، لأنه صيغة تنفرد عن كل لقب و كل وظيفة يتصف ا أفـراد معـدودون فيبهرون ا نفوس من حولهم، و يجذبو ا إليهم كالمغناطيس، وان ساووهم في المـ لة بين أمثـهم، ولم يكن لهم شيء من وسائط التسلط و الغلبة، و يبثـون فـيهم أفكـارهم و ينقلـون إلـيهم مشاعرهم..."(1)، فـ : "لوبون" يتكلم هنا عن المكانة التي تخلقها النخبة في ا تمع، فهـي كمـا أشار في قوله السابق، ليست مكانة اجتماعية قد ورثها الشخص عن عرف أو تقليد، بل يحققها لما في المتمكن لذلك، من خصائص نفسية و اجتماعية و قدرات عقلية، استطاع ـا أن يـؤثر في محيطه، و أن يوجد في لنفسه إتباعا يطيعونه و يمتثلون به حيا أو ميتا! ، " كان هذا النفوذ الكـبير لجميع العظماء من قواد الجماعات مثل بوذا و عيسى و موسى و محمد صلى الله عليـه و سـلم، وجان دارك و نابوليون ....، كان أولئك العظماء أولي قوة أخاذة قبل اشتهارهم وتلك القوة هي السبب في شهر م..."(2)، ففي إطار هذا النوع من المكانة الاجتماعية، يطرح "غ.لوبون" قـضية أساسية تتعلق بالعبادة، وهي مسالة اعتقد أ ا على صلة وثيقة بالأولى(المكانة)، وذات صدى كبير في النظرية السوسيولوجية، ولعل أن من تناول هذه المسالة بشيء من التفصيل، هو عالم الاجتماع "باريتو *parito* "، فنظريته حول في دور الصفوة في ذائعة الصيت، في هذا الباب، فالصفوة في نظره"...هم الأفراد الذين يتميزون عن غيرهم من الأفراد، يتميزون بسمات مميـزة مـن الذكاء و المهارة و المقدمة و ما شابه ذلك..."(3).

فالشخصية القيادية إذا و ذا المنظور و تبعا للخصائص الذاتية، تمكن أعـضاء الجماعـة الآخرين من جعلهم يتحركون نحو الأهداف المشتركة، طالما أن الضعيف منهم، مولع بتقليد القوي فيهم، على حد تعبير ابن خلدون، و طالما كذلك للهبة التي يخلقها مكانة الحامـل لهـذه الصفات و الخصائص،و لعل أن الدراسات المنظمة في هذا ا ال، قد كشفت الكثير من الحقائق الاجتماعية،

(1):غوستاف لوبون،مرجع سابق، ص 147.

(2): نفس المرجع، ص 148.

'3): عبد الرزاق جلبي، مرجع سابق، ص 194.

سيما النوع الشخصي منها، في نفوس الأتباع من الجماعات و الأفراد، سواء أكان ذلك ضـمن الفضاءات الحرة، أو داخل الأطر المنظمة كالوحدات و المصانع، فنجد مثلا " ميـشال كروزيـه *Michel Crozier*" في كتابه الظاهرة البيروقراطية، يتعرض لقضية الصراعات الشائعة داخـل المنضمات و المصانع، و كيف أن الصراع ينشب بين أربعة مستويات، بين المدير الرئيسي والمدير المساعد، و المهندس التقني و المراقب، فالصراع يندلع كما يقـول " *Crozier*"بـين طـاقم الإدارة، عندما يحس كل إطار في الإدارة انه باستطاعته ممارسة نفوذه، انطلاقا من موقعه و مكانته الخاصة ضمن هذا النسق، و عليه فهو يقول: "...هناك كثير من التقنين يحشرون أنفسهم في كل شيء وهناك إداريين يتمتعون بتكوين تقني، نجدهم يفضلون الإدارة على التقنية، لكن في الأصـل كان يجب أن يكون دورهم تقني."[1]، و يتابع ميشال كروزيه شرحه لمهام كل طاقم في الإدارة، فبينما يهتم المدير بتحمل أعمال التنسيق لكل النشاطات داخل المصنع، و يتكفل بـصفة خاصـة بخطط التنمية، و كذا بمجال التسويق و المبيعات، فإننـا نجـد المـدير المـساعد (*Directeur Adjoint*) مسئول عن التصنيع (*Fabrication*)، بينما المهندس التقني فهو مكلف بالإشراف على ترتيب و يئة كل الآلات لتقوم بعملها (*Installation des machines*)، إما المراقب (*Contrôleur*) فيهتم بالعمليات الشرائية و المحاسبة و كذا بالمستخدمين (*Personnel*)، لقد قمنا بعرض نشاط كل طاقم، حتى نبين مكانته و موقعه داخل هرم السلم الإداري،و كيف انه و انطلاقا من هذا الموقع و هذه المكانة، سوف يمارس كل طاقم نفـوذه علـى حـدى، يقـول كروزيه:"...فبينما نجد دور و مهام المراقب هي متابعة أعمال المدير، قد أعطوا لهذه العملية أهمية، بحيث أصبحت نظريا تعطيهم الحق، هذه المسؤولية التي تتابع كل الأعمال حتى التجاريـة منـها، تظهر لهم بأ ا كافية للسماح لهم بالمرافعة عن حقهم في مناقشة ملائمة الإجراءات المتخذة..."[2]، فإذا كانت مكانة هؤلاء المراقبين قد سمحت لهم في التفكير بمناقشة أعمال الإدارة، انطلاقـا مـن موقعهم طبعا، فان الإدارة هي الأخرى سترصد أعمال هؤلاء، بحيث ترى بأنه لا يمكن الـسماح لهؤلاء المراقبين التحول عن مهام الرقابة ليصبحوا مقررين، فهي تعتقد و انطلاقا من نفوذ موقعها، إن المراقبين دورهم هو الإشراف على مراقبة أعمـال الإدارة،

---

(1):Michel Crozier, le phenomene berocratique, ED du seuil, Paris, 1973,P144.
(2): Ibid, P145.

ومدى قانونيتها و ليس ملائمة هذه القوانين من عدمها، وعليه قوة نفوذ مفاوضتهم ستكون مـع المدير ضعيفة جدا، ونظرا لأن المدراء المساعدين يعيشون الكثير من الروتين حسب كروزيه، هـذا ما يجعلهم عرضة لسيل من الانتقادات من طرف المدراء العاملون، يقول" *Crozier*":"...عدم التحمل هذا يجعلهم عرضة لجملة من الا امات من طرف المدراء على إ م ليسوا أكفـاء"[1]، إن عدم الرضي هذا يبدو انه شعورا و سلوكا متبادلا داخل النسق الإداري كل من مكانته و موقعه، يقول *"Crozier"* موردا قول احد المدراء المساعدين: " المدير جد بعيد (*très distant*) ، لي اتصالات جد قليلة معه، ليست لدي أي إمكانية للتكون معه"[2]، و يضيف آخر قوله:"مـديري جد متسلط و يرى انه محق و مصيب"[3]، فجذور الصراع إذا مفروضة من طرف كـل طـاقم، انطلاقا من الصلاحيات المتاحة (شغل الأدوار) و المواقع المحتلة(المكانة الاجتماعية)، يقول " *Guy Rocher* ":"...بلا شك نستطيع القول إن هناك عدد من الإمكانيات تـدلنا علـى رئـيس ا موعة، نستطيع إن نلاحظ إن رئيس ا موعة يطابق مقاييس دوره حسب شخصه، غير إن مـا عدا الاختلافات و التركيبات الفردية، توجد ماهية مشتركة لنموذج العمـل في هـذه البنيـة أو الماهية، يستطيع رئيس ا موعة حسب شخصيته و حسب توافق و تطابق سـلوكه مـع بعـض المقاييس، نعرف و ندرك انه يتصرف كرئيس مجموعة..."[4]، فلكل وظيفة ودور سلوكات خاصة تدلنا عليها، هذا و إذا كانت المكانة الاجتماعية واحدة من المفردات التي تلقي بمعانيها في حقـل النظرية السوسيولوجية، فإننا نجد من يضيف أنواعا أخرى من المكانة الاجتماعية، فنجـد مـثلا " *Pierre Ansart* " في " *Dictionnaire de sociologie* " يتكلم عن المكانة الإعلامية و المعرفية، و ذلك من خلال التساؤل عن طريقة اكتسا ا، بحيث يـضرب مـثلا عـن ذلـك بقوله:"...نفترض مؤسسة آمرة إذ المكانة فيها موروثة، و مؤسسة حديثة إذ المكانة محـصلة مـن طرف عدة إمكانيات عمل، مسابقات، انتصارات، و نتائج اقتصادية، سياسية و ثقافيـة، ـذا المنظور تعريف المكانة الاجتماعية يعود إلى الحركية الاجتماعيـة(*Mobilité sociale*) "[5]، فالـــــذي نفهمـــــه مـــــن *"Pierre Ansert"* مـن خـلال

(1): *Michel (C), OP CIT, P 145.*
(2): *Ibid, P145.*
(3): *Ibid,146.*
(4): *Rocher (G), OP CIT, P45.*
(5): *Pierre (A), Dictionnaire de Sociologie, ED N⁰01, Seiul RobeFest , 1998, P 504.*

مثاله السالف الذكر، إن طبيعة المكانة الاجتماعية وتحديدها، تفرضها طبيعة المنظمات الاجتماعية في حد ذا ا، وطرق نشاطها هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فان للتغيير الاجتمـاعي و الحركيـة الاجتماعية دورها المهم كذلك، و كمثال على ذلك يمكن إن نقـدم مكانـة و دور الكتاتيـب القرآنية، بل و أهميتها وحضورها في الشعور الجمعي لدى أفراد ا تمع، إبان الثورة التحريرية مثلا، و مكانتها و دورها بعد الاستقلال ، أي بعد ظهور المدرسة الحديثة، فلا شك إن هناك تغـير في الدور و المكانة، ولم يكن بالجوهري و الجذري فهو تغير ملموس و ملحوظ، و بالإضافة إلى مـا سبق يضيف *"Pierre Ansert "* نوع آخر للمكانة يصفها في نفس المرجع المذكور سـلفا " *Dictionnaire de sociologie "* بالمكانة الحالية" *Statut actuel* "، و المكانة اللاتينيـة *(Statut latent)* ، بحيث يقول: " المكانة ينمكن إن تكون البنية أو الدور، فاللاتينيين اقترحوا هذا الازدواج الوصفي للمكانة، بحيث يعرفو ا بالمكان المشغول من طرف الشخص، داخل النظام الاجتماعي من جهة، وبالدور أي بمعنى مجموعة طرق و كيفيات ثقافية متعلقة بمكانة معطاة مـن جهة أخرى"[1].و في نفس منحى أنواع المكانـة الاجتماعيـة و طـرق اكتـسا ا، يـرى *" T.Parson"* انه في ا تمعات الرأسمالية حيث المنافسة هي الدافع الوحيد، لترشيد عمل الأفراد ة تحسين أوضاعهم، يقول *" T.Parson"* :" تعمل المدارس على أساس مبادىء مجتمع الجـدارة (*Miritocratic society*) التي تقوم فيها المكانة المكتسبة على أساس الجـدارة و القدرات، و إن تلك المبادىء التي تطبق على جميع الأفراد، فتعد المدارس الـصغار و تـدر م علـى ادوار البالغين، من خلال عملها وفقا لآليات عمل ا تمع ككل" [2].

فبهذه النظرة الليبرالية البرغوماتية، يطلعنا *" T.Parson"* على الكيفية التي يبني ا تمـع الرأسمالي نظام توزيع الأدوار و شغل المكانات الاجتماعية، انطلاقا من مقولة " كل حسب عمله" ، فخاصية الإنجاز هي قاعدة أساسية للمكانة المهنية في ا تمع الرأسمالي، و إلى شيء من هذا القبيل يذهب كل من *"K.Davis "* و *"W. Moor"* بحيث يقولان: "نظام التدرج الطبقـي يقـوم بوظيفة انتقاء ووضع الأفراد، في ادوار و مراكز متباينة طبقا لقدرا م، فهو وسيلة تضمن إن يشغل الأفراد الأكثر جدارة و قدرة في ا تمع للمواقع ذات الأهمية"[3].

---

(1): Pierre (A), OP CIT, P 504.

(2): محمد علي محمد، تاريخ علم الاجتماع، الرواد و الاتجاهات المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة،مصر، 1996، ص 132.

(3): نفس المرجع، ص 134.

فكل من"K.Davis " و "W. Moor" و إن كانا يتفقان مع "بارسونز" في قضية إن ا تمع بأنظمته وأنساقه المختلفة، هو أداة تمحيص للأدوار و المكانات، انطلاقا من قدرات الأفراد و إنجازا م، إلا أ ما يربطان ذلك بنظام التدرج الاجتماعي، فالأنظمة الاجتماعية هي أداة فـرز لاختيار القدرات ووضعها في مراكز طبقا لاستعدادا ا و مواهبها، لكن هذا الاختيار للقـدرات و المواهب يتوقف على أهمية شرط آخر، يتعلق هذا الشـرط اديولوجيـ ـة الأنساق الاجتماعية و مناهجها، فنلاحظ مثلا إن الأدوار و المكانات الاجتماعية في الأنساق الـتي تتـبنى المنـاهج الاشتراكية و اديولوجيتها ليست هي نفس المقاييس التي تتبناها المناهج و الاديولوجيات الرأسمالية.

المطلب الثاني: المكانة الاجتماعية و نسق الحاجات و الدوافع.

"... إن ما يفعله الناس هو جزء فقط، و الجزء الآخر هو لماذا يمارسون هذا الفعل بالـذات"[1]، ذه المقولة المرتونية وددت إن افتح هذا المطلب، محاولا رفع بعض اللبس و مجيبا في نفس الوقت، عن سؤال يجول في حس كل باحث يهتم بالقضايا السوسيولوجيـة، فما هـي الخلفيات الذاتية و الموضوعية التي تطبع سلوك الأفراد و الجماعات عندما يسلكون و يختارون؟.

هل إن سلوكات و تصرفات الأفراد بكر(مجردة) عن كل خلفية و دافعية، أم إن ما يخفيه الأفراد شعوريا أو لا شعوريا في تصرفا م، يمثل أكثر من نصف حقيقة ما يبدونه؟

في خضم هته التساؤلات، سنحاول إن نحلل دوافع الأفراد و حاجـا م لبنـاء مكانتـهم الاجتماعية، و ذلك إذا سلمنا بان الإنسان كائن متعدد، تتجاذبه عدة حتميات في تصرفاته، منها ما هو ذاتي نفسي، و منها ما هو موضوعي اجتماعي.

إن الحاجة إلى التقدير الاجتماعي في نظر المختصين بالقضايا السوسيولوجية، تعتبر أكثـر دوافع الفرد لباء مكانته، يقول "أ. براون" في كتابه: " علم النفس الاجتماعي في الصناعة": " إن حاجة الفرد للمكانة و الوظيفة أكثر سماته أهمية، و إذا بقيت هذه الحاجة دون إشباع، فليس هناك شيء آخر يستطيع تعويض نقصها، و يؤدي ضياع المكانة إلى العزلة الاجتماعية، و هـي أكثـر العصاب انتشارا..."[2]

---

(1): محمد علي محمد، مرجع سابق، ص 362.

(2): أ. براون، مرجع سابق، ص 311.

فلا غلو إذا قلنا إن الأدوار الاجتماعية و الوظائف المتصلة ا، لم تصبح كمورد للارتزاق فقـط، بل إن فضاءات العمل المنظمة منها(كالمصنع) و الحرة، قد أضحت وسطا يعوض فيه الأفراد ما قد يكون فا م الأولوية (كالأسرة مثلا) فهي(أي هذه الفضاءات) الأماكن التي يقضي فيها الفرد جل وقته، و في إطار هذه الفضاءات تظهر و تبرز المكانات، و تشبع دوافع الأفراد و حاجا م، لاسيما إذا راعى أفراد التنظيم ايا كان نوعه، حاجة الفرد النفسية و الاجتماعية، فانه يصبح هذا التنظـيم ملاذا و مأوى للراحة و الاطمئنان، يقول *"Burlinghame":* "...العمل هو مصدر معظم أوجه الإشباع الأساسية للإنسان، انه معينه الاجتماعي و المورد الأكبر لمكانته و سنعته بين زملائه"[1]، فالمكانة الاجتماعية سيما في ا تمعات الحديثة، أضحت كلمة مرادفة للفظ العمل، فلا قيمة و لا مكانة لمن لا يعمل، على عكس ما كانت عليه في مجتمعات قديمة و بعض الثقافات، حيث كانت تبنى على عدد مـن المتغيرات: " فترجـع في الجماعات الأولى إلـى الشجاعة و القوة أو السحر و الشعوذة، و قد تكتسب عن طريق الأسرة و النسـب و المال و الجـاه "[2]، فظروف ا تمع و مستوى حضارته و ثقافته، هي عوامل حاسمة في تحديد معنى المكانة الاجتماعية، و بالتالي قيمـة الأفراد الشاغلين لها، فهناك مثلا ثقافات تعتقد إن العمل نوع من العذاب و السخط الإلهي، الذي عوقب به أبو البشرية آدم(عليه السلام)، هذا ما نجده في الثقافة اليونانية القديمة، إمـا العمـل في الثقافة الإسلامية مثلا، فهو وسيلة من وسائل الاستخلاف، بل أكثر مـن ذلك فهـو عبادة، هذا و تتوقف الحاجة والدوافع إلى بناء المكانة الاجتماعية، على نوع من الفئـات الاجتماعيـة دون غيرها، "...و التقدير الاجتماعي من الدوافع الهامة في اختيار المهنة، فمرتب المدرس قد يكون اقل من دخل بواب عمارة، و مع هذا يفضل كثير من الشباب المهنة الأولى، لأ م شديدو الحـساسية إلى التقدير الاجتماعي"[3]..، فهناك دوافع ترتبط ببعض الخصائص الشخصية و الذاتية، إضـافة إلى عوامل تتصل بالجنس و السن، كلها متغيرات تجعل الأفراد يجددوا أهداف حيا م، و من ثمة يبنون مكانتهم في ضوء مهنتهم، فيلاحظ " كابلو *Caplow*" في كتابه:" علم اجتماع العمـل *The Sociology of work* " إن الناس يختارون عملهم بفعل ما يعتنقون من قيم، و هـذا بعد

---

(1):أ. براون، مرجع سابق، ص 312.

(2): معجم العلوم الاجتمعية، اعداد نخبة من الأساتذة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975، ص 560.

(3): احمد عبد الخالق، علم النفس المهني، الدار الجامعية للطباعة و النشر، بيروت، 1983، ص 14.

دراسته لأربعة مجموعات مهنية هي كالتالي: أصحاب المهن الفنية، أصحاب الأعمـال الكتابيـة، الحرفيون، عمال المصانع،"... تعتبر فئات العمال اليدويين و غير اليدويين، و مستـويات المهارة و جماعات السن، أمثلة واضحة على هته المتغيرات، و لو إن المتغيرات المتعلقة بوضع العمل، مثـل درجة الاستقلال و التفاعل الاجتماعي، تعتبر أيضا ذات أهمية"[1].

و يمكننا إن نلخص بعض نتائج هذه الدراسة فيما يلي:

يلاحظ غالبا إن أصحاب المهن الفنية يتجهـون اتـجاها متعارضـا مـع التنظـيم البيروقراطي، و عندما نقول النظام البيروقراطي معناه الانضباط و الرشادة، فأصحاب المهن الفنيـة يؤمنون بمهارات أدوارهم، كما يعتمدون على جماعات خارجيـة فـي حل مشاكلهم كالأسرة و الحي الجماعة الأصحاب و غيرها،أما اهتمام أصحاب الأعمال الكتابية، فهو يعكس انتمـائهم الطبقية و الاجتماعية، فعلاقات العمل ذات النمط القديم و الأبوي، و بيئتهم، كلها عوامل تحول دون توحدهم مع بقية العمال.

إن اهتمام بعض الحرفيين بأعمالهم، يؤدي بهم إلى المشاركة في النشاطات النقابية و الميل إلى مساعدة الآخرين من العمل.

أما الجماعة الأخيرة من العمال(عمال المصانع)، فنتائج الملاحظات أظهرت أنهم يـسلكون سلوكات العمال المغتربين عن ذواتهم، بمعنى إن أساليب الانتاج المتبعة ذات الطابع الرأسمالي، الـتي أفرزت عمال لا يملكون و ينتجون ولا ينتفعون، و في المقابل أقلية من أرباب الأعمـال الـذين يملكون و لا ينتجون و ينتفعون، هذه العوامل هي التي أدت بهذه الفئة إلى إن تغترب عن ذاتـها، و هي كلها نماذج للعامل المناضل.

يتضح لنا مما سبق إن مسالة القيم والإيمان بها و إعادة إنتاجها في ميادين العمل، مسالة جد هامة، لأنها بأية حال من الأحوال، ستوجه الفرد أية مهنة سيختار، و من ثمة أية مكانـة سـيبني؟ يقول " مالينوفيسكي *Malinowski* " مايلي: "... إنتاج القـوارب التي يستخدمـها "الأهالي (يقصد قبائل ماليزيا) فـي تبـادل السلـع، مرتبطـة بمجموعـة من الـشعائر و الطقـوس الدينية و السحرية، التي تعتبر بدورها بمثابة قوة دافعة لأداء تلك الأنشطة، و على ذلك لا يهـدف تبادل الهدايا و السلع

(1): باركار وآخرون،علم الاجتماع الصناعي، ترجمة محمد علي محمد و آخرون، منشأة المعارف، الاسكندرية،مصر ، 1982، ص 326.

إلى تحقيق غايات اقتصادية، بقدر ما يحقق للجماعة مزيدا من ألقاب التقدير الاجتماعي، و الهيبـة الاجتماعية"[1]، إما " مرتون *Merton*" فيقول:" إن الوظيفة الظاهرة للاستهلاك الاقتصادي هي الانتفاع، بينما يعتبر تحقيق الهيبة و المكانة الاجتماعية، إحدى الوظائف الكامنة للاستهـلاك."[2]، و سواء مع "*Malinowisk*" أو مع "*Merton*" فإننا نستنتج إن نظم الانتاج و الاستهلاك، مرتبطة اشد الارتباط بالأنساق الاجتماعية القرابية و العشائرية و الطقوس الدينية و السحرية مـن جهة، و مرتبطة من جهة أخرى بشق الشخصية، لا لتحقيق الحاجة البيولوجية و الإشباع المـادي فحسب، بل لبناء المكانة الاجتماعية و تحقيق الهيبة بين الناس، إننا نلاحظ يوميا كيف إن رجـال الأعمال الكبار يتسلقون و يتقلدون مناصب سياسية هم في غنى عنها! ، إمـا " موس *Mauss*" و هوقانونيا اقتصاديال دوركايم "، قد أصدر كتابا تحت عنوان: " *The Gift* " " الهبة "، يـبين *"Mauss"* في هذا المؤلف أنماط التبادل الطقوسية، يقول هذا الأخير مـايلي: "...إن لهـا (أي الهبة) طابعا قانونيا اقتصاديا و دينيا و جماليا و سياسيا، ..فهي قانونية لأ ا مرتبطـة بالالتزامات و بالحقوق الجمعيـة، و تنظيـم الأخلاقـيات، و هـي سياسيـة لأ ا مرتبطة بالتقسيم القبلي و العشائري، و هي دينية في جوهرها لأ ا تحاط بالسحر و الشعائر و الطقوس، و هي اقتـصادية لأ ا تتضمن مفاهيم القيمة و المنفعة و الاستهلاك و التراكم..."[3].

فهناك نوع من الالتزام بين من يمنحون الهبة، و بين من يستقبلو ا، و الشيء الذي لم يشر إليه *Mauss* و أغفله و أغفله في قوله السالف الذكر، هو ما مصير هذا العهد أو الالتـزام؟، انطلاقا من ملاحظتنا اليومية لبعض الطقوس و العادات الخاصة بمجتمعنا، فإننا نلاحظ الكثير مـن أوجه التشابه في الممارسات الاجتماعية، للعادات و التقاليد التي لاحظها الكثير و تكلـم عنـها *Mauss* في مثل تلك القبائل، إن ا تمع الجزائري يمارس الكثير من العادات و التقاليـد سـيما ا تمع الريفي منه بطريقة علنية، و لربما مارسها مجتمع المدينة بطريقة سرية، بما يدعونه "بالتاسوة"، وتساءل عن أبعادها و خلفيا ا، إن "التاوسة" هي عملية تنظم من طرف أهل العريس، فهـي في الحقيقة عملية اقتصادية لأ ا يتم من خلالها جمع مبالغ من المال، دف إلى سد و تعويض بعـض

---

(1): محمد الجوهري و آخرون، ميادين علم الاجتماع، دار المعارف، مصر، ط3، 1974، ص 183.

(2): محمد علي محمد، مرجع سابق، ص 360.

(3): محمد الجوهري وآخرون ، مرجعسابق، ص 184.

نفقات أهل العريس، و عملية اجتماعية لأ ا عمل تضامني مع أهل العريس،لكن الأهم من ذلك كلـه فهي عملية طقوسية ثقافية، فهي تحاط بكثير من العادات كشعل الشموع و الرقص، إلى غير ذلك، لكن لنتساءل معا ما موقع المكانة الاجتماعية من كل هذه الممارسات؟.

إن الطريقة التي تتم ا هذه العملية تكشف عن عدة مؤشرات الدالة، على بناء المكانة الاجتماعية، فهي تتم بطريقة علنية جوهرية و مكتوبة، فغالبا ما يتوسط حلقة المدعوين والفـضوليين، شـخص يـدعى "بالبراح"، فهو يعلن عن كل مبلغ يدفعه شخص من الحاضرين بواسطة مكبر الصوت،

و هنا بالضبط تبدأ فرصة التباهي و شراء الألقاب و المكانات الاجتماعية، فكل من يدفع أكثر يمـدح و يبجل علنا و العكس صحيح تماما، ثم أن من يخالف هذا النظام يذم اجتماعيا و لربما عوقب كـأن لا يمشي أحدا في جنازته، كما هو معمول به في نظام تجمعات "بالقبائـل"، لان عمليـة "التاوسـة" في حقيقتها سلفة و إعانة مؤقتة، في بيت احد أفراد ا تمع، لكن اليوم و مع التغير الاجتماعي الذي مـس الأسرة، أصبح كل فرد في العائلة يفضل أن ي وي (ينعزل) بتلفاز خاص به في غرفته، لان هناك تبـدل و تغير مس القيم و الأذواق، هذا بالنسبة الفرد أما بالنسبة للجماعات فان الملاحظة اليومية، تثبـت إن للجماعة حاجات متفاوتة وأخرى ظرفية، و لنضرب مثلا عن ذلك حاجة الجماعة إلى الأمـن, فهـذه الحاجة مل لأسباب كثيرة سيما حالات عدم التواؤم التي تحدث بين الجماعة، و ما يتولد عن ذلك من تفسح في العلاقات الاجتماعية وانتشار الأحقاد و الكراهية فيما بين أفرادها، لكن لنفـرض أن امـن الجماعة مهدد بعامل خارجي كالعدوان أو الاستعمار مثلا، في هذه الحالة نلاحظ أن أفـراد الجماعـة يتناسون أحقادهم و مشاكلهم، وذلك بغية صد هذا العامل المهدد لأمنهم، هذا ما نلاحظـه مـثلا في الأسر التي تكثر فيها مشاكل الميراث و غيرها، و لقد وضع "مازلو" سلما للحاجات و هـذا حـسب تصوره طبعا، فيرى أن أولى حاجات الإنسان تتمثل في:" الحاجة الفسيولوجية-الأمن والسلامة-الانتماء و النشاط الاجتماعي، الاحترام و التقدير و المكانة-تحقيق الذات "[1] ، لكن مهما يكن فهـذا الـسلم يبقى افتراضي، لأنه كما رأينا أن حاجة الفرد و الجماعة متغيرة و متبدلة، تتحكم فيها عدة متغـيرات و شروط منها ما يتعلق بنسق الحاجات النفسية و البيولوجية، منها ما يرتكز على المحيط و البيئة الثقافية والاجتماعية المتبدلة والمتغيرة باستمرار. فالظروف و العوامل النفسية الاجتماعية هي التي تحدد حاجات الأفراد، و تعين الكمالي منها الحاجي.

---

(1): كيث ديفيز، السلوك الانساني في العمل، دراسة العلاقات الانسانية و السلوك التنظيمي، ترجمة السيد، عبد الحميد مرسيو آخرون،دار النهضة للطبع و النشر، مصر، 1974، ص 63.

يتعين على كل فرد أن يرد "دينها" عشية كل زفاف.

ثم أن علماء النفس الاجتماعيين خاصة يلحون على قضية هامة، تتصل مباشرة بمسالة التقدير الاجتماعي و المكانة الاجتماعية، هذه القضية تدعى لديهم "بالروح المعنوية"، يقول "روثلسبرجر" معلقا على أهمية الروح المعنية بين أفراد الجماعة:" بمثل ما للصحة البدنية من أهمية للكائن الحـي، فان للروح المعنوية قيمتها في النسق التعاوني".[1] و لكن لنتساءل قبل كل شـيء مـا الـروح المعنوية؟. يعرفها *Kahn* و *Morse* على أ ا: "محصلة مشاعر الرضا التي يحوزها العامل نتيجـة لاشتراكه في الجماعة" [2] ن فهي كما رأينا مرتبطة اشد الارتباط باحساسات الفرد و مـشاعره، التي يكو ا كانعكاس لما يعيشه في بنيته و محيطه، فهو يشعر بالراحة و الاطمئنان و تزيد كفايتـه الإنتاجية، أن هو أحس باهتمام الجماعة به، و قد يشعر بالملل و الضيق عندما يحس أن الـضمير الجمعي يؤنبه أو لا يعيره اهتمامه. مما ينعكس سلبا على علاقته الاجتماعية بجماعته و محيطه.كمـا تنخفض كفايته الإنتاجية، فالشيء الذي يجب أن نستخلصه هو أن الروح المعنوية ذا المفهـوم، تصبح حاجة من الحاجات النفسية و البيولوجية و الاجتماعية، يتطلب إشباعها أن يراعي الفـرد ظروف التنظيم الذي يمتهن فيه أو يعمل به، بمعنى أن يراعي ثقافة التنظيم، فلكل تنظـيم ثقافتـه الخاصة به، و قواسم مشتركة تجمع أفراده، كما أن حاجة النسق سواء أكان فردا أو جماعة هي في تدفق و ديمومة، يقول "*Jean Daniel Mourino*":"...أن الحاجات ليست لها نفس الأهمية، حيث هناك تدرج في الحاجات، من الضروري إلى الاكمالي، كما أن إشـباع حاجـات معينـة يتسبب في ظهورها حاجات أخرى."[3] فحاجات الفرد و الجماعة متفاوتة و متغيرة.إن ما كـان بالأمس يمثل لدى الفرد حاجة ثانوية، فهو اليوم مثلا يعتبر لديه من الضروريات، كـان بـالأمس القريب مثلا يكفي أن يتوفر تلفازا واحدا.

---

(1):كيث ديفيز، مرجع سابق، ص 312.

(2: منصور فهمي، إدارة القوى البشرية في الصناعة ، دار النهضة العربية، مصر، 1978، ص333.

(3): Jean Daniel Mourino, Besoins et alimentation, cahier du centre d'etudes et de recherche mardistes, $n^0$101, paris, P17.

خلاصة الفصل:

إذا كان ثمة شيء يجب أن نستخلصه في ابة هذا الفـصل، هـو أن المكانـة والـدور الاجتماعيين و بلغة المنهجيين متغيرات تابعة، تتأثر وتتحدد بعدد من الـتغيرات الـسوسيولوجية الأخرى، إن الثقافة والسن والجنس و مجمل الفعاليات النفسية و الاجتماعية، كلها عوامل تلعـب دورها في تحديد الدور و المكانة لدى الفرد هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان خاصية التـلازم و الجدل بين المكانة والدور، تبدو واضحة من خلال التحليل السابق، فهما مفهومان متلازمـان وجودا و عدما، فلا يمكن في أي حال من الأحوال التكلم عن مركز بدون دور، أو دور لا يصدر عن مركز، فالمكانة الاجتماعية تعبر عن الموقع و الوضع الروتيني الستاتيكي، الخاص بأفعال الأفراد و الجماعات، أما الدور فهو يعبر عن الجانب التحرك و الديناميكي للأفعال الاجتماعية لدى هؤلاء الأفراد و الجماعات، ثم أن الأفراد إذا تشا ت و تماثلت لديهم نفس المتغيرات المؤثرة في التوجيه، كالثقافة و التربية و طبقة الجنس والعمر و غيرها، فان ذلك يؤدي م إلى تكوين جماعة، تتواجد فيها قواسم مشتركة (الجماعات المهنية، والحرفية، و النقابات و غيرها)، مما يتولد لديهم درجات عالية من التفاعل الاجتماعي، بحيث تتكون عندهم قيم و مواقف و دوافع متشا ة، و ذا تتشابه أدوارهم الاجتماعية، طالما أن نفس المتغيرات هي التي توجههم و نفس الغايات هي التي تحركهم، ثم سمعة الأفراد و م لتهم سوف تتحدد لنفس الأسباب، و على أساسها يمكن ملاحظة و تحديـد الفوارق بين الأفراد و الجماعات، تبعا لمنازلها و مراتبها الاجتماعية، فلكل منها مزايا و ظـروف ثقافية وإيديولوجية، تطبع طراز و أسلوب حيا ا.

الفصل الخامس

الاجراءات المنهجية

الفصل الخامس: الإجراءات المنهجية

1.5 التقنية المستعملة

2.5 مجالات البحث

3.5 وصف العينة

4.5 صعوبات البحث

5.5 التحليل و التعليق على البيانات الأولية

▪ الفصل الخامس:

-الإجراءات المنهجية

1- التقنية المستعملة :

لا شك انه من المتعارف عليه في علم الاجتماع ، أن الأداة الإحصائية تساهم في تدعيم الخطـاب السوسيولوجي ، سواءا كان ذلك في دقته أو موضوعيته العلمية ، ومن الطبيعي كذلك أن يبدأ أي بحث علمي كامل ، بمرحلة نوعية تحت شكل مجموعة من المقابلات المختلفة ، وهو ما قمنـا بـه خلال بحثنا الاستطلاعي ، حث أجرينا مجموعة من المقابلات في مناطق مختلفة من ولاية الجزائـر و البليدة ، وكان عددها 12 مقابلة ، كانت تتم بصفة عشوائية ، أي دون تحديـد أو ترتيـب مسبق ، كما أنها تتم مع المبحوث بصفة فردية في ميدان مزاولة نشاطه المهني ، أو في أوقات الراحة ، كنت و في كل مرة اطرح على المبحوث جملة من الأسئلة بعد أن أكون قـد مهـدت لـذلك بموضوع له صلة بما أريد أن اصل إليه ، إن كل هذا لم يكن يتأتى لنا لو لا خطة الملاحظة المطبقة ، فكل بحث علمي نقطة انطلاقه هي الملاحظة ، والتي هي " جهد حسي و عقلي منظم يقـوم بـه الباحث " حيث يعرفها محمود قاسم في " المنطق الحديث ومناهج البحث : " معنى الملاحظة هـو أن يوجه الباحث حسه و عقله إلى طائفة خاصة من الظواهر سواء كانت ظاهرة أو خفية "(1).

إن هذه الإجراء الكيفي الذي بدأنا به بحثنا في مرحلته الاستطلاعية ، مهد لنـا الطريـق لوضـع اللمسات الأخيرة للإجراء الكمي ، ونحن إذ نعتمد في بحثنا هذا على عدد من الأدوات ، معتقدين أنها تصلح لقياس الظاهرة موضوع الاقتراب ، هذه الأدوات هي الملاحظة المنظمـة و المقابلـة ثم الاستمارة ، فإننا لا ندعي أبدا أننا استعملنا هذه الأدوات مجتمعة و بصفة موازية ، بكلمة وجيزة لم نستعمل منهجا كيفيا و كميا في تحليلنا في نفس الوقت ، و إنما استعملنا هذه الأدوات و بهـذا الترتيب ، على سبيل الحتمية المنهجية لا غير ، فبدأنا بإجراء كيفي ثم خلصنا إلى إجراء كمي ،

(1) – محمد قاسم ، المنطق الحديث و مناهج البحث ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، بدون سنة ، ص 43

هذا الأخير التي عد الاستمارة الأداة المركزية فيه ، وهي أي الاستمارة كما جاءت في تعريف *R.Quivy* و *V.Compenhondt* في كتا ما : البحث العام في العلوم الاجتماعيـة :" إ ا تقتضي طرح موعة من المستجوبين ، عادة مثلين في مجتمع البحث مجموعة من الأسـئلة مرتبطة بوضعيتهم الاجتماعية المهنية و العائلية، آرائهم بسلوكا م مع مراعاة الاختيار (الخيار)، أو الرهان الإنساني والاجتماعي، مرتبطة بتوقعا م بمستواهم المعرفي أو وعيهم لحادث أو مـشكل أو أثر حول كل النقاط الأخرى التي م الباحث."(1).

أما *B.Matalon* و *R.Ghiglion* فيقولان : " عملية إنجاز بحث ميداني تعـني فيمـا تعنيـه، استفسار عدد من الأفراد قصد تعميم النتائج المحصل عليها"(2)

" كل بحث ميداني يرمي إلى إبراز عدد من الخطابات الفردية، ثم تأويلها و تعمـيم نتائجهـا"(3)، ويعرفها جمال زكي و السيد يس في كتابيهما : أسس البحث الاجتماعي: " الاستبيان في ابـسط صوره يتكون من مجموعة من الأسئلة ، ترسل بواسطة البريد أو تسلم إلى الأشـخاص الـذين تم اختيارهم لموضوع الدراسة، ليقوموا بتسجيل إجابا م على الأسئلة الواردة فيه و إعادته ثانية، ويتم ذلك دون مساعدة الباحث للأفراد سواء في فهم الأسئلة أو تسجيل الإجابات عليها."(4)

لكن العبرة ليست في استعمال أي منهج أو تقنية في حد ذا ا، بقدر ما تكمن العبرة والفائـدة في الاستعمال و التطويع المثمر و الفعال، لهذا المنهج أو تلكم التقنية، إننا سوف نبذل جهدنا حـتى نجعل حدودا و فواصل بين جوهر المنطق الرياضي الصرف من جهـة، و خـصوصية التحليـل السوسيولوجي من جهة أخرى، هذا الأخير الذي يتناول المعطى الإحصائي كمعلومة، ليتحـول بفضل تطبيق المبادئ السوسيولوجية إلى واقع جديد.

---

(1): Raymond (Q) et Campenhoudt (L.V), manuel de recherche en sciences social, Bordas, Paris, 1988, P181.
(2): Ghiglien (R) et Matalon (B), les enquêtes sociologiques, théorie et pratique, Coll. "U" , A. Colin, P06.
(3): Ibid,P06.
(4): جمال زكي و السيد يس ، أسس البحث الاجتماعي، دار الفكر العربي، بدون مكان للنشر ، 1961،ص ص 208-209.

لقد جمعت استمارة البحث في محتواها أربعة محاور رئيسية :

1. بيانات أولية تتعلق بمجتمع البحث.
2. بيانات خاصة بالفرضية الأولى المتعلقة بالتنشئة الاجتماعية.
3. بيانات خاصة بالفرضية الثانية المتعلقة بالهوية.
4. بيانات خاصة بالفرضية الثالثة المتعلقة بالمكانة و الدور.

وغالبا ما كانت استمارة الاستبيان، في شكل أسئلة مغلقة الكثير منها كان يذيل و يتبع بأسـئلة مفتوحة، كي نعطي ا ال للمبحوثين الإجابة عليها بحرية كاملة، وذكر معلومات مناسبة تتفق مع أبعاد و مضامين هذه الأسئلة، و هو إجراء سيساعدنا أثناء عملية التحليل السوسيولوجي، بحيـث سنشغل الكثير من تصريحات المبحوثين، في تدعيم هذا الخطاب أو هذا التحليل.

- **مجالات البحث :**

أ – مجال زماني:

استغرق إعداد هذه الأطروحة ما يقارب ثمانية عشر شهرا ، بدأت هذه العمليـة بجـرد لـبعض الكتب المتعلقة بالموضوع ، ثم جاءت مرحلة البحث الاستطلاعي الذي بدأناه بعملية المقابلة و التي سبقت بالملاحظة المنظمة طبعا ، لقد كنت اجري مقابلاتي مع هؤلاء الباعة في أماكن ممارسـتهم لمهنهم ، وذلك بصفة صدفية عشوائية ، دون أن احدد من الشخص الذي سأختار ، كانت تدوم هذه المقابلة من الساعة إلى الساعة و النصف للمبحوث الواحد ، وهي تنقطع باسـتمرار نظـرا لانشغال المبحوث بزبائنه ، إن مرحلة البحث الاستطلاعي هذه ، دامت قرابة ستة اشهر من السنة الدراسية 2003 / 2004 ، بعد ذلك شرعنا في عملية تحرير فصول الأطروحة سيما النظريـة منها ، بعد أن كنا قد حشدنا الكتب و الوثائق و المعلومات التي لها صلة بموضوع بحثنا ، و قـد دامت هذه العمليـة هي الأخـرى قرابـة الستة اشهر ، وبعدها تفرغنا إلى إعداد استمارة بحثنا و تقنينها ، و إخضاعها للتجريب مع فئة محددة من البحث ، لم تتجاوز ثلاثة أشخاص ، ثم كان التوزيع النهائي لاستمارة البحث على العينة المقصودة بالدراسة ، ثم استرجاعها في فترة تجـاوزت الشهرين ، بعدها مباشرة بدأنا عملية التفريغ و الترميز، ثم أجرينا الارتباطات اللازمة و علقنا على ذلك إحصائيا، و قدمناه إلى الأستاذ المشرف، وبعد عملية التعديل و الإضافة المقدمة مـن طرفـه (الأستاذ المشرف) ، باشرنا عملية التعليق النهائي على الجداول إحصائيا و سوسيولوجيا، لنـضبط

في الأخير ضوء هذا التحليل، النتائج الجزئية لكل فرضية ، ثم النتائج العامة للبحث ، وقد دامـت هذه العملية في مجملها أكثر من خمسة اشهر من السنة الدراسية -2005/2004- .

ب-مجال مكاني :

نظرا لطبيعة العينة و التي تتسم كو ا مجالا مفتوحا ، بمعنى لا يوجد مكان محدد و مستقر لهـؤلاء الباعة ، فإنني اعتمدت الطريقة العشوائية في اختيار عينة بحثي ، وهي عملية تستعمل عندما تكون هناك خصائص مميزة و مشتركة تمع البحث ، لكن عادة ما يمارس هؤلاء الباعة أنشطتهم أمـام أماكن العبادة (المساجد) ، وبعض الأزقة و الشوارع التي لا يكثر ا الضجيج علـى العمـوم ، بالإضافة إلى هذا فقد اعتمدت في اختيار عينة بحثي على مناطق مختلفة من البلاد (الجزائر ، البليدة ، المدية ، تيبازة (مدينة القليعة بالضبط) ، و لعل مبرر هذا الاختيار مرده أنني أردت اسـتيعاب الجوانب الرئيسية لمختلف توجهات هؤلاء الباعة ، بالإضافة إلى امتناع الكثير منهم عن الإجابة ، هو سبب أخر حتم علينا توسيع هذا ا ال المكاني .

ج- وصف العينة:

تعتبر خطوة اختيار العينة، من الخطوات المنهجية الهامة في البحث العلمي، و التي تؤدي الدقة في اختيارها إلى نتائج علمية دقيقة، ولقد وقع اختيارنا على عينة بحث تحتوي على 160 مبحوثا، كنت في الغالب اعرف بشخصي كباحث، لأفراد عينة البحث و بعدها تسلم الاستمارة للمبحـوث، إن هـذا النوع من العينات يدعى لدى المنهجيين، بالعينة العشوائية المنتظمة، هذه الأخيرة التي جاءت في تعريـف السيد احمد غريب:" العينة العشوائية المنتظمة...تتطلب أن يكون الجمهور الأصلي أو قائمـة أعـضائه متخذ شكل نظام متسق، بمعنى أن تكون القائمة تظم مثلا أعضاء ا تمع المحلي كله على أساس عضويته أو انتمائهم بما يكون إطارهم العام، ومن هذا الإطار يتم اختيار العينة بانتظام"(1) ، فالعينة العشوائية اذا تستخدم عندما تكون هناك خصائص مميزة ومشتركة للمجتمع الكلي، لقد كانت عينة بحثي مجموعـة شباب يقومون ببيع سلع و بضائع لها علاقة بالجانب الدين، فهي عبارة عن أشرطة و كتب و أزياء دينية ن إضافة إلى العطور و الأسوكة و غيرها كلها لها علاقة بالجانب التديني التعبدي، كان هذا عن نوعيـة المبيعات الممتهنة، وألان ننتقل إلى وصف الفاعل، في هذه العملية، أ م مجموعة شباب متوسط أعمارهم

---

(1): غريب سيد احمد، البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة،مصر، 1998.

بين 25 و 35سنة ، غالبا ما يرتدي هؤلاء الشباب أزياءا من صنف ما يبيعون، كما أ م يطلقون اللحى، يقومون إثناء فترا انقطاع الزبائن عن الشراء، بترتيل القران الكريم أحيانا، وأحيانا أخـرى بتفحص بعض الكتب، حتى يخيل للملاحظ انه في مكان تعبدي حقيقة.

د- صعوبات البحث:

لا يخفى على أي باحث في ميدان علم الاجتماع، أن أي موضوع بحث يختص به هذا العلم، لابد أن يفتك و أن يبنى و أن يحقق، و لعل أن أول مشكل يواجه الباحث في افتكاك موضوعه، هـو تلك الأفكار المسبقة و التغيرات غير السوسيولوجية، التي تصاحب الظاهرة موضـوع الاقتراب، و الحقيقة هناك صعوبة كبيرة واجهتني أثناء عملية الاتصال بالكثير من أفراد عينة بحثي تتمثـل في صعوبة الحوار ضانين أننا نمثل جبهة رسمية حكومية، فهناك حساسية كبيرة لدى فئة عينة بحثنـا، يمكن تفسيرها بالصدمة النفسية و الاجتماعية على خلفية العشرية التي عرفها ا تمع، و لا شك انه عندما تكون تحفظات اتجاه الباحث و اتجاه ما يطرحه فان ذلك لن يوفر للباحث إلمامـا كافيـا بالظاهرة لكن تأكدنا منذ البداية أن البحث العلم ليس طريق جادة نيفسكي (جادة الاسـتعراض بروما)فلقد قال نيكولاي تشير نيشفسكي:

" يجب على أولئك الذين يخشون الاغبار و تلوث الأحذية، ألا ينبروا للنشاط الاجتماعي" [1].

---

(1):تشيرنيشفسكي: مرجع سابق، ص 342.

المبحث الأول : التحليل و التعليق على البيانات الأولية الخاصة بمهنتي الأزياء الدينية و العطور..

- **السن**

الإجابة	التكرار	النسبة%
20	14	2.8
21	15	9.4
22	14	8.8
23	17	10.6
25	41	25.6
26	14	8.8
27	15	9.4
29	14	8.8
30	16	10.0
موع	160	100

- 5%)؛هذا الجدول أن اكبر نسبة تمثلها فئة البحث ذات السن 25 سنة بنسبة (26.5%) ؛
- تليها فئة البحث ذات 23 سنة بنسبة (10.6%)؛
- ثم فئة البحث ذات 30 سنة بنسبة (10%)؛
- ثم فئة البحث ذات 27 سنة و 21 سنة بنسبة (9.4%) لكل واحدة منها.
- و أخيرا فئة البحث ذات 29 سنة و 22 سنة و 26 سنة بنسبة (8.8%) لكل واحدة منها.

نستنتج أن فئة البحث المتاجرة بالأزياء الدينية و العطور...، مبحوثيها من الشباب، تتمركـز اكبر نسبة في سن الخامسة و العشرين، و حسب ملاحظاتنا طبعا هي سن الامتهان إن لم نقل الأخيرة، حيث يتم فيها الفرد الاعتماد النهائي على نفسه، من حيث العمل و الاسترزاق.

- **الحالة المدنية:**

الإجابة	التكرار	النسبة%
أعزب	131	%81.9
متزوج	29	%18.1
مطلق	00	%00
ا موع	160	%100

- يتبين من خلال هذا الجدول أن فئة البحث من العزاب بنسبة (81.9%).
- تليها نسبة (18.1 %) من المتزوجين؛
- في انعدمت حالات الطلاق لدى فئة البحث؛

على الرغم من انه و كما لاحظنا في الجدول السابق، إن فئة البحث يقع سنها في الفئة الخامسة و العشرين، و هي سن الزواج، إلا أن ما افرزه الجدول الخاص بالحالة المدنية قد بين أن معظم فئة البحث من العزاب، و هذا ما يوحي حالة من العنوسة المزدوجة لدى الرجال و النساء على حد سواء، - إن صح هذا التعبير- هذا العزوف عن الزواج يمكن تفسيره بالتدهور الاجتماعي (انعدام السكن، البطالة...).

- **طابع السكن:**

الإجابة	التكرار	النسبة %
شقة	101	%63.1
فيلا	15	%9.4
غير ذلك	44	%27.5
ا موع	160	%100

من الجدول أعلاه يتبن مايلي:

- ما يمثل نسبة 63.1% من فئة البحث تسكن شقق.
- مل يمثل نسبة 27.5% أجابت بـ (غير ذلك)، و عند الرجوع إلى استمارة البحث كانت إجابتها متوزعة بين (القصدير، الأحواش).
- ما يمثل 9.4% من فئة البحث طابع سكنها فيلا.

انه من الناحية السوسيولوجية كثيرا ما يدل طابع السكن، على الوضع الطبقي و الاجتماعي لفئة ما، و عليه فان ما افرزه الجدول السابق يدل على أن فئة بحثنا، و بتصريحها بنسبة 63.1 % على أ ا تسكن شقق فهي إذا من الفئات المتوسطة.

- **وضعية السكن:**

الإجابة	التكرار	النسبة%
عائلي	146	%91.3
فردي	14	%8.8
ا موع	160	%100

- تشير نسبة 91.3 % من فئة البحث، أ ا تابعة عائليا في سكنها.
- تليها نسبة 8.8 % من فئة البحث، المالكة لسكن فردي.

كثيرا ما كان متغير وضعية السكن، مؤشر على درجة الاستقلالية، و عليه فان تصريح فئة بحثنا يدل على التبعية للعائلة، ثم إن عدم الزواج بنسبة 81%.9 % في جدول سابق، و حسب ملاحظاتنا اليومية يؤكد هذا الافتراض، لأن الاستقلالية تبدأ مع الزواج لدى غالبيـــة الأســر الجزائرية، سيما من الناحية المادية (غرفة خاصة، مطبخ خاص...).

- **المستوى التعليمي:**

الإجابة	التكرار	النسبة%
أمي	00	%00
ابتدائي	00	%00
متوسط	15	%9.4
ثانوي	73	%45.6
جامعي	72	%45
ا موع	160	%100

من خلال الجدول يتضح أن:

- 45.6% من فئة البحث ذات تعليم ثانوي.
- 45 % من فئة البحث ذات تعليم جامعي.
- 9.4% من فئة البحث ذات تعليم متوسط.
- انعدام فئة البحث الابتدائية و الأمية.

إن سيطرة فئة البحث المتعلمة (ثانويين و جامعيين)، تفضي بنا إلى القول أن مهنة بيع الأزيـاء الدينية و العطور...، تستقطب فئة متعلمة، على عكس بعض المهن الأخرى كالنجارة مثـلا، و التي لاحظنا أ ا تستقطب كثيرا شباب، ممن لفضتهم المنظومة التربوية مبكـرا (ابتـدائي، متوسط) وهذا خلال ملاحتنا وحديثنا مع الكثير منهم طبعا.

- **المستوى التعليمي للأب:**

الإجابة	التكرار	النسبة%
أمي	28	%17.5
ابتدائي	117	%73.5
متوسط	15	%9.4
ثانوي	00	%00
جامعي	00	%00
ا موع	160	%100

يتبين من الجدول أن:

- 73.5 % من فئة البحث، آبائهم من ذوي المستوى التعليمي الابتدائي.
- تليها نسبة 17.5 % من فئة البحث آبائهم دون المستوى التعليمي.
- ثم نسبة 9.4% من فئة البحث، آبائهم من ذوي التعليم المتوسط.
- و أخيرا انعدام المستوى التعليمي، الثانوي و الجامعي لدى آباء فئة بحثنا.

تعكس الأرقام والنسب الموضحة في الجدول أن فئة البحث، معظم آبائها ذووا مستوى ابتدائي، كما تنعدم لديها فئة التعليم الثانوي و الاجتماعي مرة أخرى لفئة البحث.

- **المستوى التعليمي للام:**

الإجابة	التكرار	النسبة
أمي	104	%65
ابتدائي	27	% 16.9
متوسط	29	% 18.1
ثانوي	00	% 00
جامعي	00	% 00
ا موع	160	% 100

- يوضح هذا الجدول أن اكبر نسبة من أمهات فئة البحث غير متعلمات بنسبة 65 %.
- تليها نسبة 18.1 % من ذوي التعليم المتوسط.
- و أخيرا 16.9 % من ذوي التعليم الابتدائي.

إن هذه الأرقام و النسب تعكس وضع المرأة الاجتماعي في مرحلة ما (التعلـ ـيم للـ ـذكور فقط) كما تعكس معايير الزواج التي لم يكن مقياس المستوى التعليمي مطلوبا فيها خلال فترة ما.

- **مهنة الأب:**

الإجابة	التكرار	النسبة %
بناء	57	% 35.6
غير موظف	14	% 8.8
تاجر	61	.% 38.1
متقاعد	14	% 8.8
متوفى	14	% 8.8
ا موع	160	% 100

يتضح أن: نسبة 38.1 % من فئة البحث يمارس آباؤها التجارة، وعند رجوعنا إلى استمارة البحث وجدنا أ ا تتوزع بين (المواد الغذائية العامة-الخضر والفواكه).

تليها نسبة 35.6 % من فئة البحث، يمارس آباؤها مهنة البناء.

و أخيرا نسبة 8.8 % تمثل فئة غير الموظفين و المتقاعدين والمتوفون لكل واحدة منها.

سوسيولوجيا تقع فئة ممارسة آباء فئة البحث، في مهنة غير مهنة الأزياء الدينية والعطور، هذا يعني أن التأثير في الأبناء و توجيههم في الممارسة المهنية، هو الآخر يقع خارج متغير الممارسـة المهنيـة للآباء مما يعني إننا سنوظف متغيرات أخرى في التحليل تتعلق بتأثير البيئة الأسرية عموما.

الفصل السادس

تحليل البيانات الميدانية

الفصل السادس: تحليل البيانات الميدانية

1.6 التحليل و التعليق على البيانات الميدانية

2.6 نتائج البحث

قائمة المراجع

الملاحق

المبحث الثاني: التحليل و التعليق الإحصائي و السوسيولوجي على البيانات الميدانية.

الفرضية الأولى: " يفسر الإقبال على بعض المهن، بنوعية التنشئة الاجتماعية سيما الدينية منها، التي تلقاها بعض الأفراد".

الجدول الأول: يوضح العلاقة بين الدافع إلى اختيار مهنة بيع الأزياء الدينية، و الأصدقاء الأكثـر مجالسة لدى المبحوث.

الأصدقاء / الإجابة	أصدقاء الحي		أصدقاء المسجد		أصدقاء العمل		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
الصدفة	19	%63.33 +3	13	%11.20	04	%28.57	36	%22.5
الأهل	10	%33.33	14	%12.06	05	%35.71	29	%18.12
الأصدقاء	01	%3.33	89	%76.72 +17	05	%35.71	95	%59.37
المجموع	30	%100	116	%100	14	%100	160	%100

إن قراءة أولى للمجاميع الإحصائية في التوزيع الهمشي للجدول، قد أفرزت لنا أن هنـاك: نسبة (%59.37) من المبحوثين قد صرحوا أن سبب اختيارهـم لمهنـة بيـع الأزياء الدينية و العطور، كان بدافع الأصدقاء، ثم يلي هذا الاتجاه اتجاها ثانيا يصرح أن سبب اختياره لهذه المهنة كان بدافع الصدفة، حيث يمثلون نسبة (%22.5)، و في الأخير هناك اتجاه يرى في الأهل سببا في دفعه لاختيار هذه المهنة بنسبة (%18.12)، و عند قراءتنا للخانات المركزية في الجدول، نجد أن الاتجاه الأول السائد قد دعم بفئة أصدقاء المسجد بنسبة(%76.72)، حيث كان عـددهم 89 مبحوثا من اصل 166 مبحوثا، أما الاتجاه الثاني فقد دعم بفئـة أصـدقاء الحـي بنـسبة (%63.33)، حيـث كان عددهـم 19 مبحوثا من اصـل 30مبـحوثا، أما الاتجاه الثالث و الأخير، فنجده مدعما بفئة أصدقاء العمل بنسبة(%35.71)، حيـث كـان عـددهم 05 مبحوثين من اصل 14 مبحوثا.

إن مقارنة النسب و الأرقام الإحصائية الواردة في هذا الجـدول، تفـضي بنـا إلى الاسـتنتاج السوسيولوجي التالي:

تساهم جماعة أصدقاء المسجد كجماعة مرجعية ثقافية و اديولوجية في اختيارات فئة البحث المهنية، ذلك أن الوازع أو الدافع في علم النفس و إن كان يعرف بأنه:"ما يحمل على الفعل من غرائز و ميول، فهو وجداني و لا شعوري، في حين أن الباعث عقلي و شعوري"(1).

في هذا الصدد علينا أن نؤكد على أهمية المسجد كمؤسسة للتنشئة الاجتماعية للأفراد، فهو أي المسجد فضاء للعبادة، كما يعد فضاء لمسائلة بعض القضايا التي تخص شؤون الفرد أو الجماعة، فالفرد وان كان يدخل في علاقات مع كثير من الجماعات الاجتماعية، إلا أن ذلك لا يحدث إلا إذا كانت هناك تقاطعات و قواسم مشتركة، يقول "جيلفورد" في كتابه: " ميادين علم النفس": ' إن البشر إنما يدعوهم إلى الاجتماع جماعات أو أفراد، قواسم مشتركة، فحيث ما تحققت تحقق الاجتماع و حصل الارتباط...'(2).

إذا يتضح من الجدول و معطياته الإحصائية، إن الأصدقاء الأكثر مجالسة لدى أفراد عينة بحثنا، هم أصدقاء المسجد بعدد إجمالي +17، في حين لم يبلغ العدد الإجمالي لأصدقاء الحي سوى +3، و سوسيولوجيا عندما نظيف كلمة مسجد إلى الأصدقاء، -أصدقاء المسجد- معنى ذلك أننا أضفنا قيما معينة و معتقدات و ثقافة مشتركة، فالاشتراك في مجموعة من القيم والمعتقدات المتماثلة، هو الدافع و الوازع إلى اختيار فئة بحثنا مهنة بيع الأزياء الدينية و العطور، و عند عودتنا إلى استمارة البحث، و قراءتنا للتبريرات التي قدمها أفراد العينة، في اختيار مجالسة أصدقاء المسجد، وجدنا الكثير من هذه المعاني، فالبعض يقول: " لأ م أهل ثقة أكثر من غيرهم..." و الآخرين يقولون :" لأ م ملتزمون بحدود الله..." فكلمتا 'ثقة' و ' التزام' لهما من التبريرات و المعاني السوسيولوجية الكثيرة، فالفرد لا يحاكي الآخرين إلا إذا وثق م، مما ينجر بل و ينتج عن هذه المحاكاة و هذا التقليد، سلوكات مشتركة لاشتراك القواسم و الأفكار و المعتقدات الموجهة.

(1): لاروس، مرجع سابق، ص 455.
(2): جيلفورد، مرجع سابق، ص 230.

الجدول (2): يوضح العلاقة بين الدافع إلى اختيار مهنة بيع الأزياء الدينية و العطور، و علاقتــه بالأصدقاء الأكثر تعاملا مع المبحوث.

الأصدقاء / الإجابة	أصدقاء الحي		أصدقاء المسجد		أصدقاء العمل		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
الصدفة	20	%50 9-	26	%21.66	00	%00	46	% 28.75
الأهل	10	%25	10	%8.83	00	%00	20	%12.50
الأصدقاء	10	%25	84	%70 11+	00	%00	94	%58.75
المجموع	40	%100	120	%100	00	%00	160	%100

إن ما ترجمه الجدول السالف من نسب و أرقام قد توزعت على معطياته كالآتي:

- ما يمثل نسبة (%58.75) من المبحوثين قد صرحوا أن الدافع إلى اختيار مهنة بيــع الأزياء الدينية هم الأصدقاء.
- ما يمثل نسبة (%28.75) من المبحوثين قد صرحوا بالصدفية في اختيــارهم لهــذه المهنة.
- ما يمثل نسبة (%12.50) من المبحوثين قد صرحوا بدافع الأهل في اختيارهم لهــذه المهنة.

و من خلال المعطيات المبينة في الفئات المركزية للجدول، و المدعمة لكل اتجاه فقد كانت كالآتي:

- فيما يخص النموذج الأول (نموذج الأصدقاء)، نجده مدعما بفئة أصدقاء المسجد بنسبة (%70)، حيث كان عددهم 84 مبحوثا من اصل 120 مبحوثا.

أما النموذج الثاني الخاص بالصدفة فقد دعم بفئة أصدقاء الحي (%50) حيث كان عددهم 20 مبحوثا من اصل 40 مبحوثا، أما النموذج الثالث الخاص بالأهل فنجده مدعما بفئــة أصــدقاء الحي، لكن بتعداد 10 مبحوثين من اصل 40 مبحوثا و بنسبة (%25).

لعل مل يمكن إن تنم و تكشف عنه هذه النسب و الأرقام، كما تطرقنا في الجانب النظري من فصل التنشئة الاجتماعية، هو أن الإنسان مدني بطبعه أو على الأقـل يجتهـد في إن يكـون كذلك، وانطلاقا من جدولنا الخاص باختيار عينة بحثنا المتاجرة بالأزياء الدينية و العطور، و علاقة كل ذلك بالأصدقاء الأكثر تعاملا مع فئة البحث، فان ما ترجمه الجدول يذهب إلى إن أصـدقاء المسجد، كفئة أكثر تعاملا قد تفوقت على غيرها من الفئات بعدد إجمالي +11، في حين تراجـع دافع الصدفة كوازع لاختيار مهنة بيع الأزياء الدينية و العطور إلى -9، انطلاقا من هذا نـستطيع القول: "...تقوم جماعة الأتراب (الأصدقاء) بدور هام في عملية التنشئة الاجتماعية، و في النمـو النفسي و الاجتماعي للأفراد، فهي تؤثر في معاييره الاجتماعية و اتجاهاته و طريقة تعاملـه مـع صحبه، و تمكنه القيام بادوار متعددة لا تتيسر له خارجها"[1].

إن هذه الأهمية قد تزيد خطورة (تأثيرا) عندما ندرك بان فئة الأتراب الأكثر تعاملا لـدى فئة بحثنا، هم من فئة أصدقاء المسجد، ذلك لأن أي جماعة مهما كان نوعها، هي في حقيقة الأمر تجميع للثقافة العامة، و الثقافة العامة هاهنا، هي ثقافة مرتادي المسجد، فهناك معاملات خاصـة يحضى ا أفراد عينة البحث فيما بينهم، هذا ما لاحظناه مثلا أثناء إجراء المقابلات الأولية، مثلا في طريقة تبادل التهاني، فهناك رموز مشتركة كالضم و التوتير، إضافة إلى الألفـاظ ذات الدلالـة الدينية، كلفظ: " أخي في الله..."، إضافة إلى الأشياء المستعملة فيمـا بينـهم بـصفة خاصـة، كاستلاف العطر و جلسات الاستراحة عقب كل صلاة، و التعقيب و مناقشة بعـض المواضـيع الفقهية، خاصة فيما يتعلق بفتاوى العلماء السلفيون، فهذه الأشياء و غيرها من الرموز الدينيـة، تحرص عليها عينة البحث، كصفة للتمايز الاجتماعي.

(1): حنان عبد الحميد العناني، مرجع سابق، ص 93.

الجدول (03): يوضح العلاقة بين الدافع إلى اختيار مهنة بيع الأزياء الدينية و العطور، و علاقتـه بالمكان الذي يجد فيه المبحوث أكثر راحة.

الأصدقاء / الإجابة	المسجد		العمل		ال ل		بدون إجابة		الموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
الصدفة	05	%4.67	10	%50	06	%33.33	07	%41.17	28	17.50 %
الأهل	05	%4.76	08	%40	10	%55.55 10-	03	%17.64	26	16.25 %
الأصدقاء	96	%89.71 33+	02	%10	02	%11.11	06	%35.29	106	66.25 %
الموع	106	%100	20	%100	18	%100	17	%100	160	%100

تذهب النسب و الأرقام المبينة في الجدول أعلاه إلى إن:

- (66.25%) من المبحوثين أن سبب اختيارهم لمهنة بيع الأزياء الدينية و العطور، إنما يرجع إلى الأصدقاء.
- (17.50%) من المبحوثين أن سبب اختيارهم لمهنة بيع الأزياء الدينية و العطور، إنما يرجع إلى الصدفة.
- (16.25%) من المبحوثين أن سبب اختيارهم لمهنة بيع الأزياء الدينية و العطور، إنما يرجع إلى الأهل.

أما إذا قرانا الخانات المركزية المدعمة لكل اتجاه في الجدول فإننا نقرأ:

- (89.17%) و بتعداد 96 مبحوثا من اصل 106 مبحوثا يمثلون فئـة المـسجد المركزية المدعمة للنموذج الأول.
- (55.55%) و بتعداد 10 مبحوثين من اصل 18 مبحوثا يمثلون فئة ال ل المدعمة للنموذج الثاني.
- (50.%) و بتعداد 10 مبحوثين من اصل 20 مبحوثا يمثلون فئة العمل، المدعمـة للنموذج الثالث.

تشير الأرقام المبينة في هذا الجدول إلى أن المسجد كمؤسسة دينية للتنشئة الاجتماعية، يعـد فضاءا هاما للتثقيف و التوجيه، هذا ما صرحت به عينة بحثنا في تبريرها اختيار المتاجرة بالأزيـاء

الدينية و العطور...". و علاقة ذلك بالمكان الأكثر راحة لها، حيث تفوق المسجد كمان للراحـة بعدد إجمالي + 33، عن غيره من المتغيرات الأخرى، كالم ل الذي تراجع تعداده بـ ـ:-10، في هذا المضمار بالذات علينا إن نتساءل عن وظيفة المسجد؟." ...فالمسجد في الواقع مكان للكلمة، و لكن كلمة سلطوية، شاملة و أساسا مضمونة المواجهة مع العالم....من خلال وظيفته السياسية، فالمسجد اليوم يعد واسطة بين العبد وخالقه، ووقفة للنفس مقارنة مـع فوضى العالم، و كـذلك فهو ملتقى للتكلم للذين يعيشون نوع من اليأس في ا تمع، فلا نحتار إذا وجدنا الشاب المغـاربي، الذي هو اكبر ضحية للخيبة الناتجة عن ظروف ا تمع، يشكل اكبر نسبة مـن المرتـادين علـى الأماكن الدينية(المسجد)..."[1].

فالمسجد ومن منطلق القول السالف، هو مكان لإعادة تركيب الهوية الفردية و الجماعية، كما أنه يعد آلية دفاعية و وميكانيزم مقاومة ضد عوامل ديد الهوية بنوعيها، إن هذا الدور يمكن أن نتلمسه مع ما قام به المسجد إبان الفترة الاحتلالية، بغية المحافظة على الهوية الجماعية بالرجوع إلى الذات "...يمكن أن نتصور بدون شك أن الرجوع كليا إلى المنابـع كرد فعـل على الوضع و اعتماد أيديولوجية أكثر فعالية، لاجتناب الذوبان و الانسلاخ الثقافي، بالموازاة مع الهدف الواعي بالمقاومة الثقافية، و عامل العودة الدفاعية إلى الماضي، يعمل على التهدئة و التخفيف من التوترات الحالية، و الشك من المصير، من هذه الزوايا "مؤسسة المقدس" بكل أشـكاله كوسـيلة جماعيـة للدفاع" [2].

هذا و إذا رجعنا إلى استمارات البحث، فإننا نقرأ الكثير من التبريرات المصرح ا لـدى أفراد عينة البحث، كدليل اختيارهم المسجد كمكان أكثر راحة: "...فيه حلقـات الـذكر..."، "...في هذا المكان الطمأنينة و السكون..." "...ما اجتمع قوم في مسجـد، يتذاكـرون كتاب الله و يتدارسونه، إلا حفتهم الملائكة و ذكرهم الله فيمن عنده..." " ...حين تلجا إلى المـسجد تنسى هموم الدنيا..."، فبهذه المعاني و غيرها، يتضح أن المسجد هو ملاذ للذكر تارة، و التنفـيس تارة أخرى، و كل ذلك سينتج بفعل اثر المثاقفة المستمر، آثاره و توجيهاته على قيم و اختيارات العينة التي يجري عليها هذا الفعل.

---

(1) *Nourddine Toualbi, L'identite au Maghreb, OP CIT, P199.*
(2): *Ibid, P55.*

الجدول (04): يوضح العــلاقة بين الدافــع إلى اختيار مهنــة بيع الأزياء والدينية و العطور...، و صفات و أمزجة الأصدقاء الذين يمضي المبحوث أكثر وقت معهم.

نوعية الأصدقاء / الإجابة	المزح و التنكيت أكثر		المحافظة على الصلاة و الاهتمام بالمسائل الدينية		الانشغال بتحصيل المال و الهجرة و غيرها		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
الصدفة	03	%21.42	40	%28.77	02	28.57 %	45	%28.12
الأهل	05	%35.71	14	%10.07	03 15-	42.85 %	22	%13.75
الأصدقاء	06	%42.85	85 3+	%61.15	02	28.57 %	93	%58.12
المجموع	14	%100	139	%100	07	%100	160	%100

يتضح من هذا الجدول أن نسبة(58.12%) من المبحوثين، قد أكدوا أن الأصدقاء هــم وراء اختيارهم لمهنة بيع الأزياء الدينية و العطور، يلي هذا الاتجــاه نــسبة(28.12%) مــن المبحوثين الذين صرحوا بالصدفية في اختيارهم لمهنتهم، ثم نسبة(13.75%) من المبحوثين الذين صرحوا بدافع الأهل، في اختيار مهنتهم، و بعد الإطلاع على الخانات المركزية قرانا انه:

- دعم النموذج الأول بفئة الأصدقاء الموصوفة بالمحافظة على الصلاة و الاهتمام بالمسائل الدينية بنسبة (61.15%) بتعداد 85 مبحوثا من اصل 139 مبحوثا.
- دعم النموذج الثاني بفئة الأصدقاء الموصوفة بالانشغال تحصيل المال و الهجرة و غيرها بنسبة (42.85%) و بتعداد 03 من اصل 07 مبحوثين.
- دعم النموذج الثالث بفئة الأصدقاء الموصوفة بالمزح و التنكيت، بنسبة (42.85%) و بتعداد 06 مبحوثين من اصل 14 مبحوثا.

تومىء هذه الإحصائيات إلى أن فئة بعينها تتدخل في توجيه اختيار فئة بحثنــا، المتــاجرة بالأزياء الدينية و العطور، هي من فئة ما صادفناه في الجداول السابقة، حيث صرحت عينة البحث تفضيلها أصدقاء يحافظون على الصلاة و يهتمون بالمسائل الدينية، بحيث بلغ عددهم الإجمــالي في الجدول +3 من المبحوثين، في حــين كان متغــير الأصدقاء المهتمــين بالانشغال بتحصيل المال و الهجرة و غيرها -15، إن اختيارا كهذا سيجعل صفات و مميزات فئة من هذا النوع، تتدخل في

توجيه الفعل الجماعي لدى أفراد عينة بحثنا، و هو ما وقفنا عليه من تصريحات بعض المبحـوثين: "...المرء على دين خليله..." "...سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله...شابان تحابـا في الله..."، فهذه الأشياء و غيرها أسهمت في تكوين اديولوجية موحدة، انطلاقا من الاشتراك في التـصورات القيمية، و في عرفنا الاجتماعي يقول الأجداد (المثل الشعبي) "الصاحب ساحب"، أي بمعنى جالب لما قد يصحب و يصادق، و مؤثر فيه بسلوكاته و ميزاته، و لا يخفى على احد أن جماعات اللعب، في علم النفس و علم الاجتماع، تتشكل و تتهيكل وفق هذا المنطق، فما تـشابه مـن أمزجـة الجماعات و طباعها اشترك و اتفق، و ما اختلف من هذه الطباع و الأمزجة تفكـك و افتـرق، لكن لا بد أن نعود و نقول مؤكدين على أهمية و حساسية ما تعتقد فيه عينة بحثنا، فهو اعتقـاد قيمي ثقافي، يخلد فيها مقولة " الإنسان حيـوان ديني"، فهو و إن كان مخلوق تحكمه الغرائـز و العواطف، فضـلا على العقل و الحكمة و التعصب و المبالاة، فان الدين يبقى اكبر موجه و مؤثر في تصوراته الفكرية، و ممارساته و اختياراته العملية و المهنية.

الجدول (05): يوضح درجة الرضا عن الإصلاحات التربوية عند المبحوث.

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
نعم	16	%10
لا	99	%61.9
دون إجابة	45	%28.1
ا موع	160	%100

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن أغلبية المبحوثين و البالغ عددهم 99 مبحوثا، قد أجابوا بأ م غير راضين على الإصلاحات التربوية الجارية، وهذا ما يمثل أعلى نسبة في الجـدول و الـتي تقدر بـ (61.90%).

ثم نجد في المرتبة الثانية فئة البحث التي امتنعت عن الإجابة، حيـث كـان عـددهم 45 مبحوثا و بنسبة(28.10%).

أما في المرتبة الأخيرة، نجد فئة البحث التي أجابت ب (نعـم)، أي أ ـا راضـية عـن الإصلاحات التربوية الجارية، و هذا بنسبة 10%، و كان عددهم التكراري 16 مبحوثا.

إن تحويل أرقام و نسب الجدول من لغة إحصائية إلى لغة سوسيولوجية، يجعلنا نستنتج مايلي:

إن الرجوع إلى موضوع التنشئة الاجتماعية، و ما ينتج عن ذلك من شعور بالهوية و الانتماء، هما اللذان أفضى بتجذر الموقف المعادي للإصلاحات التربوية الجارية، و بنسبة (61.9%) من فئـة البحث، و لعل أن مرد ذلك يمكن إيعازه حسب ما صرح و علل به أفراد العينة، في رفضهم لهذه الإصلاحات إلى المعاني التالية:"...بالله عليك، كيف تتصور نشىء بدون تربيـة إسلاميـ ـة..." "... الله المستعان على ما يصفون..." "...يجب على كل أب عاقـل إن ينتبـه إلى مـا ينتظـر أبناءه..."، ففي نظر فئة البحث المعادية للإصلاحات أن هذه الإجراءات تمـس المنظومـة القيمية و الثابت في هوية الفرد و الجماعة، لذا فهي تعارض من هذا المنطلق الفكري العقائدي، التي تشعر بأنه مهدد بالزوال.

الجدول (06): يوضح نوعية التعليم الذي يفضله المبحوث لأولاده:

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
التعليم الرسمي	14	%8.75
التعليم القرآني	03	%01.87
التعليم الرسمي و القرآني	143	%89.37
ا موع	160	%100

يمثل الاتجاه العام المبين في الجدول كما نلاحظ إن:

- (89.37%) من المبحوثين يفضلون التعليم الرسمي و القرآني لأولادهم في المقام الأول، حيث يمثلون 143 من عينة البحث.
- (08.75%) من المبحوثين يفضلون التعليم الرسمي لأولادهم في المقام الثاني، حيث يمثلون 14 مبحوثا من عينة البحث.
- (01.87%) من المبحوثين يفضلون التعليم القرآني البحت لأولدهم في المقام الثالث، حيـث يمثلون 03 مبحوثين من عينة البحث.

إن الحقيقة التي تؤكدها الكثير من الدراسات السوسيولوجية، خاصة المهتمة بمسائل التنشئة الاجتماعية، أن الأسرة تعد البيئة الأولى التي يلتقي فيها الطفل أصناف التلقين و التربية و التعليم، وذلك لما لفضل الأولياء و خطورة أدوارهم في هذه المرحلة بالذات، إن تصريح فئة بحثنا باختيـار التعليم الرسمي و القرآني معا، كوسيلة تعليمية مستقبلا لأولادها بنسبة (89.37%)، يعكس أولا توجها ا التربوية التي بواسطتها سوف تورث أنماطا متها لأجيالها، خاصة إذا علمنا أن: "...الإنـسان يـرث دينـه و طبقته و على الأغلب مواقفه في العائلة" [1].

إن ما يدعم هذا الاتجاه هو تصريحات المبحوثين، الذين اقتبسنا بعض النماذج منها: "...لأنه(أي التعليم الرسمي و القرآني) فيه سعادة الدارين..." "... لأنه يجمع بين مجال الدين و الدنيا..." "... التعليم القرآني حصانة للفرد..."، و غيرها من التعابـير التي تعكـس توجـهات و قيما نشأت و تشبعت ا، و هي تنوي توريثها لأجيالها.

الجدول(07): يوضح نوعية التكوين لدى المبحوث، وعلاقة ذلك بدرجة رضاه عن الإصلاحات التربوية الجارية.

نوعية التكوين / الرضى	التعليم الرسمي		التعليم القرآني		التعليم الرسمي و القرآني		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
راض	30 8-	%60	08	%22.85	12	%16	50	31.25 %
غير راض	20	%40	27	%77.14	63	%84 15+	110	68.75 %
المجموع	50	%100	35	%100	75	%100	160	%100

إن ما يمثل(68.75%) من المبحوثين كما بينته الإحصائيات، غير راضين عـن الإصـلاحات التربوية الجارية، ثم يأتي في المرتبة الثانية اتجاه معاكس، تمثل نسبة(31.25%) يجاري و يقبل ذه الإصلاحات، و عند قراءاتنا للفئات المدعمة لكل اتجاه في الجدول نقرا ما يلي:

أ- يدعم الاتجاه الأول بفئة البحث ذات التكوين الرسمي مع القرآني بنسبة (84%) و بتعداد 63 مبحوثا، من اصل 75 مبحوثا.

(1): لويس كامل مليكة، مرجع سابق، ص 121.

ثم يليه في نفس الاتجاه، فئة البحث ذات التعليم القرآني بنـــسبة(**77.14%**) و بعـــدد 27 مبحوثا من اصل 35 مبحوثا.

ب- يدعم الاتجاه الثاني بفئة البحث ذات التكوين الرسمي، بنـــسبة(60%)، و بتعـــداد 30 مبحوثا من اصل 50 مبحوثا.

إن تحليل البيانات السابقة يفضي بنا إلى التعليق السوسيولوجي التالي:

إن معارضة فئة بحثنا للإصلاحات التربوية الجارية، يفسر بنوعية تكوينها الثقافي، فمن الجدول يتضح أن هناك +15 المبحوثين، من ذوي التعليم الرسمي و القرآني يرفـــضون الإصـــلاحات الجارية، في حين تراجع العدد الإجمالي للاتجاه المؤيد إلى -8 من المبحوثين، تمثله فئـــة التعلـــيم الرسمي، و عليه يمكننا القول أن لنوعية التكوين الذي يتلقاه الفرد، تأثير على هيكلة تـــصوراته فيما يخص ما يجري في محيطه أو مجتمعه، فرفض الإصلاحات التربوية الجارية، هو شعور من أن نظاما قيميا و ثقافيا مهدد بالزوال لدى مجموعة من الفاعلين الاجتماعيين، نشئوا و يكلـــوا ذهنيا و سلوكيا على ريعه القيمي و الثقافي، و هي حقيقة وقفنا عليها من خلال المقـــابلات الأولية التي أجريناها، حيث صرح احد المبحوثين شفهيا قائلا:"...ا تمـــع راح..."".يعـــنى ذهبت أخلاقه و اندثر، أما ما صرح به المبحوثين من خلال استمارات البحث كتابيا، فهو لا يعدو أن يخرج عن هذا الإطار: "...إن هذا (أي هذه الإصلاحات) يدعوا للتشت و الفرقة، و انحراف العقيدة، التي كان عليها سلفنا الصالح..."" ... هو دعـــوة للانحـــلال الخلقـــي..." "...يريدوننا أن نطبق أخلاق الكفار و المشركين..." وغيرها من التصريحات التي تكشف حالة التذمر و عدم الارتياح و القبول، التي تمليه الخلفية الثقافية و العقائدية، التي نشأت و تكونـــت عليها فئة البحث، لذا فان مقاصد الفعل الاجتماعي لديها سوف لن يكون بكرا أو مبتورا عن هذا التوجيه القيمي، و عليه سوف تتكون لديها اديولوجية تدافع ا عن مـــصالحها المعتقـــد زوالها أو ديدها.

الجدول(08): يوضح مواقف المبحوث من تعليم المرأة و علاقته بالمستوى التعليمي.

المستوى التعليمي / الإجابة	ابتدائي		متوسط		ثانوي		جامعي		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
نعم	00	%00	09	%60	52	%71.23	60 6+	83.33 %	121	75.62 %
لا	00	%00	06 35-	%40	21	%28.78	12	16.66 %	39	24.37 %
المجموع	00	%00	15	100 %	73	%100	72	%100	160	%100

يتبين أن نسبة (75.62%) من الفئة المبحوثة، قد صرحت على أنها تؤيد تعليم المرأة، إن هـذا الموقف نجده مؤيد من طرف فئة البحث المركزية ذات التعليم العالي بنسبة(83.33%) بتعـداد 60 مبحوثا من اصل 72 مبحوثا، في حين جاءت في المرتبة الثانية فئة البحـث الـتي صـرحت بمعارضتها لتعليم المرأة بنسبة(24.37%)، و نجد هذا الموقف مدعما بفئة البحث المركزية ذات التعليم المتوسط بنسبة(40%)، و بتعداد 06 مبحوثين من اصل 15 مبحوثا.

نلاحظ انه كلما صعدنا في المستوى التعليمي لدى أفراد عينة بحثنا، كلما تجذر الموقف المهـيمن المؤيد لتعليم المرأة، فمن خلال الجدول، تؤيد فئة البحث ذات التعليم الجامعي، تعليم المرأة بعدد 6+ من المبحوثين، في حين تراجع تعداد فئة البحث ذات التعليم المتوسط إلى -35 من المبحوثين، إن واقعا مثل هذا يمكن إيعازه مع *G.rocher* إلى أن: " المدرسة هي المجال الاجتماعي الذي يحتك فيه الطفل بعد العائلة، إن هذا الاتصال يعتبر عنصرا للتكوين..."(1)، فمن المراحل الأولى إلى المدرسة إلى الثانويـة إلى الجامعة... كلها مراحل يشحذ فيها الأنا الأعلى بشتى أنواع التربية و التلقين،"... فالجامعة بهذا المعـنى ظلت هي المكان الوحيد، الذي لم يفشل في تشكيل الصورة المحصلة التي تربط بين ما في الماضي، و مـا يمكن إن نتوقعه من شيء أفضل ثقافيا في المستقبل...، يجب أن تكون إنسانية بالأساس، و من مهامها أن تضطلع بالقيم الروحية و المعنوية، التي بامكانها أن تجعل من تاريخ البشرية شيئا آخر مختلفا عن تـاريخ الحيوان"(2)، إن بلوغ مثل هذا الوعي الاجتماعي نتلمسه من خلال تـصريحات اتجـاه فئـة البحـث المهيمنة،"...قل هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون..." "... الأم مدرسة..." "طلب العلـم فريضة على كل مسلم و مسلمة".

---

(1):Rocher (G),OP CIT, P151.

(2): التواصل، مقاربات سوسيولوجية للمجتمع الجزائري، العدد 06، الجزائر، جوان 2000،ص 275.

<u>الجدول(09)</u>: يوضح علاقة المكان الأكثر راحة بالنسبة للمبحوث، و تأدية الواجبـات الدينيـة للأولياء.

الواجبات الدينية للأولياء / المكان الذي يجد في المبحوث أكثر راحة	نعم		لا		ا موع	
	ك	%	ك	%	ك	%
المسجد	100 4+	%71.42	08 27-	%40	108	%67.50
العمل	10	%07.14	07	%35	17	%10.62
الم ل	10	%07.14	04	%20	14	%08.75
بدون إجابة	20	%14.28	01	%05	21	%13.12
	140	%100	20	%100	160	%100

يظهر من الجدول أن فئة البحث تفضل المسجد كأكثر مكان للراحة لها، هذا ما يوضحه التوزيـع الهامشي للجدول بنسبة(67.12%)،ثم نقرا اتجاها ثانيا فضل عـدم الإدلاء برأيـه في الموضوع، و قد كانت نسبته على ا اميع الكلية في الجدول (13.12%)، ثم يلي بعد ذلك اتجـاه ثالـث تفضل فئة بحثه الم ل كمكان للراحة بنسبة (10.75%).و أخيرا نقرا اتجاها يفضل الم ل كمكان أكثر للراحة عنده بنسبة (08.75%).

أما إذا قرانا فئات البحث المركزية المدعمة لكل اتجاه في الجدول، فإننا سوف نصنف ذلك كما يلي:

أ- 100 مبحوثا من اصل 140 من فئة البحث، التي صرحت بأداء الوالدين للواجبـات الدينية، و بنسبة (71.42%)، تدعم اتجاه المسجد كأكثر مكان للراحة.

ب- 20مبحوثا من اصل 140 من فئة البحث، التي صرحت بأداء الوالـدين للواجبـات الدينية و بنسبة (14.28%)، قد دعمت اتجاه فئة البحث الممتنعة عن الإجابة.

ج- 07 مبحوثين من اصل 20مبحوثا من فئة البحث، التي صرحت بعـدم أداء الوالـدين للواجبات الدينية و بنسبة(35%) تدعم اتجاه العمل كأكثر مكان للراحة.

د- 04 مبحوثين من اصل 20مبحوثا من فئة البحث، التي صـرحت بعـدم أداء الوالـدين للواجبات الدينية و بنسبة(20%)، تدعم اتجاه الم ل كأكثر مكان للراحة.

"...لا يمكن فهم سلوكات أو تصرفات الأفراد دون العودة إلى نوعية التنشئة الــتي تلقوهــا، بالإضافة إلى نوعية الأفراد الذين تفاعلوا معهم، بمعنى أن لموضوع التنشئة و الفاعلون التنشيئيون دخل في السلوكات المستقبلية للأفراد."(1).

انطلاقا من القول السالف الذكر و بالعودة إلى الجدول، يمكن استنتاج الفاعل التنــشوي الذي جعل من فئة بحثنا، تفضل المسجد كمكان للراحة لها عن باقي الأماكن الأخرى، لقد تــبين أن فئة البحث المؤدي أولياؤها للواجبات الدينية بنسبة+4 من المبحوثين، هي التي اختارت المسجد كمكان للراحة لها، في حين تراجع التصريح المعاكس إلى -27 من المبحوثين، هذا ما يجعلنا نقول أن الرأسمال الثقافي الأسري، سوف ينتقل إلى الفرد الناشىء مثل باقي المنقولات الأخرى، و هــي حقيقة نفسية و اجتماعية يؤكدها السواد الأعظم من المختصين في عملية التنشئة، و الدور الهــام و الخطير الذي تلعبه الأسرة عموما، و للأولياء على وجه الخصوص، لقد تنبه الخطاب الإســلامي إلى هذا الدور قائلا و مخاطبا الأولياء: " لاعبه سبعا، و علمه سبعا، و صاحبه سبعا، ثم اترك حبله على غالبه"، والخطاب هاهنا موجه للأولياء و ما ينبغي أن يتصرفوا به مع أبنائهم، إن "...سهولة الوصول إلى الأشخاص المراد تنشئتهم، و قوة الروابط التي تربط أفراد الأسرة الواحدة، تساعد على زيادة الأهمية النسبية لتأثير الأسرة في عملية التنشئة"(2).

هذه الحقائق تجعلنا نقول أن فئة بحثنا المصرحة باختيار المسجد كمكان للراحة، له علاقــة وطيدة بأداء أوليائها للواجبات الدينية، ذلك أن لما لأهمية الفعل في ترسيخ القيمة الاجتماعية عنــد الفرد، فتردد الأب على المسجد يمكن أن يخلق في الطفل هذه الملكة، و ينسج على فعل أبيه، هــذا ما وقفنا عليه من تصريح البعض من المبحوثين، حين عللوا إجابا م قائلين:"...الحمد لله قد تعلمنا منهم..." "...أبي و أمي غير متعلمين، لكن هما قدوتي..." "...لم أدخن في حياتي أبدا لقد تعلمت من والدي..."، و غيرها من التصريحات التي تؤكد مرة أخرى أن الخصائص الأساســية لنفــسية الأطفال و النشا عامة، تتشكل وفق طبائع مربيهم و أوليائهم.

---

(1) :د. جمال معتوق، صفحات مشرقة من الفكر التربوي عند المسلمين، دار الإمام مالك للنشر و التوزيع، الجزائر،ط1، 2004،ص ص 39-40.

(2): ريتشارد دووسن وآخرون، مرجع سابق، ص 154.

الجدول (10): يوضح نوعية التعليم الذي يفضله المبحوث لأولاده، و درجة الرضى عن الإصلاحات التربوية الجارية.

الرضى عن الإصلاحات التربوية / الإجابة	نعم ك	نعم %	لا ك	لا %	دون إجابة ك	دون إجابة %	المجموع ك	المجموع %
التعليم الرسمي	15	%27.27	10	%11.11	06	%40	31	%19.37
التعليم القرآني	15	%22.27	20	%27.22	05	%35.33	40	%25
التعليم الرسمي مع القرآني	12	%21.81	50 15+	%55.55	02	%13.33	64	%40
التعليم الحر	13	%23.63	10	%11.11	02	%13.33	25	%15.62
المجموع	55	%100	90	%100	15	%100	160	%100

أ- تذهب النسب المئوية المبينة في الجدول، إلى أن هناك اتجاها سائدا تمثل نسبته(40%)، قد صرحت فئة بحثه بعدم رضاها عن الإصلاحات التربوية الجارية، و عند بحثنا في الجدول عن الفئة المركزية المدعمة لهذا التوجه، رصدنا فئة البحث التي تفضل التعليم الرسمي مع القرآني لأولادها بنسبة(55.55%)، حيث كان تعداد مبحوثيها 50 مبحوثا من اصل 90 مبحوثا.

ب- ثم يلي هذا اتجاها ثانيا مجاريا للاتجاه الأول، لكن بنسبة اقل (25%)، و قد دعمته فئة البحث التي تفضل التعليم القرآني لأولادها بنسبة (27.27%)، حيث كان عددهم 15 مبحوثا من اصل 55 مبحوثا.

ج- ثم نقرا اتجاها ثالثا معاكسا ، قد أبدى رضاه عن الإصلاحات التربوية الجارية، بنسبة(19.37%)، و قد دعم هذا التوجه على مستوى خانات الجدول المركزية، فئة البحث التي تفضل التعليم الرسمي لأولادها بنسبة (27.27%) و بتعداد 15 مبحوثا من اصل 55 مبحوثا.

د- و في الأخير ، اتجاه تمثل فئة بحثه نسبة (15.62%)، يبدي رضاه عن الإصلاحات التربوية الجارية، تدعمه فئة البحث التي تفضل التعليم الحر لأولادها بنسبة (23.63%)، و بتعداد 13 مبحوثا من اصل 55 مبحوثا.

إن تأويلا سوسيولوجيا للمعطيات الإحصائية في الجدول السابق، يقودنا إلى استنتاج ما يلي: ثمة تبعية لنوعية التعليم الذي تفضله فئة البحث، إلى متغير درجة الرضى عن الإصلاحات التربويـة الجارية، بـ +15 من المبحوثين، تمثله فئة البحث الرافضة للإصلاحات، ثم أن عودة للتـصريحات التي أدلى ا المبحوثين، تكشف من أن هذه الفئة تقدم البدائل التربوية، ليس حفاظا على الوضـع الراهن، لكن تتطلع إلى تغيير يفضي و يحمل إصلاحات تعكس الأبعاد القيمية و الثقافية للمجتمع، فمن خلال:"...لست راضيا على الوضع، لكن ارفض المسخ..." "...كان على المصلحين كمـا يدعون، الاهتمام بالتربية الإسلامية لا محوها و حذفها..." "...الأخلاق تتراجع في مدارسنا، و هم يزيدون الأمور تعقيدا..." "... انظر في ساحات الثانويات و الجامعات و ستقتنع..."، فهـذه التصريحات و غيرها تعتبر من وجهة النظر السوسيولوجية، أراء تعبر عن عينة اجتماعيـة تـرفض الإصلاح، انطلاقا من موروثها الثقافي القيمي، الذي اشرنا إليه في جداول سابقة، يعرف بأنـه ذو أبعاد أخلاقية و بفكر إسلامي، تعتقده فئة البحث البديل الوحيد للإصلاح، باقتراحه كمـشروع تربـوي و أخلاقي لأبنائها مستقبلا، إذا كل حالات التـسيب و التراجـع الأخلاقـي داخـل المنظومات التربوية، و ابتذال منتوجها، ترجعه فئة البحث قصورا أخلاقيا بالدرجة الأولى، يمكـن تداركه إذا ما استنجدنا بقيم ا تمع،"...كان عليهم زيادة ساعات التربية الإسلامية..."، أما آخر يصرح:"... حسب رأيي أن تصبح التربية الإسلامية إجبارية في كل الفروع..."، "...لماذا لم يتم تصحيح بعض المناهج، و تزويد ذلك بفتاوى معروفة لعلماء كبار...".

الجدول (11): يوضح أقدمية المبحوث في ممارسة مهنة بيع الأزياء الدينية و العطور.

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
اقل من سنة	29	%18.1
منذ سنتين	75	%46.9
أكثر من سنتين	56	%35
ا موع	160	%100

يمثل الاتجاه العام المبين في الجدول مايلي:

75 مبحوثا من اصل 160 مبحوثا و بنسبة(46.9%) قد صرحوا إ م يمارسون مهنـة بيـع الأزياء الدينية و العطور منذ سنة.

56 مبحوثا من اصل 160 مبحوثا و بنسبة(35%) قد صرحوا إ م يمارسون مهنة بيع الأزياء الدينية منذ أكثر من سنتين.

في حين أن 29 مبحوثا من اصل 160 مبحوثا و بنسبة (18.1%)، قد صرحوا إ م يمارسون مهنة بيع الأزياء الدينية و العطور منذ اقل من سنة.

أن اشتغال فئة بحثنا المتاجرة بالأزياء الدينية و العطور، و المكوث ا أكثـر لمـدة سـنة بنـسبة (46.9%)، متبوعا بنسبة (35%) لمدة سنتين للبعض منها، يفسر من وجهة نظر اجتماعية، أن هذا الأمر ليس موسميا كما نلاحظ لدى الكثير من الفئات المهنية الأخرى، و الباعة المـوسميين الذين يشتغلون وفق منطق المصلحة الموسمية(دخول اجتماعي مدرسي، شهر رمضان، عطل صيفية، مناسبات دينية(المولد النبوي الشريف مثلا).....)، فالأقدمية في المهنة و المكـوث ـا يفـسران بدرجة الارتياح لدى فئة تمارس مهنة غير قارة من حيث مكان بيعها، و إن كان المسجد مكانـا ملاحظا و مشاعا تعرض بالقرب منه، هذا ما اقتبسناه من تصريحات بعض المبحوثين المـصرحين بذلك: "...ما دمت اشتغل في الحلال فانا مرتاح..." "...المهم بالنسبة لي راحـة ضـميري..." "...لا أقول لك أني مرتاح ماديا، لكن البركة فيما كتبه الله....".

نتائج الفرضية الأولى القائلة:" يفسر الإقبال على بعض المهن، بنوعية التنشئة الاجتماعية سيما الدينية منها، التي تلقاها بعض الأفراد".

لقد بدا واضحا أن مفاهيم التنشئة الاجتماعية، و من خلال مناقشتنا للمعطيات الإحصائية الواردة في الجداول، و الارتباطات السوسيولوجية بين المتغيرات المركبة فيها، أن ميكانزمات و أدوات هذه المدرسة، قد ألقت بثقلها في تحليلنا لما افترضناه، من أن الإقبال على بعض المهن يفـسر بنوعيـة التنشئة الاجتماعية، سيما الدينية منها، التي تلقاها بعض الأفراد، إن مناقشة جداول خاصة بنوعية بعض الأصدقاء الأكثر مجالسة لدى أفراد عينة بحثنا (المتاجرة بالأزياء الدينية و العطـور...)، ثم الأصدقاء الأكثر تعاملا معها، و البحث في أمزجة و طباع الأصدقاء الأكثر محاكاة لفئـة عينـة بحثنا، و استنتاج أن كل هؤلاء من أصدقاء المسجد، بحيث كانت النسب المئوية للفئـة المـصرحة تتوزع كالآتي:

70% من أصدقاء المسجد الأكثر تعاملا مع فئة البحث.

76.72 % من أصدقاء المسجد الأكثر مجالسة لفئة بحثنا ، و بتعداد +17 من المبحوثين.

61.15 % من الأصدقاء يحافظون على الصلاة و يهتمون بالمسائل الدينيـــة، وبتعـــداد +3من المبحوثين، في حين تراجع متغـــير الأصـــدقاء المهتمـــين بالانشغال بتحصيل المال و الهجرة إلى -15 من المبحوثين.

إن كل هذا يضطرنا القول بان التنشئة الدينية، و بأداة و ميكانزمات مؤسسة المسجد، الذي يعـــد فضاءا لإنتاج و تلقين القيم، و إعادة إنتاجها و توجيهها في ميادين أخرى، سيما ميادين العمل و الامتهان، كان الموجه و الدافع الأكبر وراء اختيار عينة بحثنا، المتاجرة بالأزياء الدينية و العطور، هذا من جهة، و من جهة أخرى، فان استمرار تحليلنا و مناقشتنا لباقي الجداول، الخاصة بفرضـــية التنشئة الاجتماعية و الدينية، سوف يعكس صدق تحقق هذا الافتراض، فمناقشة جداول خاصـــة بنوعية التكوين الذي تلقته فئة البحث، و استخلاص أ ا ذات تكوين رسمي(أكـــاديمي) و قـــرآني بنسبة 84 % من المبحوثين، ثم الجداول الخاصة بنوعية التعليم الذي تفضله فئة البحث لأولادها مستقبلا، و استنتاج أ ا تفضل التعليم الرسمي مع القرآني، بنسبة 40% من المبحوثين، مقارنـــة بـــ 19.37 % يفضلون التعليم الرسمي، و 25 % يفضلون التعلـــيم القـــرآني،و 15.62% يفضلون التعليم الحر، ثم البحث في بعض المؤشرات الدالة على التوجهات الدينية لبيئتها الأسرية ، و اعتماد مؤشر أداء الواجبات الدينية بالنسبة للأولياء، حيث كانت نسبـــة الأداء 71.42%، و تعزيزه بتعليلات المبحوثين المختلفة، و أخيرا الأقدمية في المهنة كمؤشر على الارتياح و الرضـــا، حيث أن نسبة 46.9 % قد أمضت سنة كاملة في هذه المهنة، متبوعة بنسبة35% التي أمضت أكثر من سنتين، كل هذه العوامل تدفعنا إلى القول مرة أخرى على صدق تحقق ما افترضناه، من أن إقبال فئة بحثنا ، كانت ورائه معطيات سوسيولوجية خاصة بالتنشئة الاجتماعية لأفراد عينـــة بحثنا ذات الأبعـــاد القيميـــة و الدينيـــة، في محيطها الميكرو اجتمـــاعي (الأســـرة)، و المـــاكرو اجتماعي(المحيط) الذي شحذ ووجه هذا الاختيار، و لربما اضطرها هذا المحيط إلى الدفاع عن قيم و مبادىء، قد تمت بالتربية و التنشئة و التلقين، عبر مسارات طويلة و فضاءات مختلفة، بفعل ثقافي و اديولوجي، مثلما تفعل أية نقابة عمالية أو مهنية تماما.

الفرضية الثانية: " إن فعل المتاجرة بالأزياء الدينية و العطور...، يعطي و يحدد لدى ممارسيها و فاعليها هويتهم الثقافية".

الجدول(12): يوضح الغاية من المتجرة بالأزياء الدينية العطور وعلاقته بالهدف من وراء كسب ثقة الزبون.

نوع المبيعات / الإجابة	المتاجرة بأشياء يحث عليها الشرع		أزياء تقليدية و عادات		أشياء أخرى		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
الضرورة التجارية	30	32.25%	08	28.57%	15	38.46%	53	33.12%
تعاليم الدين	48 07+	51.61%	09	32.14%	14	35.89%	71	45.73%
أشياء أخرى	15	16.12%	11 5-	39.28%	10	25.64%	36	22.5%
المجموع	93	100%	28	100%	39	100%	160	100%

من الجدول أعلاه، يتبين أن (45.73%) من فئة البحث، قد صرحت بضرورة و بأهمية كسب ثقة الزبون، و عند تفحصنا للفئة المؤيدة لهذا الاتجاه، وجدنا أن فئة المتاجرة بأشياء يحـث عليهـا الشرع، قد تقاطعت مع فئة تعاليم الدين بنسبة(51.61%)، و بـ 48 مبحوثا من اصـل 93 مبحوثا، ثم نقرأ اتجاها معاكسا على المجموع الكلي للجدول، صرحت فئة بحثه بالضرورة التجارية لكسب ثقة الزبون وبنسبة (33.12%)، و يؤيد هذا الاتجاه فئة البحث التي ترى في المتـاجرة بأشياء أخرى، كضرورة لكسب ثقة الزبون بعدد 15 مبحوثا من اصل 39مبحوثا.

وفي الأخير نقرأ اتجاها ثالثا، تصرح فئة بحثه بضرورة المتاجرة بأشياء أخرى لكسب ثقـة الزبون بنسبة (39.28%) و بتعداد 11 مبحوثا من اصل 28 مبحوثا، و يؤيد هذا التصور فئة البحث المركزية التي تفضل المتاجرة بأزياء تقليدية و عادات.

يقول لونغ (*R. D LAING*)، في كتابه " *le soi et les autres*" : " أن علاقـة الفـرد بالآخر تعتبر وسيلة يعزز الإنسان هويته الذاتية، و يبني بواسطتها صورته عن ذاته"(1).

---

(1):د.محمد مسلم، مرجع سابق، ص 28.

" انه لا يمكن الفصل بين الهوية الخاصة بالفرد، و الهوية الموجهة للآخر، لأن الفرد يريد دائمـا أن يثبت نفسه و يحقق ذاتيته، و يفرض شخصيته أمام الآخر."(1).

إن تصريح عينة بحثنا بأهمية و ضرورة كسب ثقة الزبون، مؤيدة بفئة البحث المتاجرة بأشياء يحث عليها الشرع، بـ 07 من المبحوثين، و تراجع متغير المتاجرة بأشياء تقليدية و عادات إلى -5 من

المبحوثين،يمكن تفسيره بما ذهب إليه (*R. D LAING*) في القولين السابقين، فالبحـث عـن التأييد الذي يعد مفهوما مركزيا في نظرية الدور الاجتماعي، إلى جانب مفهوم التوقعات والتماثل (..الرغبة في التشابه..)، فكسب ثقة الآخرين و تحفيزهم، هو تأييد للأدوار الاجتماعية و دعـم للمراكز التي يشغلو ا،"...إن التكامل الموجود بين الذات و الآخر، يعد أكثر من شرط، فهو يبني الشعور و الإحساس بالهوية الشخصية، لذلك فان الشعور بالذات، هـو في نفـس الوقت واحد و مثنى أي هو الذات و الآخر."[2]، إن هذه الجدلية أو الثنائية تسمح لفئة البحث بتقويم و تصحيح ذا ا،لذلك وجدناها تبحث عن أهمية كسب ثقة الزبون، انطلاقا من ترويجها لسلع يحث عليهـا الشرع، فالسلعة تصبح هنا تعبير و رمز ثقافي، ودليل تعريف لفئة ما ولانتماءا ا، وهي تعمل (أي فئة البحث) من هذا المنطلق، لحصولها على هذا التصنيف، ولبلوغها هذا الانتماء، الذي لا يكـون إلا باعتراف الآخرين و بتقويم منهم، و يمكن أن نستخرج الكثير من هذه المعاني إذا ما رجعنا إلى استمارة البحث، و قراءة تصريحات المبحوثين: " يقول الرسول صلى الله عليه و سـلم: الـدين المعاملة " "...الرضا بين الطرفين (يقصد المشتري و البائع) واجب..." "...اللطف مـع كـل إنسان..." "...الإحسان مع الحيوان، فما بالك الإنسان..." وغيرها من التصريحات التي تبحـث عن تثمين و تقدير الذات و رد الاعتبار لها، انطلاقا من تقدير الآخر، يقول (*Codol*) :" ...رد الاعتبار يلعب دورا حيويا في عملية تقدير الذات، و يظهر ذلك من خلال الجهد الـذي يبذلـه الإنسان تماشيا مع القيمة التي يتصورها عن نفسه، و التي ينبغي أن يدافع عنها، إن البعد الحقيقـي للصورة عن الذات تؤدي وظيفة التكييف التي تسمح للإنسان أن يكون لـه إحـساس ايجـابي بوجوده في وسط من الآخرين، الذين قد يكون بالضـرورة في مواجهتهم، ليثبت وجوده بينهم، و لا يمكن له ذلك إلا إذا كانت صورته عن نفسه ايجابية ."[3]

---

(1): د. محمد مسلم، مرجع سابق، ص 230.

(2): المرجع نفسه، ص 23.

(3): المرجع نفسه، ص 13.

الجدول(13):الهدف من وراء المتاجرة بالأزياء الدينية و العطور...و علاقته بنوعية المبيعات.

نوع المبيعات / الإجابة	المتاجرة بأشياء يحث عليها الشرع		أزياء تقليدية و عادات		أشياء أخرى		ا موع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
الربح و تحصيل القوت	30	%26.78	10	%31.25	06	%37.5	46	%28.46

نشر و إحياء الثقافة الإسلامية	70	%62.50	14	%43.75	06	%57.5	90	%56.25
أشياء أخرى	12	%10.71	08	%25	04	%25	24	%15
ا موع	112	%100	32	%100	16	%100	160	%100

- لعل ما تبينه نسب التوزيع الهامشي للجدول، أن نسبة(56.25%) من فئة البحث، قـد صرحت أن الهدف من وراء المتاجرة بالأزياء الدينية و العطور، هو بغية نـشر و إحيـاء للثقافة الإسلامية، و هو تصريح تؤيده الفئة المركزية للجدول، التي تفضل المتاجرة بأشياء يحث عليها الشرع بنسبة(62.50%)، حيث كان عدد مبحوثيها 70 مبحوثا من اصل 112 مبحوثا.
- ثم يأتي في المرتبة الثانية اتجاها معاكسا، تصرح فئة بحثه أن الهدف من وراء المتاجرة بالأزياء الدينيـة و العطـور، إنمـا هـو الـربح و تحـصيـل القـوت، و قـــد كانـت نسبته(28.46%)، و عند بحثنا في الجدول عن الفئة المؤيدة لـذلك، وجـدنا أن فئـة المتاجرة بأشياء أخرى هي المؤيدة لذلك بنسبة(37.5%) و بعدد 06 مبحوثين من اصل 16 مبحوثا.
- ثم نرصد اتجاها ثالثا يصرح أن الهدف من وراء متاجرته بالأزياء الدينية و العطـور، هـو إصابة أشياء أخرى، حيث كانت نسبتهم(15%)، تؤيده فئة البحث التي تفضل المتاجرة بأزياء تقليدية و عادات، بنسبة (25%) وبعدد 08 مبحوثين من اصل 32 مبحوثا.

إن تبعية الهدف من وراء المتاجرة بالأزياء الدينية و العطور، كما صرحت به فئة بحثنا، و الـذي يتلخص في نشر و إحياء للثقافة الإسلامية، لنوع من المبيعات التي يحث عليها الشرع، وتقدمها عن باقي المتغيرات في الجدول بـ:+34 من المبحوثين، يمكن إيعازه مـن وجهـة النظـر المعرفـة السوسيولوجية، إلى أن أفراد عينة بحثـنا تريـد تقديم أبـعاد متقاربة لهويتها في ميـدان الشغل و الامتهان، ويتلخص في الشعـور الواعـي و الثابت عن نفسـها في الزمان و المكان، المنسجم و المتوائم باستمرار مع ما تعتقده من قيم،و الذي بواسطته تبحث عن صفة الاعتراف و القبـول لدى محيطها ذو الأبعاد و المرجعيات الثقافية و الاجتماعية، وهنا يجب أن نشير إلى قضية الـضبط الاجتماعي في توجيه أفعال الأفراد، يقول " *T.Parsons* "معرفا هذا الأخـير: " إن الـضبط

الاجتماعي يتوقف على مقدرة اللاعب في النظر إلى أفعاله نظرة آخرى"[1]، و الآخر هـو النظام و الرأسمـال الثقافي القيمي،الذي تسلك و تتعامل و تمتهـن و تختنار وفق ضوابطه المادية و الرمزية (المعنوية)، هذه المعاني يمكن أن نقراها في التبريرات التي أدلى ا المبحوثين مـن خـلال استمارة البحث،"...من اجل نشر الدعوة المحمدية..." " ... العمل الذي لا يوافق الشرع لـيس عبادة مطلقا..." "...أساهم بسلع تدعوا إلى الأخلاق..." "...مراعاة الحلال و الطيب واجبة..." "... كل من كان عمله في غير طاعة الله فهو عاص..."، فالارتباط بالموروث القيمي و الالتـزام به، هو الذي يعطي لأفراد عينة بحثنا هويتها في ميدان العمل ، كما انه هو الذي يمنحنـا صـفة التمايز الاجتماعي و شرعية الانتماء. " إن الهوية تفرض من الخارج لأ ا لا تذكرني فقط بمن 'أنا'، ولكن بمن يجب أن أكـون، و بما هي السلوكات المنتظـرة مـني، بحيـث تعرضـني مخالفتـها للعقاب."[2]، فـ (*A.Touraine*) في قوله السالف يؤكـد علـى الطابـع الاكـراهي لقانون الجماعة المرجعية،و أشكال الضبط و العقاب الذي لا يشترط فيـه أن أكـون ماديـا، وهـذا ما لاحظناه و تلمسناه من خلال المقابلات الأولية، عندما طرحـت سـؤالا لأحـد المبحوثين، فيما إذا كان بإمكا ا ارتداء احد الموضات الحديثة في اللباس، فأجابني فيما معنى قوله:" ...مستحيل أن أقدم على ذلك، لأنه يتعرض لنقد و اسـتهجان مـن طـرف أصـحابه..."،و استخلصت من كل كلامه أن الموضة المقترحة للباس تعد مخالفة لهندام الجماعة السني.

---

(1): د. خليل احمد خليل، مرجع سابق، ص 129.

(2): د . محمد مسلم، مرجع سابق، ص 41.

الجدول (14): يوضح نوعية الانتماء لدى المبحوث و علاقته بنوعية المبيعات.

نوع المبيعات / الإجابة	المتاجرة بأشياء يحث عليها الشرع		أزياء تقليدية و عادات		أشياء أخرى		ا موع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%

فئة العمال	35	%32.40	07	%31.81	10 -22	%34.48	52	32.5 %
البعد الحضاري الإسلامي	69 +7	%63.30	12 -2	%54.54	10	%34.48	91	56.87 %
أشياء أخرى	05	%4.58	03	%13.63	09	%31.03	17	10.62 %
ا موع	109	%100	22	%100	29	%100	160	%100

- يتضح أن (56.87%) من فئة عينة البحث صرحت بانتمائهـا للبعـد الحـضاري الإسلامي، و يؤيدها هذا التصريح فئة البحث المركزية،التي تفضل المتـاجرة بنـوع مـن البضائع التي ينص عليها الشرع، بنسبة (63.30%) و بعدد 69 مبحوثا مـن اصـل 109 مبحوثا.
- في حين (32.5%) من عينة البحث تصرح بانتماءا لفئة العمال، تؤيدها في ذلك فئـة البحث التي تفضل المتاجرة بنوع من البضائع الأخرى، بنسبة (34.48%) و بعدد 10 مبحوثين من اصل 29 مبحوثا.
- و في الأخير (10.62%) من عينة البحث تصرح بانتماءا إلى فئات أخرى غير فئـة العمال أو البعد الحضاري الإسلامي، و تؤيد ذلك فئة البحث التي تفضل المتاجرة بنوع من البضائع التقليدية و العادات بنسبة (13.63%) و بعدد 03 مبحوثين من اصـل 22 مبحوثا.
- إن إضفاء أي استنتاج سوسيولوجي على نسب و أرقام الجدول الإحصائية، يذهب بنا إلى القول إلى أن هناك تطابق بين نوع المبيعات التي تفضل عينة البحث المتاجرة ا، و هي أي هذه المبيعات من النوع الذي يحث عليها الشرع، حيث بلغ العدد الإجمالي لهـذا التوجـه (+7)، تتقاطع مع الانتماء الذي تفضله عينة البحث، ألا و هو الانتماء إلى البعد الحضاري الإسلامي، فالمتاجرة بأشياء يحث عليها الشرع، كما صرحت و فضلت عينة البحث، تعتبر من وجهة النظر السوسيولوجية إذا ما قيست بالحاجة إلى الانتماء إلى البعـد الحـضاري الإسلامي،ترويج لثقافة و قيم ما، بل أكثر من ذلك تصبح السلعة أو البضاعة، و من هذه الزاوية آل تعريف لهويـة الفـرد ضـمن وسـط سوسيولوجـــي مهـني، يقـول

(*DURKHEIM*) : "...أن الهوية لا تنفصل عن الثقافة التي تتعدى منها، انه يوجد فينا كائن اجتماعي أو بالأخرى جمعي، وآخر خاص، فالأول يتمثل في أنـساق الأفكـار و الأحاسيس و العادات، التي لا تعبر عن شخصية الفرد، و إنما تعبر عن الجماعة التي ينتمي إليها، لأن هذا الكائن الجمعي (*être collectif*) هو من مكونات النـواة الثقافيـة أو الجماعية للهوية..."[1].

- فالشعور بالقيمة المرجعية و الشعور بالانتماء، يرسخان دون شك الهوية الـتي تجلـت في مظاهر المشاركة الوجدانية، و هي أن فئة بحثنا فضلت التـصريح بالانتمـاء إلى البعـد الحضاري الإسلامي، عن بقية الأبعاد الأخرى،ثم المشاركة العملية كتتويج و ترسيخ لهـذا الوجدان أو لهذا الولاء،في صورة المتاجرة بأشياء يحث عليها البعد الديني أو الشرع،كما أن رجوعنا إلى استمارة البحث، لرصد هذه التبريرات فيه أكثر من دلالة ، حيث صرح احد المبحوثين: "...أفضل المتاجرة ذه السلع من اجل إحياء التراث الإسلامي..."، و يصرح آخر: "...اشعر أني أؤدي رسالة نبيلة..."، أما آخر فقد صرح : "...الإنسان عندما يقوم بعمل عليه أن يرضي ضميره..."، فمن خلال هذه النماذج التي صرح ا أفراد عينة بحثنا، و من خلال كذلك كلمة 'إحياء"، "أداء"، "إرضاء"، و غيرها كلها مصطلحات عمليـة، تبعث على القول أن المصرح ا يحمل أعباء ثقافية و قيمية موكلة إليه بطريقة أو بأخرى.

(1):د.محمد مسلم، مرجع سابق، ص 36.

الجدول(15): يوضح الهدف من ارتداء الزي الديني لدى المبحوثين.

الإجابة	التكرار	ا موع
من اجل ترويج سلعتك	14	%8.75

قناعة دينية	146	%91.5
تقليد للبائعين الآخرين	00	%00
ا موع	160	%100

يمثل الاتجاه العام المبين في الجدول مايلي:

- (%91.5) و بتعداد 146 مبحوثا من اصل 160 مبحوثا، قد صرحوا أ م يرتـدون الزي الديني لقناعا م الدينية بذلك.
- (%08.75) و بتعداد 14 مبحوثا من اصل 160 مبحوثا، قد صرحوا أ م يرتـدون الزي الديني بغية ترويج سلعتهم المعروضة.
- في حين انعدام تصريح المبحوثين بارتدائهم للزي الديني تقليدا للبائعين الآخــرين عددا و نسبا.

إن ما يمكن أن نترجمه سوسيولوجيا من هذه المعطيات الإحصائية، هو أن ارتداء الزي الديني لدى فئة بحثنا، لقناعا م الشرعية بذلك، يمكن إرجاعه لمسالة حب الانتماء أو بالأحرى الحاجـة إلى الانتماء، ذلك أن الانتماء و أن كان يعرف بأنه: "...ارتباط الإنسان بنفسه و بمجتمعه و بعالمـه، على نحو يشعر معه بالتواصل و الانتماء الذي يبلغ حد الافتخار..."(1)،هذا من جهة، و من جهة أخرى يضاف إلى ذلك حب التميز باستعمال الرمز الثقافي، كأداة للتعريف بالذات، فالرمز الثقافي يعتبر نواة من نواة الشخصية،و هو محـ ـ ـرك الإنسان في الحقل و المصنع و المدرسة و المسجد و الكنيسة و الجامعة و غيرها، و إذا ما عدنا إلى أقوال المبحـوثين المـصرح ـا في اسـتمارات البحث،نجد البعض من هذه الدلالات حيث يقول احدهم: "...إني ارتدي الزي الديني من اجـل إحياء سنة الرسول صلى الله عليه و سلم..."، "...إني أساهم في تثبيت السنة الـشريفة..."، "... السواك، اللحية، العطر، أمور تمثل لنا عقيدة و دين و التزام..."

(1): د.محمد ابراهيم عيد، مرجع سابق، ص 65.

الجدول(16): يوضح فئة انتماءات المبحوث الاجتماعية و الاديولوجية.

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
فئة العمال	40	%25

البعد الحضاري الإسلامي	113	%70.62
أشياء أخرى	07	%04.37
ا موع	160	%100

- نلاحظ من خلال هذا الجدول أن أغلبية المبحوثين و البالغ عددهم 113 مبحوثا،قـد أجـابوا بأ م يفضلون بل و يشعرون بانتماءا م للبعد الحضاري الإسلامي، حيـث بلغـت نـسبتهم (%70.62).
- ثم نجد في المرتبة الثانية فئة البحث، التي تفضل انتماءات العمال لديها، حيث كان عـددها 40 مبحوثا و بنسبة (%25).
- أما في المرتبة الأخيرة، نجد فئة البحث التي تفضل انتماءات مختلفة، حيث كـان عـددها 07 مبحوثين و بنسبة (%04.37).

إن الحقائق السوسيولوجية تثبت أن الأنساق الفكرية، هي قواعد تحكـم السلوك الاجتماعـي للأفراد و الجماعات،و عليه نستطيع أن نقول أن فئة بحثنا المصرحة بانتمائهـا الحـضاري الإسـلامي بنـسبة (%70.62)، الذي هو في حقيقة الأمر نسق قيمي ثقافي، سوف يحدد و يقـدر مواقفهـا، داخـل البناءات الاجتماعية و الأوساط المهنية، سواء تعلق الأمر باختيارا ا فيما يخص المتاجرة بالأزياء الدينيـة و العطور و غيرها،و تفضيلها كمهنة، أو بدفاعها عن توجها ا و مصالحها داخل الـبنى الاجتماعيـة، يقول (*K.Manluin*) : "...إن كل الأنساق الفكرية التي دف بصورة رئيسية إلى الـدفاع عـن الوضع الراهن،و إيجاد التبريرات اللازمة لحماية مصالحها تسمـى ايديولوجيا..."(1)، فالخلفيـة الثقافية و الاجتماعية التي تستقر وراء أحكام الأفراد، و تقييما م الشخصية و اختيارا م، تتضح من خلال عدة مظاهر نفسية و اجتماعية في أفكارهم و ايديولوجيا ـم، و الـتي تتحول بـدورها أي(هذه الأفكار و الاديولوجيات) إلى أدوات عملية لتقييم الوضع الاجتماعي، و المساهمة في توجيهه انطلاقا من هـذه التصورات.

(1): Manhien (K), Idiologie and utopio, Kegan Paul, London, 1936, P228.

الجدول(17): يوضح موقف المبحوث من ترويج سلع تتنافى والقيم الدينية.

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
نعم	00	%00

لا	160	%100
المجموع	160	%100

- كما هو واضح في الجدول، ترفض فئة البحث المتاجرة بأشياء تتنـافى و القـيم الدينيـة بنسبة(100%) و بعدد إجمالي 160 مبحوثا.
- لا شك أن أي تبني لخصائص الآخرين، يعتبر من وجهة النظر النفسية و الاجتماعية، تنازل و تراجع عن بعض من مقومات الذات و الهوية، أن رفض عينة بحثنـا المتـاجرة بـسلع تتنافـى و القيم الدينية،يعكس توجها ا الدينية من جهة، كما يعكس من جهة أخـرى رفضها التنازل عن المعتقد، سواء أكان ذلك على المستوى الفكري، أو علـى المـستوى السلوكي.

إن مثل هذه الحقائق نستشفها من خلال تصريحات المبحوثين:"...البـائع يجـب أن يكـون قدوة..." "...كثير من السلع تدعوا لهدم القيم الدينيـة..." "...إ ـا تـدعوا إلى التـشبه بالكفار..."، لكن الأكثر من كل ذلك أن هذا الرفض، يسمى عند النفسانيين و الاجتماعيين، بالرفض الذي ترفضه الهوية الهجومية، و يحدث ذلك حينما يشعر بل و يتعـرض إلى محاولـة فرض نمط ثقافي معين،سواء أكان ذلك في المعاملات، أو الاستهلاك، أو اللباس و مختلف أنماط العيش، تقول (*H . P Malewska*) : "...يتبنى المغاربي أسلوبا هجوميا عدوانيا، خاصـة أمام مظاهر التمييز العنصري..."(1)، فالرفض يكون عادة عند استثارة تنقص من قيمة الفـرد اجتماعيا، فيكون الرد فعلا هجوميا لصد الخطر المحتمل على الهوية.

---

(1): Malewska (H.P) et Cohon (c), OP CIT , P 223.

الجدول (18): يوضح الغاية من تخصيص المسجد كمكان للمتاجرة بالأزياء الدينية و العطور...، و علاقته بنوعية المبيعات.

نوعية المبيعات / المتاجرة بأشياء يحث	أزياء تقليدية و عادات	أشياء أخرى	المجموع

		عليها الشرع						
الإجابة	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
تحقيق ربح مادي	20	19.23 %	05	%41.66 4-	09	%20.43	34	%21.25
سهولة التعامل مع زبائن المسجد	31	29.80 %	04	%33.33	20	%45.43	55	%34.37
سهولة تأدية الواجبات الدينية	53	50.96 % 5+	03	%25	15	%34.09	71	%45
ا موع	104	%100	12	%100	44	%100	160	%100

- تتوزع أرقام و نسب الجدول أعلاه كما يلي:
  - ما يمثل نسبة (%45) من المبحوثين قد صرحوا بسهولة تأدية الواجبات الدينية، كـدافع لهم من تخصيص المسجد كمكان للمتاجرة بالأزياء الدينية و العطور... .
  - ما يمثل نسبة (%34.37) من المبحوثين قد صرحوا بسهولة التعامل مع زبائن المسجد، كدافع لهم من تخصيص المسجد كمكان للمتاجرة بالأزياء الدينية و العطور... .
  - ما يمثل نسبة(%21.25) من المبحوثين قد صرحوا بتحقيق الربح المادي، كدافع لهم من تخصيص المسجد كمكان للمتاجرة بالأزياء الدينية و العطور... .
- أما إذا قرانا خانات الجدول المركزية المدعمة لكل موقف فإننا نرصد:

أ- (%50.96) و بتعداد 53 مبحوثا من اصل 104 مبحوثا، هم من فئة نوع المتـاجرة بأشياء يحث عليها الشرع، يدعمون الاتجاه الأول.

ب- (%45.45) و بتعداد 20 مبحوثا من اصل 44 مبحوثا، هم من فئـة نـوع المتاجرة بأشياء متنوعة، يدعمون الاتجاه الثاني.

ج-(%41.66) و بتعداد 05 مبحوثا من اصل 12 مبحوثا، هم من فئة نـوع المتـاجرة بأزياء تقليدية و عادات، يدعمون الاتجاه الثالث و الأخير.

يجب أن نشير هنا و انطلاقا من معطيات الجدول، أن هوية الفرد في علم الاجتماع، ترتبط ارتباطـا عضويا و تلاحميا مع هوية جماعة انتماءاته،فمن خلال تصريح عينة بحثـنا المتاجـرة بالأزياء الدينية و العطور، أن الغاية من تخصيص المسجد ذه التجارة، هو سهولة تأدية الواجبات الدينية، المـدعم بمتغير المتاجرة بأشياء يحث عليها الشرع، و تقدمـه عـن باقي المتغـيرات بـ+5 من المبحوثين، و

تراجع متغير المتاجرة بأزياء تقليدية و عادات إلى 4- من المبحوثين، كلها قرائن دالة أن المسجد يمثل همزة وصل، بل قناة و فضاءا ترجع إليه فئة البحث للتزود و الشحذ الروحي،و هو ـذا المعنى يكشف جانبا دقيقا من هويتها الثقافية، و من تكوينها و تنشئتها الدينية، هذا ما سنكتـشفه مـن خـلال التصريحات التي أدلى ـا المبحوثين في الاستمارة: "...تأدية حق الله علينا ثم العمل..." "...فإذا قضيت الصلاة فانتشروا..." "....للصلاة وقت محدد ، لكن العمل في كـل وقـت..." "...اذكـروا الله يذكركم..."، هذه التصريحات و غيرها تدل أن فئة البحث مرتبطة ارتباطا روحيا و عقائديا بمؤسسة المسجد الذي نعده و من وجهة نظر اجتماعية، ملاذا و منطلق في نفس الوقت، مـلاذا للتنفـيس و التجديد الروحي،و منطلق لإعادة تركيب الهوية الفردية في ميدان العمل، فاختيار عينـة البحـث المتاجرة ـذه البضائع و السلع،على تماس مباشر بالمسجد هو سلوك عملي يتجاوب مـع توقعـات الآخرين،و يتناسب مع وضعيات محددة، فمثلا يستحيل أن يجـر احدهم عربة مملـوءة بالخـضر و الفواكه و يعرضها في ـو أو فناء المسجد، فهناك علاقة إذا بين نوع المبيعات التي تتناسب مع نـوع المكان،و علاقة بين هذين الأخيرين و الفاعل في هذه العمليـة، ألا و هو المتاجر بـالزي الـديني و العطور...، الذي لاحظناه يحافظ على العلاقة القوية مع الشخصية العميقة أي مع ذاته، فهو مـؤدي للصلاة و متحليا بزي يعتقده شرطا لصحة ما يؤدي، موحيا إلى الملاحظ و الباحث أن ما يمتهنـه و ما يقوم به من ادوار، هو بناء لمكانته الاجتماعية كامتداد لما يعتقده.

الجدول(19): يوضح موقف المبحوث و تصوره لما يرمز له الزي الديني.

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
أمر موسمي ثانوي	15	%09.37
شرط لصحة الصلاة	107	%66.87
للتباهي به فقط	38	%23.75
ا موع	160	%100

- تتوزع أرقام و نسب الجدول أعلاه كما يلي:

- (%66.87) من المبحوثين و بتعداد 107 مبحوثا من اصل 160 ، يـرون في الزي الديني شرطا من شروط صحة الصلاة.

- (23.75%) من المبحوثين و بتعداد 38 مبحوثا من اصل 160، يرون في الزي الديني، بدلة للتباهي ا فقط.
- (09.37%) من المبحوثين و بتعداد 15 مبحوثا من اصل 160، يعتبرون الزي الديني امرا موسميا ثانويا.

مما لا شك فيه أن الأشياء سواء أكانت رموزا أو مادية، تعـبر مـن وجهـة نظـر سوسيولوجة عن الخصوصية التي ينفرد ا شخص أو جماعة ما ، أن تصريح عينـة بحثنـا المتاجرة بالأزياء الدينية و العطور، على أن الزي الديني يمثل لها شرطا من شـروط صـحة الصلاة، ثم ارتدائها له لقناعتها الدينية بذلك، يعكس جانبا مهما من شخصيتها و توجها ا، فبمثل ما يعبر لك احد الأصدقاء أنت في ضيافته، عن عراقة و تقاليد منطقته في طرق الأكل مثلا و والفن و غيرها،فان عينة بحثنا تستعمل الرمز الديني، كدليل تعريف عـن " اناهـا" ، "...اللباس هو الآخر قد يعطي نموذجا عن الأشياء، حيث أن لكل فرد في ا تمـع علاقـة معينة مع لباس معين،و بكيفية معينة أيضا،...لأنه يعكس جزءا من الأنا."[1]

---

(1): د.محمد مسلم، مرجع سابق، ص 23.

الجدول(20): يوضح موقف المبحوث من المتاجرة بالملابس الغربية المستوردة.

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية

موافق	57	%35.60
غير موافق	103	%65.40
ا موع	160	%100

- إن ما يمثل(%65.40) من عينة البحث،ترفض المتاجرة بملابس غربية مستوردة، حيث يبلغ عددهم الإجمالي في الجدول 103 مبحوثا من اصل 160 مبحوثا.
- في حين(%35.60) من عينة البحث، تقبل المتاجرة بالملابس الغربية المستوردة، حيث بلغ عددهم من خلال الجدول 57 مبحوثا، من اصل 160 مبحوثا.

سواء عند علماء النفس أو علماء الاجتماع، يمثل الاندماج مرحلة من مراحل انتقال الأنا إلى الآخر، أي أن يتنازل طرف لطرف آخر عن جزء من هويته و ثقافته لأجل حتمية التكيف، أو لأسباب أخرى نفسية و اجتماعية، أن تصريح فئة بحثنا بعدم المتاجرة في أزياء غربية مستوردة،ينحو منحى عدم الاعتراف بمزاحمة ثقافة الآخر،للثقافة المحلية أو الأصلية لجماعة البحث،إن "...المغاربي على عكس البرتغالي أو البولندي، يعبر عن أصالته أمام قيم تريد الهيمنة عليه،بل نجده يشعر بالارتياح حين رفضه لقيم ا تمع المضيف، فيلجا عندئذ إلى بلورة سلوك يثبت هويته و يؤكد مرجعيته"(1)، فرفض عينة البحث المتاجرة بمثل هذه الأزياء أو الملابس، يمكن تصنيفه ضمن تعزيز الخصوصيات الثقافية.

(1):د. محمد مسلم،الجيل المغاربي الثاني في فرنسا، الهوية في مواجهة الإدماج، رسالة دكتوراه دولة، جامعة وهران بالاشتراك مع جامعة نيس، 1996، ص 73.

الجدول(21): يوضح موقف المبحوث من المتاجرة بسلع غربية مستوردة، و علاقة ذلك بأداء الوالدين للواجبات الدينية.

أداء الواجبات الدينية للوالدين	يؤدي	لا يؤدي	ا موع

الإجابة	ك	%	ك	%	ك	%
نعم	30	%22.55	13	%48.14 25-	43	%26.87
لا	103	%77.44 4+	14	%51.85	117	%73.12
ا موع	133	%100	27	%100	160	%100

- يظهر من الجدول أن فئة بحث ترفض المتاجرة بسلع غربية مستوردة، هـذا مـا وضـحه التوزيع الهامشي للجدول بنسبة (%73.12%).
- ثم نقرأ اتجاها معاكسا ، تقبل فئة بحثه المتاجرة بسلع غربية مستوردة بنـسبة(%26.87%) على التوزيع الهامشي للجدول.

و عند قراءتنا لخانات الجدول المركزية تبين لنا ما يلي:

أ- (%77.44) من عينة البحث من يؤدي الوالدين الواجبات الدينية فيها،تدعم الموقف الأول، بعدد 103 مبحوثا من اصل 133.

ب- (%51.85) من عينة البحث من لا يؤدي الوالدين الواجبات الدينية فيها،تدعم الموقف الثاني، بعدد 14 مبحوثا من اصل 27 مبحوثا.

إذا كانت للهوية مصادر و ركائز تستند إليها: "... مصادر مادية و فيزيائية : الملكية كالاسـم، السكن، اللباس، الجهد كالقوة الاقتصادية، و المال، و الثقافة، التنظيم المادي كالتنظيم الإقليمي، و التنظيم السكني والتنظيم الاتصالي، الهيئة الفيزيائية كالعلامة المرفولوجية و الرمـز.." (1)،فـان متكأ الهوية حسب ما صرحت به فئة بحثنا المتاجرة بالأزياء الدينيـة و العطـور...، في الجـدول السابق، إنما يعود إلى البيئة الأسرية، المتمثلة في أداء الوالدين للواجبـات الدينيـة بـ +4 مـن المبحوثين،و تقدمه عن متغير عدم الأداء الذي تراجع إلى -25 من المبحوثين، فرفض عينة البحث

(1):Allex Mucchilli,L'identité,Imprimerie des presses universitaies de France,Paris,1994,P 08.

المتاجرة بأزياء غربية، يمكن إرجاعه إلى قوة مقاومة الوازع الديني لذلك، إن افتراضا كهـذا يعزز بما ذهبت إليه عينة البحث في تصريحا ا المعللة لهذا الاختيار في الاستمارة: "... إنـني استحي أن ادخل ملابس نساء للبيع إلى بيتنا..." "...الحياء من الإيمان..." "... على الأقـل

شيء من الحشمة و الاحترام..."، و غيرها من التصريحات تضاف إليها جملـة الملاحظـات الميدانية، التي وقفنا عليها أثناء المقابلات الأولية من البحث الاستطلاعي،حيث صرح احدهم قائلا فيما معناه:"...الإنسان أصبح يخجل من أن يتسوق مع والديه..." "...ملابـس تـثير الاشمئزاز و هي معروضة، فما بالك إذا...!"، فمن منطلق التربية الدينية الخلقية، إضـافة إلى العرف الاجتماعي أو ما يسمى بأسلمة التقاليد، فهناك الكثير من القيم العائلية التي دخلـت الدين،و استمرت فيه، تؤثر البيئة الأسرية و بنوعية تكوينها العقائدي الديني،علـى سلوكات و اختيارات أفرادها، فأداء الوالدين للواجبات الدينية ،ما هو في حقيقة الأمر إلا مؤشر على التوجه الديني لبيئة أفراد عينة بحثنا الرافضة المتاجرة بأزياء غربية مستوردة، بتأثير مـن هـذا التوجه و هذه التنشئة، و التي مع مرور الوقت سوف ترسخ عمق الهوية التي هي:"...عاطفة داخلية تتجزأ إلى عواطف مختلفة، كعاطفة الالتحام، انتماء، القيمة، الحرية الذاتيـة، الثقـة المنظمة داخل إرادة موجودة..."[1]، إ ا و ذا المعنى (الهوية) وجود خاص و ذاتي ، لكن في اية الأمر ملك اجتماعي، لأن هذا الأخير هو الذي ينميها و يذكيها بالشعور الذاتي.

---

(1):Allex Mucchilli,OP CIT, P08.

نتائج الفرضية الثانية القائلة:" إن فعل المتاجرة بالأزياء الدينية و العطور...، يعطي و يحدد لدى ممارسيها و فاعليها هويتهم الثقافية."

إن مناقشة معطيات إحصائية لجداول افترضنا فيها، أن المتاجرة بالأزياء الدينيـة و العطـور...، يعطي و يمنح لممارسيها و فاعليها هويتهـم الثقافيـة، و بعـد القـراءة السوسيولوجية للجداول المركبة و البسيطة، جعلتنا هذه المقاربة نستنتج في خاتمة هذه الفرضية ما يلي:

إن مفاهيم من مثل تقدير الذات و رد الاعتبار، حب الانتماء و الافتخار، البحث عن التأييـد لـلأدوار الثقافية، استعمال الرمز كدليل استهلاك ثقافي و غيرها، هـي مفـاهيم شـديدة الالتـصاق بموضـوع الهوية(*Identité*)، فمناقشتنا لجداول خاصة بأهمية كسب ثقة الزبون لدى فئة بحثنا، و كذا جداول نوع المبيعات، و جدول الانتماءات الاجتماعية و الفئوية، كلها دلائل و قرائن مؤشرات عن هوية عينة بحثنـا الثقافية، فهي باهتمامها بضرورة أهمية كسب ثقة الزبون، بنـسبة (45.73**%**) تبحـث عـن التأييـد الاجتماعي و اعتراف الآخرين بأدوارها الثقافية و هويتها، ذات البعد الأخلاقي القيمي و الإسـلامي،أما جداول نوع المبيعات و الفئات الاجتماعية و المهنية،التي تفضل عينة البحث الانتـساب إليهـا، بنـسبة 62.50 **%**و 70.62 **%** على التوالي، فهي تندرج و بعد قراءة المعطيات،و كذا الاستناد إلى تصريحات عينة البحث نفسها، تندرج ضمن الكشف عن انتماءا ا الثقافية و الايديولوجية، ذات الأبعاد الحـضارية الإسلامية،التي تستقر وراء أحكامها و اختيارا ا و توجها ا،فنوع المبيعات في الجداول التي ناقشناها مـثلا، تعكس بكل وضوح انتماءات فئات البحث المتاجرة ا، فتصريحها تفضيل المتاجرة بأشياء يحـث عليهـا الشرع، بـ +34 من المبحوثين، و تراجع متغير المتاجرة بأزياء تقليدية و عادات إلى -13 من المبحـوثين، يعكس هويتها التي تفضل لها الولاء و الافتخار،بالمساهمة ذا النوع من المبيعات، إن هذا التوجه و صـدق فرضيتنا و تحققها، يتأكد بعد مناقشتنا لجداول خاصة بالاستهلاك الثقافي لدى عينة بحثنا،سواء من خـلال جدول ارتداء الزي الديني، حيث صرحت انه يمثل لها قناعة دينية بنسبة 91.5**%**، أو موقفها من هـذا الأخير، حيث تبين أ ا تعتبره شرطا من شروط صحة الصلاة بنسبة 66.67**%**، ففيما يخـص الجـدول الأول تبين أن فئة البحث، ترمز به إلى انتمائها الثقافي، و تبحث بواسطته عن التصنيف الاجتماعي مـن المنطلق نفسه، فحب التميز و الظهور في صورة الجماعة الحاملة للتراث، و لربما المدافعة عنه، هي ما توقفنا عليه في الجدول الأول،أما تصريحا ا في الجدول الثاني، فهي تريد استعمال الرمز الديني كعنـوان تعريـف لهويتها الثقافية، هذا من جهة، و من جهة فان مناقشة جداول خاصة برفض عينة البحث المتـاجرة بـسلع تتنافى والقيم الاجتماعية، بنسبة 56.62**%**، و كذا السلع الغربية المستوردة، بنسبة 71.30**%** يطـرح هو الآخر مسالة التوجه القيمي و الثقافي و الايديولوجي لجوانب هوية عينة بحثنا الثقافية، الـتي تظهـر في صورة الجماعة الاجتماعية الفاعلة المدافعة عن تصورا ا و توجها ا.

الفرضية الثالثة: القائلة :" لا تؤدي مهنة بيع الأزياء الدينية و العطور ...، الإشباع المادي لـدى ممارسيها و فاعليها فحسب، بل تعمل على بناء المكانة الاجتماعية لديهم"

الجدول(22): يوضح تصور المبحوث لقيمة العمل، و علاقة ذلك بمكانته الاجتماعية.

قيمة العمل / الإجابة	الاعتزال عن الناس		البقاء في البيت		الاعتكاف في المسجد		العمل مع نشر أفكاره		الموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
اعتزال الناس	00	%00	00	%00	06	%35.29	00	%00	06	%3.75
التعامل معهم بشتى الطرق	05	%38.45	08	%44.44	00	%00	30	%26.78	43	%26.87
اختيار عمل مقنع	08	%61.53	10	%55.55	11	%64.70	82	%73.21 4+	111	%69.37
الموع	13	%100	18	%100	17	%100	112	%100	160	%100

- (69.37 %) هي نسبة التوزيع الهامشي للجدول، التي صرحت فئته اختيار عمل مقنع، كتصور لها لأن يكون لها قيمة و مكانة في ا تمع، أما (73.21%) هي نـسبة فئـة البحث المركزية-العمل مع نشر الأفكار- المؤيدة لهذا التصور، بعدد 82 مبحوثا من اصل 100مبحوثا.
- (26.87%) هي نسبة التوزيع الهامشي للجدول، التي صرحت فئته اختيار التعامل مـع الناس بشتى الطرق، كتصور لها لأن تكون لها قيمة و مكانة في ا تمع، أما (44.44%) هي نسبة فئة البحث المركزية – البقاء في البيت- بتعداد 08 مبحوثين من اصل 18 مبحوثـا، متبوعا بـ (38.43%) من فئة – الاعتزال عن الناس- بعدد 05 مبحوثين من اصـل 13 مبحوثا.
- (3.75%) هي نسبة التوزيع الهامشي للجدول، التي صرحت فئته اختيار اعتزال النـاس كتصور لها لأن تكون لها قيمة و مكانة في ا تمع، أما (35.29%) هي نسبة البحث – الاعتكاف في المسجد- و بعدد 06 مبحوثين من اصل 17 مبحوثا المؤيدة لذلك.

أن قراءة الجدول سوسيولوجيا ترجمة لما ورد فيه من بيانات إحصائية، يذهب بنـا إلى اسـتنتاج مايلي:

اختيار عينة بحثنا لمتغير العمل مع نشر الأفكار، عن غيره من المتغيرات بعدد إجمالي +4 من المبحوثين، هو دليل أن العمل يمثل الفضاء الأنسب لها بغية بناء مكانتها الاجتماعية، و هذه حقيقة

نفسية و اجتماعية، يقول "برلنغهام *Berlinghame* " : " العمل هو مـصدر معظـم أوجـه الإشباع الأساسية للإنسان، انه معينه الاجتماعي، المورد الأكبر لمكانته و سمعته بين زملائه..."[(1)].
لكن بأي عمل تريد فئة البحث بناء مكانتها الاجتماعية؟.
أن جوابا عن سؤال كهذا يضطرنا العودة إلى استمارة البحث، و قراءة التبريرات التي عللت ا فئة البحث ، اختيار العمل عن باقي المتغيرات: "...في رأيي، حتى الإمام يجب أن يكون متاجرا..." " ...المسلم قدوة بأفكاره و سلوكه..." " أتعجب من إنسان يقول ولا يفعل..." "...بالمعاملة يحكم الناس عليك..."،. فمن خلال هذه التصريحات نستشف قضية أخرى، شديدة الالتصاق بمفهـوم المكانة الاجتماعية،إلا و هي مسالة الدور الاجتماعي، فإذا كانت المكانة الاجتماعية هـي الـتي تكشف للفرد أو للمجتمع عن قيمته،كما يتصورها و يكو ا عنه الآخرون،فان الدور الاجتماعي يعد ذلك الجانب الديناميكي التطبيقي للمكانة، فكل من كلمة "متاجرا"،"قـدوة"،" يقـول و لا يفعل"، " معاملة" و غيرها، هي معاني ذات دلالة تطبيقية، تريد فئة البحث تجسيدها وفقا لمفهـوم الدور الاجتماعي، هذا الأخير الذي جاء في تعريف (*A.M.Rocherblave*) : "...يمثل الـدور على مستوى الجماعة نموذجا سلوكيا واحدا، لكل من يشغل نفس المكانة، و عليه فـان الـدور يشكل إجماعا و يعبر عن قيم و معايير ثقافية كما يظهر الدور علـى مـستوى الاتـصال بـين الأشخاص، في سلوكات متبادلة فـي إطار عمليات تفاعليـة تتجاوب مع توقـعات الآخرين، و تتناسب مع وضعيات محددة..."[(2)]، فالدور بالمعنى السابق لا يمكن فصله عـن قـيم الجماعـة المرجعية، و توجها ا الفكرية و الايديولوجية، فالعمل مع نشر الفكرة و الترويج للقيمة الثقافية، في صورة الدور الاجتماعي- المتاجرة بالأزياء الدينية و العطور-، هي حقيقة توقفنـا عليهـا أثنـاء الملاحظات و المقابلات الأولية،من جملة ذلك ملاحظتنا امتناع الجماعة عن الكلام مثلا و الإمـام على المنبر أيام الجمعة، و الاكتفاء بالإشارة فقط على البضاعة، عدت غليظ الإيمان و الحلف على السلع،تجنب المناوشات سواء مع المتجولون من الباعة، أو صنف الممتهنين لمهنتهم، هـذه بعـض الملاحظات و غيرها، التي تكشف أن أفراد عينة بحثنا تحاول إضفاء حالة تعبدية في أماكن عملها.

(1): أ. براون، مرجع سابق، ص 312.
(2): د.محمد مسلم، مرجع سابق، ص 40.

الجدول(23): يوضح موقف المبحوث من اعتبار المسجد كمكان واحد ووحيد للعبادة، و علاقة ذلك بالأدوار التي يقوم ا المسلم في حياته.

الواجبات الدينية / الإجابة	تكفي		لا تكفي		ا موع	
	ك	%	ك	%	ك	%
نعم	13	%43.33 -40	14	%10.76	27	%16.87
لا	17	%56.66	116	%89.23 +6	133	%83.12
ا موع	30	%100	130	%100	160	%100

- تعتبر نسبة من فئة البحث تقدر على التوزيع الهامشي(83.12%) ، أن المسجد لـيس المكان الوحيد للعبادة.
- في حين تعتبر نسبة(16.87%) من فئة البحث، أن المسجد هو المكان الوحيد للعبادة.

و بعد القراءة المركزية للفئات المؤيدة لكل اتجاه لاحظنا:

أ- 116 مبحوثا من اصل 130 مبحوثا، و بنسبة (89.23%) هي فئة البحث المؤيدة للاتجاه الأول، ترى في أداء الواجبات الدينية أدوارا غير كافية في حياة المسلم.

ب- 13 مبحوثا من اصل 30 مبحوثا، و بنسبة (43.33%) هي فئة البحث المؤيـدة للاتجاه الثاني، ترى في أداء الواجبات الدينية أدوارا غير كافية في حياة المسلم.

أن تصريح فئة بحثنا بعدم اعتبار المسجد المكان الوحيد للعبادة، و التبعيـة لمـتغير عـدم كفايـة الواجبات الدينية، كأدوار في حياة المسلم بعدد إجمالي +6، و تراجع متغير كفاية الواجبات الدينية في حياة المسلم بـ -40 من المبحوثين، يقودنا هذا التصريح إلى استنتاج مايلي:

ثمة إيمان لدى فئة بحثنا المتاجرة بالأزياء الدينية و العطور، بتعدد ادوار المسلم في حياته، نستخلصها من التبريرات المقدمة في استمارات البحث،"... المؤمن حيثما كان في عبادة..."،"...في كل مكان يراني فيه الله عز و جل..."، "...العمل جزء من العبادة..." ، "...اتق الله حيثمـا كنـت..."، "...المسلم يعبد ربه و يتقيه حيثما كان..."، "...لقد كان سلفنا الـصالح قرآنـا يمـشي علـى

الأرض..."،"...المؤمن يمتحن في فعله أكثر من قوله..."، "...المسجد مسير..."، فهذه التصريحات و غيرها تكشف في الأخير، أن فئة البحث تعمم فكرة الدور الاجتماعي، انطلاقا و تحديدا مـن البناءات الثقافية و القيمية للجماعة المرجعية.

" أن الأدوار ترتبط بالأوضاع الثنائية، و أن الذات على علاقة بلعب الدور، داخل نطاقات أوضاع البناء الاجتماعي..."(1)

فتقييم السلوك و حسب تصريحات فئة بحثنا، لن يخرج في هذه الحالة عن فكرة التوقعـات، الـتي يتضمنها مفهوم الدور الاجتماعي، فالفرد ذا المفهوم: "شخص يشغل مركزا واحـدا أو عـدة مراكز اجتماعية مختلفة داخل البناء الاجتماعي، و هذا يوضح بأن الدور الاجتماعي، يعمل علـى ربط الفرد بالبناء العام."(2)، و البناء العام لدى فئة بحثنا هنا، هو المرجعيات الثقافية المتضمنة للقيم و المعتقدات و الدين و الخبرات الاجتماعية و غيرها، و التي من مهامها إعداد الفرد لتقمص الدور الاجتماعي، حيث يقوم بإعادة إنتاجه في ميدان العمل، على شاكلة أو صورة ما اعـد لأجلـه بواسطة التنشئة الاجتماعية و التلقين.

الجدول(24): جدول يوضح الطريقة التي ا يكسب الإنسان مكانته الاجتماعية.

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
اعتزال الناس	03	%1.9
التعامل معهم بشتى الطرق	66	%41.3
اختيار عمل مقنع	91	%56.9
ا موع	160	%100

نلاحظ من خلال هذا الجدول انه من بين 160 مبحوثا هناك:

أ- (%56.9) و بعدد 91 مبحوثا من اصل 160 مبحوثا، ترى في اختيار عمـل مقنع وسيلة لاكتساب مكانتها الاجتماعية.

ب- (%41.3) و بعدد 66 مبحوثا من اصل 160 مبحوثا، ترى في التعامل مـع الناس بشتى الطرق، وسيلة لاكتساب مكانتها الاجتماعية.

(1): السيد علي شتا، مرجع سابق، ص 160.

(2): د. معن خليل عمر، مرجع سابق، ص 243.

ج- (1.9%) و بعدد 03 مبحوثين من اصل 160 مبحوثا، ترى في اعتزال النـــاس وسيلة لاكتساب مكانتها الاجتماعية.

أن ما يمكن نستنتجه من هذا الجدول، و بعد تصريح فئة بحثنا اختيار العمل المقنع كوسيلة لبناء مكانتها الاجتماعية، هو أن افتكاك فئة البحث لشرعيتها الاجتماعية سوف لن يمر إلا عبر قناة العمل، و أن كسب رها ا الثقافي القيمي و الايديولوجي، سيكون الفعل الاجتماعي مسرحا له، هذا من جهة و من جهة أخرى يمكن أن نفسر اختيار عينة البحث العمل عن باقي المتغيرات، بمـــا يذهب إليه علماء النفس و الاجتماع، فيما يسمونه" رد الاعتبار" أو " تقدير الذات"، و الوســيلة في ذلك هي الفعل الاجتماعي أو الممارسة الواقعية، و سنعود في جدول لاحق لشرح القضية أكثر، يقول(*E.BOECHE*) في كتابه *'Action et objet'* : " أن الفعل يعتبر من محددات الهويـــة ، نظرا للعلاقة المتينة التي تربطه بالذات الأنا، لأن الأنا يعتبر عملية تنطلق من التجـــارب المرتبطـــة مباشرة بالفعل."[1]

الجدول (25): يوضح المعايير الواجب مراعا ا أثناء البيع و الشراء لدى المبحوث.

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
اختيار سلع متنوعة ذات ربح وفير	04	%2.5
اختيار سلع تتماشى و أذواق الناس	42	%26.3
اختيار سلع تتماشى و أخلاق و عادات ا تمع	142	%71.3
ا موع	160	%100

من خلال الجدول يمكن أن نستقرأ مايلي:

أ- (71.3%) و بعدد 142 مبحوثا من اصل 160 مبحوثا، ترى في اختيار سلع تتماشى و أخلاق و عادات ا تمع، كمعيار أثناء البيع و الشراء.

ب- (26.3%) و بعدد 42 مبحوثا من اصل 160 مبحوثا، ترى في اختيار ســلع تتماشى و أذواق الناس، كمعيار لها أثناء البيع و الشراء.

ج- (2.5%) و بعدد 04 مبحوثين من اصل 160 مبحوثا، ترى في اختيار ســلع متنوعة ذات ربح وفير، كمعيار لها أثناء البيع و الشراء.

(1):د.محمد مسلم، مرجع سابق، ص 20.

إن اختيار عين ة البحث المتاجرة بالأزياء الدينية و العطور...، لمعايير سلعتها التي تتماشـى مـع أخلاق و عادات ا تمع، و تفضيله عن باقي المعايير، يمكن أن يفسر بأن جماعة البحـث تحـاول الظهور في صفة الجماعة الثقافية الحاملة التراث، و التي تملك ا كثر من غيرها منطق المحافظة علـى الهويـة الاجتماعيـة، و فـد حلـل " *P.Bourdair*" في كتابـه: '*l'identité et la représentation*' " الهوية و التمثل"، و استخلص في عملية تحليليـة: "...أن الجماعـات لا تتمتع كلها بحق تعيين هويتها، أو فرض ذلك التعيين على الآخرين..."(1) ، و أن هـذا التمتـع مرتبط اشد الارتباط بالوضعيات التي تحتلها الجماعة في المنظومة الاجتماعية، و نسق العلاقة فيها، ومن تعديلات بعض المبحوثين في الاستمارة نستشف ذلك: "...كيف تكون لك قيمة و أنت لا تحترم نفسك..." "...القدر يبدأ منك أولا..." "...السترة و الحـشمة خـير مـن التـبرج..." "...العرى تفشى مع الألبسة الغربية..." "...إ م يفسدون ا تمع بألبستهم...".

الجدول(26): جدول يوضح موقف المبحوث من مسألة اكتفاء المسلم بتأدية وجباته الدينية.

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
يكتفي	30	%18.8
لا يكتفي	130	%81.3
ا موع	160	%100

نلاحظ من خلال هذا الجدول، انه من بين 160 مبحوثا، هناك اكبر نسبة و تقدر بـ:
(%81.3) و بعدد 130 مبحوثا، تقول بعدم كفاية أداء الواجبات الدينية في حياة المـسلم، في حين أن (%18) و بعدد 30 مبحوثا من اصل 160 مبحوثا، تقول بكفايـة أداء الواجبـات الدينية في حياة المسلم.
أن تأويل معطيات الجداول الإحصائية يطرح في علم الاجتماع، مسألة تعدي الأدوار الاجتماعية، فعينة البحث المصرحة بعدم كفاية أداء الواجبات الدينية في حياة المسلم، هو تصريح ضمني منـها

(1): د.محمد العربي ولد خليفة، مرجع سابق ، ص 113.

بأن للفعل الاجتماعي فضاءات أخرى، غير فضاء المسجد أو مكان العبادة الرسمي، و هـو أمـر توقفنا عليه من خلال تصريحات بعض المبحوثين، كقولهم مثلا: "...كلما كان يوافق الشرع، من العمل و التجارة و التصنيع المباح..." "...يجب على المسلم تعلم دينه، و تعليمه للمساهمة في نشر الدعوة الإسلامية..." "...كل عمل يرضي الله عز و جل..."، فبالإضافة إلى مسألة تعدي الأدوار الاجتماعية، فان كل التصريحات، تحمل في مضامينها البعد الثقافي القيمي، لمسالة الدور الاجتماعي الذي تدافع عنه فئة البحث، فهي تتصور مكانتها و مراكزها الاجتماعية، عن طريـق المـساهمة بأدوار ثقافية، فكلمة "يوافق الشرع"، "نشر الدعوة"، "يرضي الله"وغيرها، كلها دلالات و معاني ذات أبعاد روحية، تدافع عنها فئة البحث بفرط و من منطلق ايديولوجي ثقافي.

الجدول(27): يوضح المعايير التي يختار على أساسها المبحوث سلعة، و علاقة ذلك بمواقفه مـن المتاجرة بسلع تتنافى و قيم ا تمع.

سلع تتماشى و قيم ا تمع / الإجابة	نعم		لا		ا موع	
	ك	%	ك	%	ك	%
اختيار سلع متنوعة ذات ربح وفير	00	%00	04	%2.54	04	%25
اختيار سلع تتماشى و أذواق الناس	02	%66.33 11-	40	%25.47	42	%26.25
اختيار سلع تتماشى مع عادات و أخلاق ا تمع	01	%33.33	113	%71.97	114	%71.25
ا موع	03	%100	157	%100	160	%100

يمثل الاتجاه العام في الجدول (71.25%) من فئة البحث التي تفضل اختيار سلع تتماشى مـع عادات و أخلاق ا تمع، يؤيد هذا الموقف فئة البحث التي ترفض المتاجرة بسلع تتنـافى و قـيم ا تمع، بنسبة(71.97%) بعدد 1113 مبحوثا من اصل 157 مبحوثا.

في حين يمثل الاتجاه المعاكس (26.25%) من فئة البحـث التي تفضـل اختيار سلـع تتماشى و أذواق الناس، يؤيد هذا الموقف فئة البحث التي تقبل المتاجرة بسلع تتنافى و قيم ا تمع، بنـسبة (66.33%) بمبحوثين من اصل ثلاثة.

إذا كانت عينة البحث المتاجرة بالأزياء الدينية و العطور...، ترفض المتاجرة بسلع تتنافى و قـيم ا تمع، و تختار معيار الأخلاق و العادات الاجتماعية في اقتنائها لسلعها، فان نظرية الثقافة سوف تمدنا ببعض من التفسيرات لذلك، فإلى جانب ما علقنا عليه في جداول سابقة، و تجنبا للتكـرار الممل، نقول أن الثقافة هي نواة الشخصية، سواء أكانت خاصة بفرد أو جماعة، و الفرد الإنساني يختار من رموز و أعراف و عادات في تصرفاته و معاملاته، ما يحقق له القبول و الوجود داخـل نطاق جماعته، فرفض عينة بحثنا المتاجرة بأشياء تتنافى و قيم ا تمع، هو إسهام منـها في توكيـد هويتها الثقافية، باستعمال الرمز(اللباس) مثلا، و جميع المقتنيات الأخرى، التي تجنبها الوقـوع في متاهات انفصام الشخصية أو النفاق الاجتماعي، سيما و إ ا(أي عينة البحث) شديدة الحساسية في تصرفا ا، و هو ما لاحظناه خلال المقابلات الأولية، عندما صرح احدهم: " علـى المـرء أن يكون قلبا و قالبا..." " البقعة السوداء في اللباس الأبيض يراها الناس" " زعمة بولحية و...!"، وقد كان يقصد المبحوث أن تصرفا م محط أنظار الناس أكثر من غيرهم.

الجدول(28): يوضح تصور المبحوث لقيمة العمل كعبادة، و علاقة ذلك بارتدائه للزي الديني.

الزي الديني / الإجابة	تقليد للبائعين الآخرين		من اجل ترويج السلعة		قناعة دينية		ا موع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
نعم	02	%33.33	06	%40 42-	20	%14.38	28	%17.5
لا	04	%66.04	09	%60	119	%85.61 3+	132	%82.5
ا موع	06	%100	15	%100	139	%100	160	%100

ترى نسبة (%82.5) من العينة المستجوبة انه ليس باستطاعة الإنسان اختيار أي عمـل، حـتى يقول إنني فعلا في عبادة.

في حين تمثل نسبة(%17.5) من العينة المستجوبة إمكانية ذلك، و عند قراءتنا للفئات المؤيدة لـذلك في الجدول، كانت الأرقام و النسب كما يلي:

1. 119 مبحوثا من اصل 139 مبحوثا، و بنسبة (%85.61) هي فئة البحث المرتدية للزي الديني على قناعتها الدينية بذلك، تؤيد الموقف الأول.

2. 06 مبحوثين من اصل 15 مبحوثا، و بنسبة(40%) هي فئة البحث المرتدية للزي الـديني، بغية ترويج سلعتها، تؤيد الموقف الثاني.

تحرك قناعات الأفراد الشخصية و اهتماما م، إلى جانب رأسمالهم الثقافي و القيمي المحصل بواسطة عملية التنشئة و التلقين، تصورا م التي تعكس كل هذه التوجهات بالجملة، فتصريح عينة البحث المتاجرة بالأزياء الدينية والعطور، بأنه لا يكفي اختيار أي عمل حتى نقول إننا في عبادة، مدعمـة بفئة البحث المرتدية للزي الديني، لقناعتها الدينية بذلك بـ+3 من المبحوثين، و تراجـع مـتغير ارتداء الزي الديني بغية ترويج السلع إلى -42 من المبحوثين، لدليل صدق المحرك الثقافي الباعـث على عدم اعتبار العمل أيا كان عبادة، لكن ما علاقة الزي الديني ذا التصور أو الاعتقاد؟.

تمثل العلاقة حين ندرك أن ارتداء عينة بحثنا للزي الديني كان بدافع ثقافي قيمي، إ ا مـن اجـل المحافظة على السنة، الانتماء، الهوية...، كما شرحنا ذلك في مواضع سابقة، فاعتبار العمل عبـادة في هذا السياق، لا يكون إلا إذا كان خاضعا للشروط الثقافية و القيمية، نقرا هذه المعاني في كثير من تصريحات المبحوثين في استمارات البحث: "...إن".يمارسون ذلك (الترويج لسلع تتنافى و قيم ا تمع) لضعف إيما م..." " ...الأخلاق أولا ثم الانتفاع..." " العمل الذي لا يوافق الشرع، لا يمكن اعتباره عبادة مطلقا...".

نتائج الفرضية الثالثة القائلة: لا تؤدي مهنة بيع الأزياء الدينية و العطور.، الإشباع المادي لدى ممارسيها و فاعليها فحسب، بل تعمل على بناء المكانة الاجتماعية لديهم.

لقد تبين أن ما افترضناه في جداول و بعد الاقترابات الإحصائية و السوسيولوجية، من انه لا تؤدي مهنة بيع الأزياء الدينية و العطور...، الإشباع المادي لدى ممارسيها و فاعليها فحسب، بل تعمل على بناء المكانة الاجتماعية لديهم، إن هذا الاقتراب جعلنا نتوج ذا الاستنتاج كخاتمة لما افترضناه:

إن مناقشة جداول مثل تصور قيمة العمل لدى المبحوث، و علاقته بمكانته الاجتماعية، ثم الطريقة التي ا يكسب الفرد مكانته، و تصريحه اختيار العمـل مـع نـشر الأفكـار بنـسبة (73.21%)، و تراجع متغير اعتزال الناس و انعدامه بنسبة (00%)، ثم تصريحه اختيار العمل المقنع بنسبة (69.37%) كوسيلة لبناء مكانته الاجتماعية، يدفعنا إلى استنتاج أن العمل يمثل الفضاء الأنسب لدى عينة بحثنا، بغية بناء مكانتها الاجتماعية، لكن العمل الذي تبني به عينة بحثنا مكانتها، هو ذلك الذي يحمل في مضامينه معنى القيمة، ليست القيمة التي قصدها و عاناها ريكاردو أو آدم سميث، بل القيمـة الثقافية التي تنفذ في صورة الدور الاجتماعي- المتاجرة بالأزياء الدينية و العطور...-، إن العمل في نظر فئة بحثنا يمثل فضاءا لامتحان تمارين المسجد الشفوية-أن صح هذا التعبير- فبالفعل و الممارسة تتحدد المكانة الاجتماعية، ثم أن مناقشة جداول من مثل اعتبار المسجد كمكان واحـد ووحيـد للعبادة، و علاقته بادوار المسلم في حياته، كلها استنتاجات تدعم صحة صدق و تحقق فرضـيتنا، فعينة البحث و من خلال تصريحا ا، تعتقد في تعدد ادوار المسلم في حياته، و هذا مـن خـلال تسريحها بعدم اكتفاء المسلم بأداء واجباته الدينية فقط، بنـسبة (89.12%)، فانطلاقـا مـن البناءات الثقافية و القيمية للجماعة المرجعية، المتمثلة في المسجد و جماعة الأصـدقاء، إلى جانـب البيئة الأسرية، و التي من مهامها إعداد الفرد لتقمص فكرة الدور الاجتماعي، في فضاءات أرحب كالفضاء المهني مثلا، إن هذه الحقيقة تدعمها مناقشـة الجـدول الخاص بتصـور العمل كعبادة و علاقته بارتداء الزي الديني لدى المبحوث، و بعد عملية التحليل توصلنا إلى استخلاص أن فئـة البحث، المصرحة بأنه ليس كل عمل عبادة بنسبة (82.5%) و تقاطعه مع ارتداء الزي الـديني لدى فئة بحثنا، لقناعا ا الدينية بذلك بنسبة(85.61%)، دف من وراء ذلـك إلى إخـضاع العمل للشـرط الثقافـي و الاديولوجـي، و تنفيـذه بحلـة ثقافية تعكس جانبا ثقافيا و قيميا و ايديولوجيا، من شخصية من نفذ هذا الفعل أو الدور، و لعل أن مناقشة الجـدولين الخاصـين

باكتفاء المسلم بتأدية واجباته الدينية، و المعايير التي على أساسها يختار المبحوث سلعه و بضائعــه، و علاقة ذلك بمواقفه من المتاجرة بسلع تتنافى و قيم المجتمع حيث كانت نسبة معيار سلع تتماشى و أخلاق المجتمع (71.25%)، أما نسبة رفض المتاجرة بسلع تتنافى و قيم المجتمع فقد كانــت (56.62%)، هي كلها قرائن تسير في نفس المنحى الذي اشرنا إليه سلفا، فالمكانة الاجتماعية كما تتصورها عينة بحثنا، لن تتم إلا عن طريق المساهمة بادوار ثقافية و قيمية.

نتائج البحـــث:

في خضم التفسير و التأويل الإحصائي و السوسيولوجي، الذي فرغنا منه بعد مناقشة جداول كل فرضية على حدا، يمكن استخلاص نتائج البحث كما يلي:

- عملا منها لتجسيد فكرة التمايز الاجتماعي فيما بينها، تميل الجماعـات الاجتماعيـة إلى استعمال الرمز، الذي يتخذ أشكالا متعددة و متنوعة، فنجده عنـد جماعـات جمـاهير الملاعب مثلا، يتخذ شكل قمصان رياضية يحمل كل منها رموزا و ألوانا لكـل هويتـه ودلالته و شكله بينما يميل الرمز عند طبقات أخرى ليأخذ شكلا أكثر مادية، هـذا مـا نلاحظه عند بعض الجماعات، التي تسهر على اقتناء الموضة من السيارات و بناء الشقـق و العمارات و غيرها، كما يميل صنف آخر من الجماعات الاجتماعية إلى استعمال رموزا مادية، بيد إ ا أكثر تجريدا من حيث أبعادها الروحية الثقافية و القيمية و الايديولوجيـة، و هو ما لوحظ عند فئة بحثنا المتاجرة بالأزياء الدينية و العطور...، و المصرحة بان الـزي الديني يمثل لها قناعة دينية، بنسبة(91.5%) و بتعداد 146 مبحوثا، كما يمثل لها شرطا من شروط صحة الصلاة، بنسبة(66.67%) و بتعداد 107 مبحوثا.
- يميل كل صنف من أصناف هذه الجماعات الاجتماعية، إلى الدفاع عن رمـزه – الـذي يعتبره جزءا من هويته-، بسبل و أشكال متعددة، فنجده عند جماعات جماهير الملاعـب مثلا، يتخذ من الشوارع و المدن إضافة إلى فضاءاته الأصلية(الملعب)، أماكن للتعبير عنـه، سواء بالتأييد أو التذمر الذي قد يبلغ حد الصراع الاجتماعي و الايديولوجي، و الـذي يخفي وراءه أقنعة الجهة و العرق، بينما نجده يجسد عند جماعات أخرى في صورة احتراف و امتهان، متخذا من أماكن العمل فضاءا للتعبير عنه، وهو ما صرحت به فئة بحثنا المتاجرة بالأزياء الدينية و العطور...، حيث فضلت لبناء مكانتها الاجتماعية متغير العمل، بنسبة (56.9%) و بتعداد 91 مبحوث، في تراجع متغير اعتزال الناس، إلى نسبة (1.9%) و بتعداد 03 مبحوثين فقط ، و هي تعمل على الدفاع عنه (أي عن رمزها)، في صـورة اعتقاد قيمي ثقافي و ايديولوجي، و هو ما سنتوقف عليـه من خـلال النسب و الأرقام التالية: ما يمثل نسبة (65.40%)من عينة البحث، ترفض المتاجرة بـالملابس الغربيـة المستوردة، (71.3%) من عينة البحث تفضل معيار اختيار سلعها، التماشي مع أخلاق

ا تمع، (56.62%) من عينة البحث تفضل و تصرح، أن الهدف مــن وراء المتــاجرة بالأزياء الدينية و العطور...، نشر و إحياء الثقافة الإسلامية، يتقاطع مع مــتغير المتــاجرة بأشياء يحث عليها الشرع بنسبة (62.50%) و بـ +34 من المبحوثين، مقارنة بمتغير المتاجرة بأزياء تقليدية و عادات ، الذي تراجـــع إلى – 13 من المبحــوثين و بنــسبة (43%)..، إلى غير ذلك من النسب و الأرقام التي تدل، على أن عينة بحثنا تدافع عــن رمزها، تحت طائلة من الشروط ثقافية القيمية و الاديولوجية.

- إن مجموعات اجتماعية قد نجدها متقاربة جدا ثقافيا، بيد أ ا تعتبر نفسها أجنبيــة فيمــا بينها، مستخدمة لريعها و لرأسمالها الثقافي و الإيديولوجي، بغية تأكيد إرادة الاختلاف، أو حب الانتماء و الافتخار و التأييد، اعتزاز و تقدير الذات، أو أن تحمل نفسها أعباء قيادة المشروع الثقافي لجماعتها أو أمتها، وهو ما يلاحظ اجتماعيا مع حركة العــروش مثلا، و تيار الاستقلال الذاتي *MAK* بمنطقة القبائل، أو ما لوحظ مع فئة بحثنا المتاجرة بالأزياء الدينية و العطور...، المصرحــة بانتمائــها الحضــاري الإسلامي بنسبة(70.62%)، و تفضيله عن باقي الأبعاد الأخرى، أو تصريحها بأهمية كــسب ثقــة الزبــون بنــسبة (45.12%)،باحثة بذلك عن التأييد الاجتماعي لأدوارها و لمكانتــها الاجتماعيــة، أو تصريحها بعدم اكتفاء المسلم بأداء واجباته الدينية بنسبة(89.12%)، بحثا عــن تقــدير الذات و فرضها خارج الأطر التعبدية الرسمية.
- إن للنمط الثقافي الراسخ القدرة في منح ممارسيه و فاعليه من الأفراد و الجماعات، هويا م الثقافية، كما بامكانه بناء مكانا م الاجتماعية، فحاجة الإنسان إلى جماعة أولية لا ينتمي إليها فحسب، فتلك سمة الجماعة العضوية، بل يتزود منها، و يتحدد سلوكه اختيــاره في ضوء قيمها و مرجعيا ا الايديولوجية، و تلك هي سماة الجماعة المرجعية، هــي حقيقــة اجتماعية توقفنا عليها مع جماعة بحثنا المتاجرة بالأزياء الدينية و العطور...، وهذا طبعا من خلال ما ذهبت إليه النسب و الأرقام التي صرحت ا، أن نسبة 84% من عينة البحث ذات التكوين الرسمي القرآني، ترفض الإصلاحات التربوية الجارية بـ +15 من المبحوثين، في حين تراجع عامل نسبة التأييد إلى -8 من المبحوثين، أن نسبة 67.50% من عينــة البحث تعتبر أن المسجد هو المكان الأكثر راحة لها، يتقاطع مع تأدية الواجبــات الدينيــة للأولياء، بنسبة 71.42 % و بـ +4 من المبحوثين، في حين تراجع عامل نسبة عــدم

الأداء إلى -27 من المبحوثين، إن نسبة 89.37 % ممن يفضلون التعليم الرسمـــي مـــع القرآني لأولادهم، غير راضين عن الإصلاحات التربوية الجاريـــة بنـــسبة 61.9 %، أن نسبة 70 % هم أصدقاء المسجد الأكثر تعاملا مع فئة البحث في حين تراجـــع عامـــل نسبة أصدقاء الحي إلى -9 من المبحـــوثين وبنـــسبة 50 % ، إن نـــسبة 76.72 % وبتعداد +17 من المبحوثين، هم أصدقاء المسجد الأكثر مجالسة لدى أفراد عينة بحثنا، في حين تراجع عامل نسبة أصدقاء الحي إلى +3 من المبحوثين، فهذه النسب و الأرقام الـــتي صرحت ا عينة بحثنا، المتاجرة بالأزياء الدينية والعطور:، تعكس الفئـــات الاجتماعيـــة التنشيئية، التي تتدخل في تركيب و توجيه الفعـــل الاجتـــماعي لديـــها، كما تعكس قيم و توجهات هذه الفئات، التي تؤثر بأنساقها الفكرية والثقافية في أفكار وأفعال عينة بحثنا، فكثيرا مما كان يبدو لنا أعراضا صدفية بادئ الأمر و محض اختيار عـــشوائي قـــد تأكـــد اختلافه باختلاف العضوية و الانتماء و التأثير الثقافي و الايديولوجي.

- إن الدين و الثقافة عاملان لتحقيق الإدماج و المقاومة، فهما ملاذا للكثير مـــن الفئـــات الاجتماعية، تحتمي يهما تارة، و تستعملهما تارة أخـــرى تحت ذرائـــع مختلفة ومتنوعة، و عليه فان الإبعاد العفوي لهذين المتغيرين، في عملية التحديد الاجتمـــاعي لكـــثير مـــن الظواهر، هو من قبيل حرق المراحل الموصلة إلى الحقيقة العلمية الجادة المتوازنة الموضوعية، ثم أن الاعتقاد بتغيير ا تمع بمرسوم لا يعدو أن يكون كذلك، جهل بأهمية عملية استبطان القيم الاجتماعية في عملية التغيير الاجتماعي.

و في خاتمة نتائج هذا البحث و نظرا لطبيعته الاستقرائية، و نظرا كذلك لأن إشكالية أي بحث علمي كان، هي بناء يتطور بتطور البحث، لكن لا ينتهي بانتهائـــه، وددت أن أضـــع محـــل التساؤل، موقع الوضع الميكيو اجتماعي (البناء الثقافي و الايديولوجي للمهن) الذي درســـته، ضمن الماكرو اجتماعي العام:

أثمة أوضاع و أنساق اجتماعية مماثلة للنسق الذي قمنا بدراسته-حالة عينـــة بحثنـــا المتـــاجرة بالأزياء الدينية و العطور...-، ثم هل أن جميعها (أي هذه الأوضـــاع و الأنـــساق)، مجـــرد تجسدات لنفس الأسباب – الانعكاس الثقافي القيمي و الايديولوجي-، الذي هيكل النـــسق الذي قمنا بدراسته و تجريبه.

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية

أ .الكتب: - كتب علم الاجتماع العام

1. أبو زيد احمد، البناء الاجتماعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، مصر،1975.

2. ابراهيم عيد محمد، الهوية و القلق و الإبداع، دار القاهرة، مصر،ط1، 2001.

3. ادجارفور وآخرون، تعلم لتكون، ترجمة حنفي بن عيسى، ش و ن ت ، الجزائر، 1974.

4. التويسر لوي، الفلسفة و فلسفة العلماء العفوية، ترجمة رضا الزواري،

5. الجابري محمد ، عابد، نحن والتراث، المركز الثقافي العربي، دار الطليعة، بيروت، 1980.

6. الجوهري محمد وآخرون، ميادين علم الاجتماع، دار المعارف، مصر،ط3، 1974.

7. السيد الحسيني، نحو نظرية اجتماعية نقدية، دار النهضة العربية، بيروت، بدون سنة.

8. السيد عويس، من ملامح الجتمع المصري المعاصر، ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعي، المركز القومي للأحداث الاجتماعية،القاهرة، بدون سنة.

9. العربي ولد خليفة محمد، المسالة الثقافية و قضايا اللسان و الهوية، دراسات في مسار الأفكار و علاقتها باللسان و الهوية ومتطلبات الحداثة و الخصوصية و العولمة و العالمية، ديوان المطبوعات الجامعية، 2003.

10. العروي عبد الله، مفهوم الايديولوجيا، المركز الثقافي العربي، بيوت، 1993.

11. العيسوي عبد الرحمان، تصميم البحوث النفسية و الاجتماعية و التربويــة، دراســات في تفــسير السلوك الإنساني، دار الكتاب الجامعية، الإسكندرية،ط1 ، 1993.

12. بلحسن عمار، المشروعية و التوترات الثقافية حول الدولة و الثقافة في الجزائر، مركز الدراســات الوحدة العربية،بيروت، 1996.

13. بن نبي مالك، **حديث في البناء الجديد**،مجموعة محاضرات، جمع و ترجمة عمـر كامـل مـسقاوي، منشورات المكتبة المصرية، بيروت، بديون تاريخ.

14. بن نبي مالك، **مشكلة الثقافة**، ترجمة عبد الصبور شاهين، مطبعة دار الجهاد، القاهرة،ط1، 1957.

15. بن نعمان احمد، **الهوية الوطنية، الحقائق و المغالطات**، دار الأمة، الجزائر، بدون سنة.

16. جلبي علي عبد الرزاق وآخرون، **علم الاجتماع**،دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، مصر،1999.

17. حدية مصطفى، **التنشئة الاجتماعية والهوية**، ترجمة محمد بن شيخ، منشورات كلية الآداب و العلـوم الإنسانية، الرباط،ط1، 1996.

18. دووسن رتشارد وآخرون، **التنشئة السياسية**، جامعة قار يونس، بن غازي،ط1، 1990.

19. ديوي جون، **المدرسة و المتمع**، ترجمة احمد حسن الرحيم، دار مكتبة الحياة،بيروت، بدون تاريخ.

20. سبيلة محمد، الايديولوجيا، **نحو نظرة متكاملة**، المركز العربي الثقافي، بيروت، 1992.

21. عشوي مصطفى، **المدرسة الجزائرية إلى أين؟**، دار الأمة ، الجزائر، 1991.

22. علي شتا السيد، **الشخصية من منظور علم الاجتماع**، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 1997.

23. لويس كامل مليكة، **قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية**، الدار القوميـة للنـشر، القـاهرة، ط1، 1965.

24. ماكس كارل، انجاز فريديريك، **الايديولوجيا الألمانية** ، ترجمة فؤاد أيـوب، دار دمـشق، سـوريا، 1968.

25. محمد علي محمد، **تاريخ علم الاجتماع**، الرواد و الاتجاهات المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط2، 1977.

26. محمدي احمد محمد، **مقدمة في علم اجتماع التربية**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،1995.

27. مختار محي الدين، محاضرات في علم النفس الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بـــدون سنة.

28. مسلم محمد، خصوصيات الهوية وتحديات العولمة، دار قرطبة للنشر و التوزيع، الجزائــر، الطبعــة الأولى، 2004.

29. معتوق جمال، صفحات مشرقة من الفكر التربوي عند المسلمين، دار الامام مالك للنشر و التوزيع، الجزائر،ط1، 2004.

30. معن خليل عمر، أزمة النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دراسات عربية، دار الطليعة، بيروت، 1981.

31. منتصر الكتاني فاطمة، الاتجاهات الوالدية في التنشئة الاجتماعية،دار الشروق، الأردن،2000.

32. نصار نصيف، الايديولوجيا على المحك، دار الطليعة، بيروت،1994.

ب- كتب علم الاجتماع التنظيم و العمل.

33. أ محمد علي محمد، مجتمع المصنع، دراسة في علم اجتماع التنظيم، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية، ط1، 1975.

34. الحسيني السيد، علم اجتماع التنظيم، دار المعرفة، الإسكندرية، 1994.

35. الحسيني محمد السيد، النظرية الاجتماعية في دراسة التنظيم،دار المعارف، القاهرة، ط2، 1977.

36. باركر وآخرون، علم الاجتماع الصناعي، ترجمة محمد علي محمد وآخرون، منشئة المعارف، مصر، بدون سنة.

37. براون .أ، علم النفس الاجتماعي في الصناعة، ترجمة محمد خيري وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1968.

38. ديفيز كيث، ترجمة السيد عبد الحميد مرسي، السلوك الإنساني في العمل، دراسة العلاقات الانسانية و السلوك التنظيمي،دار النهضة للطبع والنشر،القاهرة، 1974.

39. عبد الخالق احمد، علم النفس المهني، الدار الجامعية للطباعة و النشر،بيروت، 1983.

40. فريدمان جورج و نافيل بيار، رسالة في سوسيولوجيا العمل ج1، ترجمة يولاند عمانويل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، بدون سند.

41. فهمي منصور، إدارة القوى البشرية في الصناعة، دار النهضة العربية، مصر ، 1978.

42. مايو التون، التصنيع والمشاكل الإنسانية، ترجمة محمد عماد الدين إسماعيل ، احمد بدران، مكتبة مصر، القاهرة، بدون تاريخ.

ج- كتب في المنهجية:

43. احمد سيد غريب، البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، مصر، 1998.

44. زكي جمال و يس السيد، أسس البحث الاجتماعي، دار الفكر العربي،بدون مكان للنشر، 1961.

45. قاسم محمد ، المنطق الحديث و مناهج البحث، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، بدون سند.

46. ملحم حسن، التفكير الاجتماعي و المنهجية، مطبعة دحلب، الجزائر، بدون سند.

د- معاجم وقواميس:

47. الخولي علي محمد، قاموس التربية، دار العلم للملايين، بيروت، 1981.

48. الجوهري عبد الهادي، قاموس علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، مصر ،ط3، 1988.

49. بودون ريمون و بوريكو فرانسوا، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ط1، بدون سنة.

50. لاروس، المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، 1989.

51. خليل احمد خليل، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع،دار الحداثة للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1984.

52. ابراهيم مدكور، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975.

53. معجم العلوم الاجتماعية، إعداد نخبة من الأساتذة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975.

هـ- مجلات و رسائل جامعية:

54. التواصل، مقاربات سوسيولوجية للمجتمع الجزائري، العدد 06، الجزائر، جوان 2000.

55. الجولاني عمر فادية، التغير الاجتماعي في التمع الحضري في ضوء النظرية الوظيفية، رسالة دكتورة، كلية الآداب و العلوم الاجتماعية، جامعة القاهرة، 1976.

56. بورديو بيار، الرأسمال الرمزي و الطبقات الاجتماعية، الفكر العربي المعاصر، العدد 41، 1986.

المراجع باللغة الفرنسية:

كتب:

1- في علم الاجتماع العام:

57- ALEX (M); L'identité. Imprimerie des presses universitaire de France. Paris 1994.

58- ALTHUSSER(L); position .édition sociales. Paris 1976.

59- BANDERA(A); L'apretissage social. MARDAGA Pierre. Bruscelles 1980.

60- BOURDIEU (p); Les trois états capital culturel. Actes de recherche en sciences sociales № 30 .1979.

61- BOURDIEU(P); la reproduction. Ed Minuit. Paris 1971.

62- BOUZIDA (A); l'idiologie de l'instititeur. ONAL. Alger 1976.

63- Durkheim (E); éducation et sociologie. El- bourhane Alger 1991.

64- Ericsson(H); Adolescence et crise. Ed. formation. Paris 1972.

65- Jean Michel Morin;prévis de sociologie. Repers pratique nothan 1996.

66- Genevper(U). Identité négative des issus de l'immigration en France. Intervieu intercultielie 1986 .

67- KLINGERG(Atto); psychologie social. 2eme édition revue.presses universitaire de France 1963.

68- Malenska(H.P), et C. Cohou. Le travaile sociale et les enfant des migrants ed.L'harmattane Pris 1988.

69- MANHEIM (K); idiologie et utopie. Trad. ROLLET pauline rivenue et vie Paris 1956.

70- MEAD.(J.H); L'esprit. le soi et la société. PUF. Paris.1963.

71- MEGHARBI (A); La culture et la personnalité dans la société Algérienne de Massinissa a nos jours. Ed. ENAL. OPU 1986.

72- Mrino(J.D); besoins et aliénation. Chiver du centre d'études et de recherche marscisce. Paris 1972.

73- Piajet (J); le jugement morale chez l'enfant. PUF. Paris 1969.

74- Piaton(G), éducation et socialisation. Eléments de la psychosociologie de --75- l'éducation, ed edouard privat tolouse; 1977.

76- Rocher(G); introduction a la sociologie générale. L'action social. Ed. H.M.H1968.

77- Rocher (G); l'action social. Ed. H.M.H. Paris 1970.

78- TOUALBI (N); Religion. Rites et mitations. ENAL Alger 1984.

79- TOAULBI(N); l'identité au maghreb. Casbah. Edition Alger 2001.

80- Zavaloni(M); identité sociale et conscience. Ed Privat. Les presses universitaire de montréalais 1984.

2- كتب في علم اجتماع التنظيم:

81- Crozier (M), Le phénomène bureaucratique, ED de seuil, Paris, 1963.

82- Durkheim(E); de la division du travail social 9eme édition. Tome 2. paris PUF 1973.

83- Fuillman(J); L'homme et travail. Le pense universitaire. Paris.

3- كتب في المنهجية:

84- GHIGLIONE(R) et B. MATALON(B). Les enquêtes sociologiques. Théories et pratique COLL (v) ,A. COLIN.

85- RAYNOLD (Q); Lac van. Compen hondt. Manuel de recherche en sciences sociales. Bordas. Paris 1988.

4- معاجم وقواميس:

86- ANSART (P); dictionnaire de sociologie, édition № 01 SEUL RObfed 1998.

87- BOU DON(R); dictionnaire de la sociologie. France. AUDIN. MICHEL , imprimeure Paris 1990

88 - Black et autres; grande dictionnaire de psychologie. Larousse. Paris 1988.

5- مجـــلات و رسائل جامعية:

89- Revue tiers monde; Les usages de L'identité L'exemple du Maghreb, Jaurer, Mars 1984.

.

الملاحق

جامعة الجزائر

كلية العلوم الإنسانية **قسم :علم الاجتماع**

و الاجتماعية بوزريعة **تخصص: علم اجتماع التنظيم و العمل.**

رقم: / / /

استمارة استبيان

في إطار إنجاز رسالة لنيل شهادة الماجستير، قسم علم الاجتماع، فرع التنظيم و العمــل، تحت عنوان: "البناء الثقافي و الايديولوجي للمهن، دراسة ميدانية موعة شباب من باعة الأزيــاء الدينية و العطور و الأشرطة و غيرها".

يسرني أخي المبحوث أن أضع تحت تصرفك هذه الاستمارة، التي هي مجــرد أداة لجمــع البيانات بغية الاحاطة بموضوع البحث المدروس، لذا نرجوا منــك أخــي المبحــوث الجديــة و الموضوعية في ملأ أسئلة هذه الاستمارة، و في الأخير نطمئنك أخي بأن كل ما تكتبه وتصرح به، سيحاط بالسرية التامة، و لن يستعمل إلا للغرض الذي اعد لأجله، ألا و هــو غــرض البحــث العلمي، و بارك الله فيك.

إعداد الطالب: نور الدين بولعراس.

السنة الدراسية:1425/1426هـ ، 2004/2005 م.

أولا : البيانات الشخصية			
1. السن	....		
2. الحالة العائلية	1. أعزب 2. متزوج 3. مطلق		
2.أ. في حالة ما إذا كنت متزوجا، فماهو عدد أولادك؟	....		
3. طابع السكن	1. شقة 2. فيلا 3. غير ذلك..................		
4. وضعية السكن	1. عائلي 2. فردي		
5. المستوى التعليمي	1. أمي 2. ابتدائي 3. متوسط 4. ثانوي 5. جامعي		
6. المستوى التعليمي للأب	1. أمي 2. ابتدائي		

	3. متوسط 4. ثانوي 5. جامعي		
7. المستوى التعليمي للأم	1. امي 2. ابتدائي 3. متوسط 4. ثانوي 5. جامعي		
8. مهنة الأب	....		
9. هل لديك أهل مارسوا نفس المهنة التي تمتهنها؟	1. نعم 2. لا		
9.أ. إذا كان جوابك نعم، اذكرهم.	....		
ثانيا: البيانات الخاصة بفرضية التنشئة الاجتماعية			
10. أي نوع من التعليم تلقيته في حياتك؟	1. التعليم الرسمي المدرسي 2. التعليم القرآني 3. التعليم الفردي الحر 4. التعليم الرسمي مع القرآني		
11. متى بدأت ممارسة هذه المهنة؟	1. اقل من سنة 2. منذ سنة 3. أكثر من سنة		

12. هل مارست مهنة أخرى من قبل؟	1. نعم 2. لا		
12.أ. إذا كان جوابك نعم، ما هي؟	....		
13. هل تلقيت تكوينا مهنيا من قبل؟	1. نعم 2. لا		
13.أ. إذا كان جوابك بنعم، فما هو؟	....		
14. من هم الأصدقاء الذين تفضل مجالستهم؟	1. أصدقاء الحي 2. أصدقاء المسجد 3. أصدقاء العمل		
15. من هم الأصدقاء الذين تتعامل معهم و تثق م أكثر؟	1. الجيران 2. أصدقاء الحي 3. أصدقاء المسجد		
15.أ. لماذا في كل الحالات؟	....		
16. هل تمضي وقتك مع أصدقاء يتميزون بـ:	1. المزح و التنكيت 2. المحافظة على الصلاة الانشغال بالمسائل الدينية 3. الانشغال بتحصيل المال و الهجرة و غيرها		
16. لماذا في كل الحالات	....		
17. هل اختيارك لهذه المهنة كان بدافع:	1. الصدفة 2. الأهل 3. الأصدقاء		

18. أين تقضي معظم أوقات فراغك؟	1. المقهى 2. المسجد 3. الم ل 4. غير ذلك:...............		
19. في أي الأماكن تشعر بالراحة أكثر؟	1. المسجد 2. العمل 3. الم ل		
20. ما نوع الوظائف التي تتمنى أن يمارسها أولادك مستقبلا؟	1. وظائف في القطاع العام 2. وظائف في القطاع الخاص 3. أعمال حرة		
20.أ. لماذا في كل الحالات؟	....		
21. في رأيك، ما هي المهن التي يجد الأشخاص فيها راحة أكثر؟	1. القطاع العام 2. القطاعات الخاصة 3. المهن الحرة		
21.أ. لماذا في كل الحالات؟	....		
22. ما نوع التعليم الذي تفضله بالنسبة لأولادك مستقبلا؟	1. التعليم الرسمي 2. التعليم القرآني 3. التعليم الرسمي مع القرآني		
22.أ. برر في كل الحالات.	....		
23. هل أنت مع تعليم المرأة؟	1. نعم 2. لا		

24. هل يؤدي الوالدين الواجبات الدينية؟	1. نعم 2. لا		
25. هل توافق على التعليم الجامعي للبنت؟	1. نعم 2. لا		
25.أ. برر في الحالتين.	....		
26. هل أنت راض عن بعض الإصلاحات التي تتكلم عنها المنظومة التربوية؟	1. نعم 2. لا		
26.أ. برر في الحالتين.	....		
27. في الآونة الأخيرة، تم الغاء شعبة العلوم الإسلامية من امتحانات الباكالوريا، كيف تتصور المستقبل المهني لهؤلاء الطلبة؟	....		
28. كيف تتصور النشء الصاعد بدون تربية إسلامية؟	....		
29. يختلف الفقهاء المسلمون حول مواقف الإسلام من بعض القضايا المعاصرة،كقضية الحجاب الشرعي للمرأة و الديمقراطية و غيرها، الآن سنطرح لك أسئلة حول بعض هذه القضايا و أنت تضع العلامة x أمام الجواب المناسب			
29.أ. تلبس المرأة في الإسلام لباسا محتشما و مغطيا لشعرها، لكن ليس من الضروري أن تغطي وجهها بالنقاب:	1. موافق 2. معارض 3. دون رأي		
29.ب. الديمقراطية هي شكل من	1. موافق		

إشكال الحكم الذي يتعارض مع الإسلام:	2. معارض 3. بدون رأي		
29.ج. تمنع الطالبة في بعض الدول العلمانية كفرنسا من ارتداء الحجاب:	1. موافق 2. معارض 3. بدون رأي		
ثالثا: البيانات الخاصة بفرضية الهوية.			
30. يغلب على مبيعاتك الأزياء و الأشرطة الدينية و غيرها، هل لأ ا تمثل لك:	1. المتاجرة بأشياء يحث عليها الشرع 2. المتاجرة بأزياء تقليدية و عادات 3. غير ذلك:................		
31. ما هي اللغة التي تفضل استعمالها مع زبائنك أو مع أسرتك؟	1. العربية العامية 2. العربية الفصحى 3. القبائلية 4. الفرنسية		
32. لماذا تعرضون سلعكم أكثر أمام المساجد؟	1. لتحقيق ربح مادي 2. سهولة التعامل مع زبائن المسجد 3. سهولة تادية الواجبات الدينية		
33. ما هي مصادر حصولك على هذه السلع؟	1. مصادر داخلية 2. مصادر خارجية		

33. أ. اذا كانت خارجية، حدد البلد؟	....		
34. من هم الزبائن الذين تتعامل معهم أكثر؟	1. ذكور 2. إناث		
35. ما هي الأيام و الأوقات التي يقبل فيها الزبائن على سلعكم؟	....		
36.يلاحظ ارتداءك للزي هو من نفس مبيعاتك، هل يعود ذلك إلى:	1. من اجل ترويج سلعتك 2. قناعة دينية 3. تقليد لبائعين آخرين		
37. هل تعتقد إن كسب ثقة الزبون أمر ضروري؟	1. نعم 2. لا		
37.أ. إذا كان جوابك بنعم، هل ترجع ذلك إلى:	1. الضرورة التجارية 2. لتعاليم الدين 3. أشياء أخرى:.............		
38. في ممارستك لهذه المهنة، هل تشعر انك تحقق احد الانتماءات التالية:	1. فئة العمال 2. البعد الحضاري الإسلامي 3. أشياء اخرى:.............		
39. في رأيك، الزي الديني هو:	1. أمر ثانوي موسمي 2. للتباهي به فقط 3. شرط لصحة الصلاة		
39. أ. لماذا في كل الحالات؟	....		
40. هل تعتقد أن متاجرتك ذه	1. ربح وتحصيل القوت		

السلع يعود إلى:	2. نشر و إحياء لثقافة إسلامية 3. ملأ الفراغ		
41. ما نوع الأشرطة التي تسمعها؟	1. اشرطة اناشيد دينية 2. اشرطة حماسية 3. اشرطة تربوية علمية 4. غير ذلك:..................		
42. ماذا تمثل الأشياء التالية في تصورك بالنسبة للمسلم: السواك، اللحية، القميص، العطر،	. ...		
43. يقوم الكثير من الباعة بالترويج لسلع تتنافى و القيم الدينية،هل توافق على هذا النوع من المبيعات؟	1. نعم 2. لا		
43. أ. لماذا في كلتا الحالتين؟	....		
44. لو عرض عليك المتاجرة في سلع أخرى، كالسلع الغربية المستوردة، هل تقبل ذا العرض؟	1. نعم 2. لا		
44. أ. لماذا في كلتا الحالتين؟	....		
45. كثيرا ما نلاحظ بائعي الأشرطة الدينية من جهة و بائعي أشرطة الأغاني من جهة أخرى، يطلقون مكبرات أصوات أجهز م، في رأيك بما ذا تفسر ذلك؟	1. لفت انتباه الزبائن 2. معاندة و مجا ة فكرية 3. ترويج السلع و البضائع		
45. أ. برر كل الحالات؟	....		

رابعا: البيانات الخاصة بفرضية المكانة الاجتماعية			
46. اخترت المتاجرة بهذه السلع، هل من اجل:	1. اجتناب سخرية الناس 2. جلب احترام و تقدير الغير 3. غير ذلك:...............		
47. في رأيك، هل يكتفي المسلم بتأدية واجباته الدينية فقط؟	1. نعم 2. لا		
47. أ. اذا كان جوابك بـ :لا، ما هي الأدوار التي تتصورها للمسلم في حياته؟	....		
48. ما هي الطرق التي يتمكن بها الإنسان في تصورك لتكون له قيمة في مجتمعه؟	1. اعتزاز النفس 2. التعامل معهم بشتى الطرق 3. اختيار عمل مقنع		
49. في رأيك، ماهي الأشياء التي يجب مراعاتها أثناء البيع و الشراء؟	1. اختيار سلع متنوعة ذات ربح وفير 2. اختيار سلع تتماشى و أذواق الناس 3. اختيار سلع تتماشى مع أخلاق و عادات المجتمع 4. غيرذلك:.................		
50. ما هي الطريقة التي يستطيع بها الإنسان نصر أفكاره و معتقداته؟	1. الاعتزال عن الناس 2. البقاء في البيت 3. الاعتكاف في المسجد		

	4. العمل مع نشر الأفكار 5. غير ذلك:................		
51. هل تعتقد أن المسجد هو المكان الوحيد الذي يستطيع أن يكون فيه المؤمن متعبدا فقط؟	1. نعم 2. لا		
51.أ. إذا كان جوابك بـ : لا ، اذكر أماكن أخرى؟	....		
52. العمل عبادة،فهل يستطيع الإنسان اختيار أي عمل حتى يقول إنني فعلا في عبادة؟	1. نعم 2. لا		
52. أ. برر في كلتا الحالتين؟	....		
53. يلجأ الكثير من الناس إلى ممارسة هذا النشاط، ما رأيك في ذلك ، و هل هو نشاط خاص بالذكور دون الإناث	....		